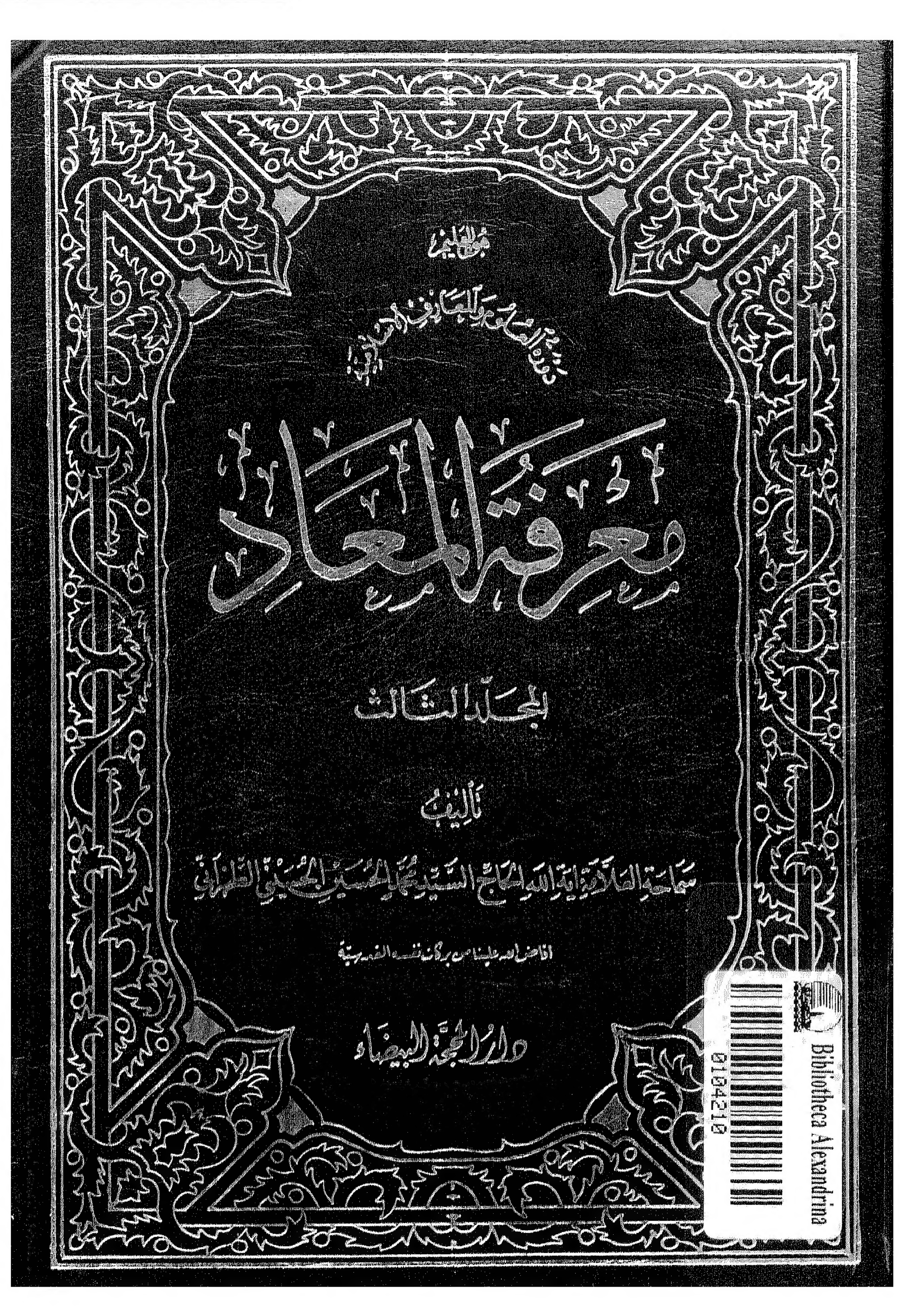

هو العليم
دورة العلوم والمعارف الإسلامية
معرفة المعاد
المجلد الثالث
تأليف
سماحة العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني
أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية
دار المحجة البيضاء
Bibliotheca Alexandrina
0104210







بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص. ب: ١٤/٥٤٧٩

هو العليم

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

٣

معرفة المعاد

المجلد الثالث

تأليف

سماحة العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية

تعريب

عبد الرحيم مبارك

دار المحجة البيضاء

الحسينيّ الطهرانيّ ، السيّد محمّد الحسين ، ١٣٤٥ ـ ١٤١٦ هـ
معرفة المعاد /لمؤلّفه السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ . ـبيروت
دار المحجّة البيضاء ، ١٤١٥ ـ هـ
١٠ج ٢٠٣ ص . ـ (دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة ، ٣)
الطبعة الأُولى ١٤١٧ ـ هـ.

العنوان

ص.ب ٢٢ ٢٩٧/٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة ترجمة ونشر (دورة العلوم والمعارف الإسلامية)

من المؤلفات

العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة (٣)

معرفة المعاد

الجزء الثالث

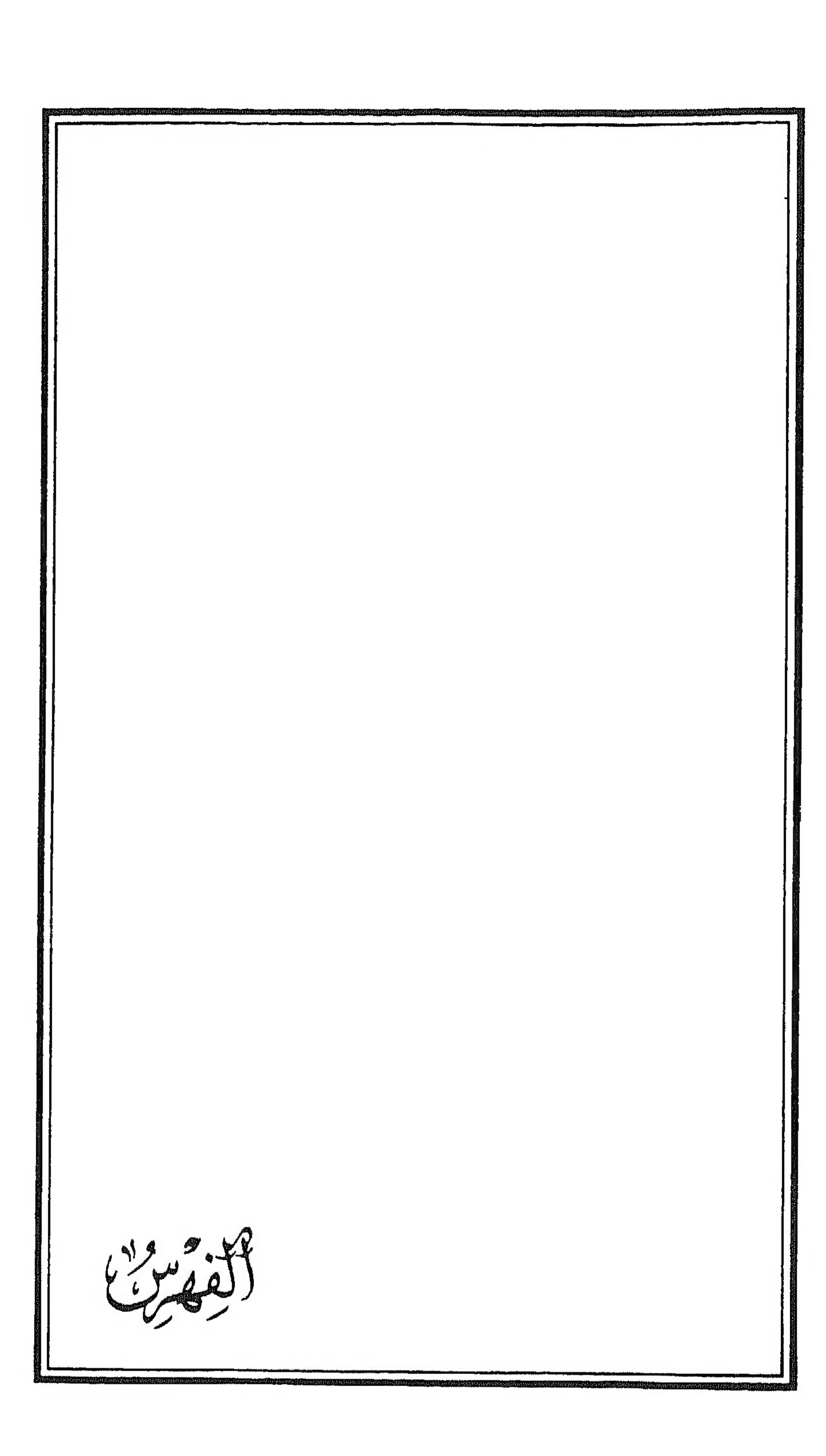
المؤلف : سماحة العلّامة الرّاحل آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة

تعريب : عبد الرحيم مبارك

الطبعة الأُولى : ١٤١٧ هجريّة

عدد النسخ : ٢٠٠٠

الناشر : دار المحجّة البيضاء


الفهرس



فهرس مطالب و موضوعات

معرفة المعاد

الجزء الثالث

المطالب	الصفحات

المجلس الخامس عشر :

الملازمة بين مشاهدة الموجودات المثاليّة مع نسيان عالم الكثرة

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٣٢

يشمل المطالب التالية :

الدرس السادس عشر :

الأمل بالعفو عن المستضعفين الذين لا سبيل لهم للوصول إلى الحقائق

الصفحة ٣٥ إلى الصفحة ٨٤

يشمل المطالب التالية :

فهرس المطالب و الموضوعات

الدرس السابع عشر :

كيفيّة ارتباط عالم البرزخ بعالم الطبع والقبر

يشمل المطالب التالية :

الدرس الثامن عشر :

ارتباط الأرواح مع أهل الدنيا

الصفحة ١٤٥ إلى الصفحة ١٦٨

يشمل المطالب التالية :

المطالب	الصفحات

الدرس التاسع عشر :

تقارن الملكوت البرزخيّ للإنسان معه في البرزخ

الصفحة ١٧١ إلى الصفحة ١٩٨

يشمل المطالب التالية :

المجلس الخامس عشر

الملازمة بين مشاهدة الموجودات المثالية مع نسيان عالم الكثرة



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله ٱلعليّ ٱلعظيم

وصلّى ٱللهُ على محمّد وآله الطّاهرين

ولعنة ٱللّه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا * أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا .[1]

يقول الذين لا يرجون زيارتنا ولقاءنا : لماذا لا تنزل علينا الملائكة ؟ ولماذا لا نرى الله ؟!

أي أنّهم يقولون للنبيّ : إنْ أريتّنا الله عياناً ، أو أنزلتَ علينا الملائكة فلمسناهم وشاهدناهم لآمنّا آنذاك ؛ أمّا ونحن لم نَرَ الله ولم ينزل علينا مَلَك ، فهيهاتَ أن نؤمن لك ! وكلامهم هذا مُجانب للصواب كثيراً ،

١ـ الآيات ٢١ـ٢٤ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .

وناشيء عن روح التكبّر والاستكبار فيهم ، إذ حين سيرون الملائكة فإن أمرهم سيكون قد قُضي وانتهى .

على أنّ أمثال هؤلاء المعاندين المتمرّدين الذين لا يخضعون للحقّ بسبب استكبارهم النفسيّ وتعاليهم ، لن يتلقّون من الملائكة أيّ بشارة ، بل سيُهاب بهم بالطرد والمنع فيُحجر عليهم ويُمنعون من الورود في عوالم المسرّة والبهجة .

ولأنّ عملهم في الدنيا لم يدرْ على محور رضانا والأمل في التقرّب إلينا ، فقد قدمنا إليه واستولينا عليه وجعلناه بإرادتنا القاهرة هباءً متناثراً في الفضاء الفسيح ، مُضمحلاً مُتبدّداً مُتشتّتاً .

أمّا أصحاب الجنّة الذين كانوا يرجون لقاءنا ، فسيستقرّون ذلك اليوم في مكان يفيض طمأنينة وأمناً ، ويخلدون إلى الراحة في ذلك المكان المريح .

وتتضمّن هذه الآيات العائدة إلى البرزخ نكاتٍ عجيبة ودقائق جمّة غريبة ، في أنّ سبب التمرّد وعدم القبول بالآيات الإلهيّة وبرسالة الرسول أمرٌ ناجم عن استكبار النفس . وعلى هذا فما دام الاستكبار ـ أي التعالي والعُجب وامتداح النفس وتضخيمها ـ باقياً ، فإنّ سبيل الوصول إلى الحقائق سيكون مسدوداً ، لأنّ هذا العتوّ والتمرّد سيقف حائلاً في وجه جميع الأفكار المنطقيّة الصائبة ، ويبرّر منطق جميع الأفكار السقيمة الخاطئة ويوظّفها للوصول إلى نوايا هذه النفوس المتمرّدة . ومن ثمّ سيُقبر صاحب النفس المستكبرة ويُدفن إلى الأبد في سجن الجهل ومقبرة النظر الخاطئ والرؤية الفجّة غير المقبولة النابعة من الغرور والعُجب .

يقول المستكبرون : إنّنا لن نؤمن ما دُمنا لا نرى الله ، وما دامت

الملائكة لم تنزل علينا !

فما أبعد هذا الكلام في ميزان الواقع ووجدان الحقيقة عن الصواب والاعتبار !

فبعد أنْ علم هؤلاء أنّ النبيّ صادقٌ ومُصيب في دعواه ، وأنّه مُرسَل من قبل الله تعالى ، وأنّ قلبه متّصل بعالم الغيب ، وأنّه أقام البيّنات والحُجج للشهادة على ذلك .

وبعد علمهم بأنّ هذا الرجل لا يتحرّك في إطار الموازين العاديّة والطبيعيّة وأنّه مرتبطٌ بعالم الغيب وملكوت العالم ، ومستقرٌ في منهل معدن الوحي والعظمة ، فهو يتعامل من هناك مع عالمنا هذا ، عالم الطبع والمقاولة والتكليف ؛ فإنّ حجّتهم في عدم الإيمان إلّا برؤية الله ستكون حجّة مغلوطة ومرفوضة .

فالأنبياء ـ أساساً ـ يأتون بما يمكن من المعجزات اللازمة لإقرار واعتراف البشر ، وحينذاك فإنّ إحالة الإيمان بالله على رؤيته وعلى نزول الملك ـ وهو أمر محال للناس العاديّين ـ لا يمكن أن يُحمل إلّا على التمرّد وعدم الرضوخ لقول الحقّ والصدق . إنّهم يريدون مشاهدة الله عياناً ، وليس الله بجسم ، ولا يُرى بالعين التي تدرك الأجسام والمحسوسات ، والله سبحانه لا يرضى أساساً بذلك الإيمان الذي تريدون أن تصلوا إليه بعد رؤيتكم لله عياناً ، إذ ليس ذلك إيماناً ، بل هو الكفر المبين .

وكيف من ثمّ ـ على فرض المحال ـ يجسّد الله نفسه لكم على هيئة جسم ـ وليس ذلك إلّا حقيقة الكفر ـ لكي تؤمنوا إيماناً صحيحاً من خلال هذه المقدّمة الكفريّة ؟ أو يمكن أن يكون الكفر مقدّمة للإيمان ؟!

أو هل سُدّت جميع طرق وسبل الإيمان فلم يبقَ إلّا هذه المقدّمة الكفريّة ليستعين بها الله في جعلكم مؤمنين ؟!

يقولون : لن نؤمن حتّى تنزل علينا الملائكةُ !

لكنّ نزول المَلَك ملازم لصفاء الروح وتزكية النفس ؛ فالنبيّ كان يرى الملك لأنّ قلبه كان ملكوتيّاً ، فذلك القلب الصافي المشرق ، وذلك الضمير الواعي الطاهر يمكنه أن يرى المَلَك عياناً .

فطهّروا أنتم أيضاً قلوبكم بأوامر الله وتعاليم هذا النبيّ ، واجلوها من صدأ الشهوة والغضب وخواطر النفس الأمّارة ، واضطرابات الخيالات التمويهيّة لتسكن وتستقرّ ليمكنكم مشاهدة المَلَك !

أمّا والحال أنّكم لم تؤمنوا بعدُ ، فما برحتم مشركين مدنّسين بالرذائل الأخلاقيّة وقبائح الأعمال ، فأنّى لقلبكم المدنّس المضطرب أن يتمكّن من رؤية المَلَك ؟!

عليكم أن تؤمنوا بالله سبحانه تبعاً لأمر هذا النبيّ ، ليتجلّى نور الله في قلوبكم شيئاً فشيئاً بالأعمال الصالحة والنزعات الحميدة إلى عالم الغيب . أمّا رؤية الله فليست بالأعين التي في الرأس ، بل بعين الباطن ،كما أنّ لقاءه إنّما يحصل بالقلب والوجدان والضمير ، وسيزول الكدر وينجلي من القلب تدريجياً باتّباع أوامر النبيّ والعمل بالقرآن الكريم ، فتتّجهون إلى مقصد الإنسانيّة . وستزول الملكات الرذيلة تاركة محلّها للملكات الحسنة التي تظهر بالإيمان والمجاهدة والعبوديّة .

إنّ لقاء الله مترتّب على الإيمان به واتّباع نبيّه ، لأنّ القلب سيطهر آنذاك فيجد قابليّة عكس أنوار العالم المجرّدة الملكوتيّة ، ولربّما أمكن له رؤية الملائكة أيضاً ، بَيدَ أنّ ذلك يحصل بعد الإيمان والعمل الصالح لا قبلهما ، وإلّا لزم منه ترتّب العلّة على المعلول ، وهو محال ! ثمّ إنّ عقلكم ووجدانكم يحكمان بأنّ عليكم الرجوع إلى النبيّ في هذا الأمر والتسليم لأمره ، فرجوع الجاهل للعالم من الأحكام الفطريّة والعقليّة . وعلى الإنسان

أن يرجع إلى أهل الفنّ في كلّ أمر ليس له فيه تخصّص أو بصيرة ، فيتّبع إرشاداتهم الواعية ، فيرفع بها جهله ويمهّد بها سبيله . فإن قال (إنّني لا أرجع إلى أهل الفنّ حتّى أفهم دليل ذلك) فإنّه سيكون قد ألقى بنفسه في ألف مخاطرة وتهلكة . **وَ مَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** .[1]

لقد أُوتينا قليلاً من العلم ، فكيف سيمكن للإنسان أن يقف بشكل كامل على كلّ علم من علوم الدنيا ومن العلوم الإلهيّة والعلوم المجرّدة لعالم الملكوت ، ثمّ يكون في صدد العمل والفعل ؟!

ذاك أمر محال ، لأنّ وجود الإنسان محدود ، ولن يمكنه ـ من ثمّ ـ الإحاطة بالعلوم غير المحدودة .

إنّ المريض الذي يُراجع الطبيب لا يمكنه أن يقول له : إنّني لن أستعمل الدواء الذي تريد إعطاءه حتّى أعلم ما هو ، وما هي تركيباته ، وممّ استُخلصتْ موادّه ، وما الفعل والانفعالات التي سيؤثرها في بدني ؟ ولو قال ذلك ، فلن يكون أمام الطبيب من سبيل إلّا أن يقول له : لا تستعمل الدواء ، واذهب لتموت !

الطبيب يقول : لقد درستُ وطالعتُ سنين طويلة متمادية حتّى حصلت على الخبرة ، ولقد أنفقت عمري حتّى فهمتُ وأدركت ؛ وعليك أنت أيضاً ـ وفق هذا المنوال ـ أن تقضي العمر في المطالعة والتجربة لتفهم دليل ذلك !

لكنّك لم تفعل شيئاً من هذا ، وها أنت مريض قد راجعتني بعد ثقتك بإخلاصي وخبرتي ، وعليك ـ بحكم الفطرة والعقل ـ أن تسلّم أمرك لي وتقلّدني دون مناقشة ، فليس هنا مكان لـ(لِمَ وبِمَ ولعلّ ولكنّ) !

---

١ ـ الآية ٨٥ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

فإن أصغى المريض لكلام الطبيب هذا ، فسينقذ حياته ويحصل على حياة جديدة ، وإلّا فإنّه سيسلك طريق الهلاك ويحفر قبره بيده .

وفي موسم الحجّ تتوجّه القوافل إلى بيت الله الحرام ، فإن جلس أحد المسافرين في زاوية من المطار قائلاً : إنّني لن أصعد إلى الطائرة حتّى أعلم كيف تتحرّك ، وأعلم أيّ خاصيّة للتحريك يوجدها البنزين في محرّكها ، وكيف يتمّ تبديل البنزين إلى الغاز ، أبواسطة المراوح أم بالامتصاص ؟ وأعلم ـ أساساً ـ كيف تقوم المكابس فيها بتحشيد الهواء وضغطه ، وكيف تقوم بإخراجه ؟ وكيف يتمّ نقل حركة المكبس إلى محور التدوير في محرّك الطائرة ؟ وأسئلة أُخرى عن آلاف التفاصيل الدقيقة الكهربائيّة والميكانيكيّة والفيزيائيّة والكيميائيّة وغيرها ، التي صرف في كلٍّ منها آلاف الأشخاص سنين طويلة من عمرهم فحصلوا على الخبرة والعلم فيها .

فسيُقال في جوابه : لعلك مُختبط قد اضطربت حواسك ! تعالَ واركب فالطائرة ستتحرّك الآن ، بينما ستبقى جالساً في زاوية الجهل هذه . حسناً ، فلتجلس وتفكرّ ثمّ اركب بعد ذلك ! ثم تتحرّك الطائرة بالحجّاج فيقومون بأداء مناسك بيت الله الحرام ، ويتشرّفون بزيارة المدينة المنوّرة ثمّ يعودون بينما هذا السيّد لا يزال جالساً في زاوية المطار مشغولاً في التفكير وفي الحصول على برهان ودليل . وكفى به جهلاً يؤدّي إلى البؤس والتخلّف عن قافلة عالم الوجود ، وإلى الحرمان من آلاف العبادات السمعيّة والبصريّة واللسانيّة ، ومن مشاهدة الآيات الإلهيّة التي وجدت طوال هذا السفر .

إذاً فعلى من يريد بناء عمارة ما ، أن يذهب إلى المهندس المختصّ ، وعلى من يريد خياطة لباس ما أن يراجع الخيّاط . أفيمكنه ـ ترى ـ أن يقول للمهندس وللخيّاط : ليس لكما الحقّ في الشروع في عملي هذا ما لم

تعلّماني تفاصيله وأسراره وتقوما بشرحها لي ؟

وعلى ضوء ذلك لا يمكن لأيّ إنسان يريد العيش في هذه الدنيا بهذا العمر القصير وبهذه الفرص الضئيلة والحدود والقيود التي لا تُحصى ، أن يُجيز لنفسه الاجتهاد والتخصّص في جميع الفنون . وعليه حتماً أن يقلّد في كثير من الفنون ، بل في معظمها ، فيرجع فيها إلى المختصّ في ذلك الفنّ ويتبعه . وإذا ماكان الإنسان أخصائيّاً في أحد الفنون ، فإنّه مقلّد في الباقي .

أي أنّ الطبيب الأخصّائيّ في معالجة الأبدان هو مقلّد في فنّ الهندسة الميكانيكيّة ،كما أنّ المهندس الذي صار مجتهداً خبيراً في علم طبقات الأرض ، هو مقلّد في فنّ الطبابة ، بل إنّ طبيب العيون مقلّد لطبيب الأسنان وطبيب الأسنان ـ بدوره ـ مقلّد لطبيب العيون .

والأمر كذلك بالنسبة إلى الطبيب الأخصّائيّ في عمليات القلب الجراحيّة ، إذ هو مقلّد للطبيب الأخصّائيّ في فنّ المجاري البوليّة وأمراض الكلية والمثانة ، والعكس صحيح . فتلك هي السنّة الجارية منذ القدم في عالم الطبع هذا ، وستبقى كذلك .

وها هم يتخيّلون أنّهم وردوا عالم الملكوت فهم يقولون : إنّنا لن نؤمن حتّى نرى الله عياناً أو تنزل علينا الملائكة ؛ يضاهي كلامهم مقولة لأحد الجرّاحين الأخصّائيّين مفادها : أنّني لا أعترف بالله لأنّني لم أجده تحت مبضع الجراحة .

إنّ كلام المادّيّين والطبيعيّين في العصر الحاضر يماثل تماماً كلام الدهريّين من السابقين مع تغيير شكل البحث وصورته ، وإلّا فإنّ الأصل والمحتوى والمفاد واحد ليس إلّا .

لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ .

أي أنّ كلامهم لا يرتكز على منطق صائب ، ويفتقر البلاغة

والأصالة ويستمدّ نشأته من الاستكبار والتعالي.

فهؤلاء الأفراد يأبون الاستسلام لمنطق الصواب والإصغاء إلى أمر الحقّ؛ لذا فإنّهم يعدّون أنفسهم معذورين ومأجورين بمثل هذه الأعذار، أمّا في الحقيقة فإنّ الاستكبار هو علّة عدم قبولهم، إذ يُخال إليهم أنّهم أنزه وأقدس وأعلى رتبة من أن يخضعوا لأوامر شخص مثلهم يدعوهم من قِبل الله تعالى باسم النبيّ والرسول. يشهد على هذا المدّعى كلامهم حيث يقولون: **أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ؟!**

ونظير هذا المرض الروحيّ موجود في كثيرٍ منّا، حيث نطرح آلاف الأنواع من التشكيكات في مقام تقليد المجتهد العادل، ولا نريد الانضواء تحت تبعيّته العلميّة والعمليّة، ثمّ نتوقّع بالنسبة إلى حكومة الإسلام ودولته أن تتشكّل حتماً على يد إمام العصر أرواحنا فداه، ونعيب على كلّ حكومة وإن أقيمت على يد الفقيه العالم العادل ونسقطها من درجة الاعتبار، ونحصر أمر إجراء الحدود وتعيين الحكّام وإقامة صلاة الجمعة بالإمام عليه السلام.

ومع إمكان تشكيل دولة الإسلام على يد الفقيه الجليل زمن الغيبة، إلّا أنّنا نرضخ لآلاف المظالم والجرائم المختلفة، ونلائم أنفسنا مع الحكومات الظالمة الجائرة لأنّنا نتصوّر أنّ تشكيل الحكومة يجب أن يحصل فقط على يد الإمام عليه السلام.

ولو أصدر الإمام نفسه تبعاً للأدلّة والموازين الشرعيّة، وبعناوين عامّة أو خاصّة، أمراً بتشكيل حكومة، فإنّنا ـ مع ذلك كلّه ـ سنحاول إسقاط تلك الحكومة بأنواع الشبهات الواهية المختلفة، غير عالمين بأنَّ تشكيل حكومات تُقام على أساس العدل في العالم وإجراء الحدود الإلهيّة ونصرة المظلوم يُعدّ بنفسه عاملاً مساعداً في إقامة حكومة العدل العالميّة وفي

التعجيل بالفرج .

وهذه الخيالات والشبهات ناشئة بأجمعها من الاستكبار ، أي أنّنا نعدّ نفوسنا في الذروة من النزاهة ، فلسنا ـ من ثم ـ مستعدّين للمشاركة في صلاة جمعة يُقيمها فرد مثلنا ، وللانضواء تحت حكومة فقيه مثلنا أو مبايعته . حتّى أنّنا لسنا مستعدّين للحضور في جماعة رجل عادل لنكون مأمومين بدل أن نكون إماماً ، إذ ستختلق لنا أنفسنا عذراً وحجّة باسم العدالة على نحو عامّ ،كما ستلد آلاف الشبهات والتشكيكات تجاه ذلك الإمام موضوعاً على نحو جزئيّ ، بينما لا تصدر أمثال هذه الشبهات في سائر الأُمور الأُخرى بل تقوم ـ على العكس ـ بتبرير الشبهات الواقعيّة وتأويلها ـ بنحوٍ ما ـ على محمل صحيح .

ولقد وضع القرآن الكريم اسماً لهذا المرض الروحيّ هو **الاستكبار** ، وما أعجبها من تسمية !!

وعلى نحو الإجمال فإنّ أكثر الأعمال ذات الظاهر المقدّس الصادرة من المتلبّسين بالظواهر المقدّسة ناشئة من روح الاستكبار والعُجب ، إذ يُقحمها هؤلاء ـ عمداً أو عفواً ـ في عنوان القدسيّة ، ويقضون أعمارهم معها ، ويُمرّرونها على المحرومين وعلى عوامّ الناس ، فيخيّل لأُولئك المساكين أنّ أمثال هؤلاء المستكبرين زهّاد عُبّاد من أهل التقوى والورع فَضَلّوا وَ أَضَلّوا عَن سَواء ٱلسَّبِيل .

ويذكر القرآن الكريم على لسان المستكبرين أنّهم كانوا يتحاشون ـ على أساس من القدسيّة والاحتياط والنهج المتحفّظ ـ أن يتّبعوا رسول الله ـ لا سمح الله ـ دون دليل؛ لذا فقد كانوا يسألونه دليلاً محالاً، وهو رؤية الله سبحانه أو نزول المَلَك ، ويعدّون ذلك عذرهم الموجّه وحجّتهم القاطعة النافذة ؛ بَيدَ أنّهم انغمروا في جهلهم المركّب وأغلقوا ـ بهذا المنطق

والبيان ـ السبيلَ لأيّ تكامل ورُقيّ .

إنّ هذا العالم هو عالم المادّة والجسميّة ، أمّا المَلَك فموجود ملكوتيّ ومجرّد عن المادّة ، فإن شاء النزول إلى هذا العالم فإنّ عليه التلبّس بلباس الجسم ، بينما ليس الملائكة بجسم ؛ أو أنّ على الإنسان ـ من أجل رؤية الملائكة ـ أن يرقى عن هذه الدنيا فيخلع لباس المادّة والجسميّة ، ويذهب إلى عالم المثال والبرزخ ليُشاهدهم . وهذا الأمر ـ بالنسبة إلى الأفراد الذين لم تشرق قلوبهم بنور الله والعاجزين عن خلع البدن وارتدائه ـ سيحصل بعد الموت الطبيعيّ ، ومن ثمّ فإنّ رؤية الملائكة للناس العاديّين أمر محال .

لقد كانوا يعترضون على رسول الله : لماذا لم يرسل الله إلينا مَلَكاً نبيّاً ، فلقد كان من الأجدر أن يرسل الله بالرسالة ملكاً نتّبعه ، فنزلت الآية :

وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ .[1]

فافرضوا الآن ـ على هذا الأساس ـ أنّ نبيّكم هو مَلَك ارتدى لباس المادّة وهبط إلى هذا العالِم ، إذ ليس من مَلَك يهبط إلى عالم المادّة إلّا ويرتدي لباس المادّة ، وإذا ما شاء الإنسان مشاهدته توجّب أن يراه على هيئة جسم ،كما أنّ الإنسان يستطيع رؤية المَلَك في هيئته الحقيقيّة المجرّدة حين يكون ـ بدوره ـ قد صار مجرّداً .

وهكذا فإنّ من يرحل عن هذا العالم ؛ إمّا بالخلع الاختياريّ ونسيان عالم الكثرة أو بالموت والخلع الاضطراريّ ؛ فإنّه سيرى المَلَك .كما أنّ الشخص المحتضر يرى مَلَك الموت لأنّه اكتسب حالة التجرّد ، بينما لا يرى المحيطون به شيئاً لأنّهم لم يحصلوا على تلك الحالة ولم تتوفّر لهم شرائطها . لذا فإنّ طلب رؤية المَلَك بدون حصول شرط التجرّد هو تمنٍّ

١ـ الآية ٩ ، من السورة ٦ : الأنعام .

مشروط بدون حصول شرطه :

وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا .

وهو كلام جائر قد تخطّى القاعدة والقانون والسنّة الإلهيّة ، كما أنّ أصحاب هذا المنطق هم من الجائرين المعتدين .

وتبعاً للقواعد الفطريّة والعقليّة فإنّه يجب تقليد رسول الله واتّباعه كما أنّ القاعدة الشرعيّة ـ بدورها ـ تُمضي ذلك وتقرّه ؛ وإلّا فإنّ قافلة المؤمنين ستشدّ الرحال وتصل بتعاليم الله إلى حيث مقام قاب قوسين أو أدنى ، بينما يبقى المتمرّدون والمستكبرون أسرى جهنّم الجهل ومظاهر عالم البُعد ، محرومين معذّبين في شرنقة العُجب والغُرور .

وفي سورة الإسراء ، يطالب منكرو رسالة رسول الله بشواهد مادّيّة وثروات طبيعيّة ، ويعتبرون إيمانهم منوطاً بها ، ثمّ يطلبون طلباً مماثلاً لموضوع البحث .

تقول الآية :

أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا * وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا * قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا * قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا .[1]

يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا

١ ـ الآيات ٩٢ إلى ٩٦ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

مَّحْجُورًا.[١]

إنّ الإنسان سيرى الملائكة حين يكون قد شدّ الرحال عن هذه الدنيا وحال الموت بينه وبين هذا العالم، ولن يكون آنذاك من بشرى للمجرمين، فالطريق قد أُغلق والاختيار قد انتهى دوره، وسيلقون هناك ملائكة غلاظاً شداداً فيهم من حميم جهنّم علامات وآيات، فيقولون لهم: سنحجر عليكم ونمنعكم أشدّ المنع من الورود إلى عالم القُرب والجنّة. لقد كنتم تريدون رؤيتنا في الدنيا كي تؤمنوا، وهذا الإيمان لا يغني شيئاً، ولقد ربح الذين آمنوا دون أن يشاهدوا: **ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ** هم الفائزون والرابحون.

وقد ورد في الرواية أنّ من نظر إلى امرأة أجنبيّة فغضّ بصره لله، فإنّ الله سبحانه سيهبه حوريّة في الجنّة جزاء له على فعله هذا.[٢]

وهكذا فإنّهم يعطون الحوريّة لمن لم يشاهدها جزاء غضّ بصره؛ وإلّا فلو رأى امرؤ الحوريّة أوّلاً ثمّ عمد إلى غضّ بصره فإنّه لن يكون قد فعل ما يستدعي العجب. فمن ـ يا ترى ـ لن يفعل ذلك ويبادل الحوريّة بنظرة واحدة ؟!

وإذا تقرّر أن يشاهد الإنسان الجنّة أوّلاً ثمّ يصلّي ويدفع الزكاة ويجاهد ويصمد في المحن والشدائد باستقامة وصبر، ويخطو في ذلك بقدم صادقة، فسوف لن يوجد في جميع العالم شخص جهنّميّ واحد، وسيكون

١ـ الآية ٢٢، من السورة ٢٥: الفرقان.

٢ـ ورد في «الوسائل» طبع أمير بهادر، المجلّد الثالث، كتاب النكاح، الباب ١٠٤ (تحريم النظر إلى النساء الأجانب وشعورهنّ)، في الرواية التاسعة التي نقلها عن الشيخ الصدوق: وقال الصادق عليه السلام: **مَنْ نَظَرَ إلَى امْرأةٍ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إلى السَّماءِ أو غَضَّ بَصَره لم يَرتدّ إليه بَصَرُهُ حتّى يُزَوِّجَهُ اللَّهُ مِنَ الحُورِ العِينِ.**

جميع الأفراد ـ على أساس هذه المعادلة ـ من أصحاب الجنّة متّقين صالحين مؤمنين بشكل محض .

لكنّ هذه الجنّة هي جنّة العالم الذي سبق هذا العالم ، هي جنّة عالم الذرّ لا جنّة عالم التكليف . وينبغي أن يُصار في جنّة الدنيا إلى التغلّب على المقاصد الشيطانيّة بالصبر والتحمّل وبالإرادة والاختيار ، ومن ثمّ ينقسم الناس إلى فئتين : سعيد وشقيّ . وينبغي على المرء ـ إجمالاً ـ أن يؤمن بالغيب وأن يعمل ، وهذا العمل سيوجب ازدياد الإيمان ، وسيوجب الإيمان الأكثر ـ بدوره ـ ازدياد العمل ، وهكذا ستدعم كلّ مرتبة من مراتب الإيمان والعمل ومراحله المرتبةَ الأُخرى وتقوّيها باستمرار ، وصولاً إلى مرحلة الإخلاص وعالم القرب . قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : **مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** .

وقال تعالى : **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنْثُورًا** .

وبصفة أنّ الأعمال التي يقوم بها الكفّار والمشركون ، لم تكن لأجل رضانا وتقرّباً إلينا ، وباعتبار انبعاثها من النوايا المادّيّة والدنيويّة من رياء وسمعة وصيت وعُجب وأنانيّة ، ومن أجل أن تُدوّن أسماؤهم في تأريخ المدنيّة وعلم الاجتماع من أجل نيل الجوائز العالميّة والحصول على المفاخر القوميّة والغرور الوطنيّ وأمثال هذه الدعاوى التافهة التي لا أساس لها ، فإنّها لا تمتلك لدينا قيمة ولا ثمن ، وسنعمد إليها بإرادتنا الراسخة فنجعلها هباءً وغباراً متناثراً في الفضاء الفسيح الممتدّ .

ولأنّ هذه الأعمال المشتّتة لم تمتلك أصالة كلمة التوحيد ، فإنّها لن تستند إلى أصل وأساس راسخ ومتين ، وستتفرّق لذلك وتتشتّت على أساس عالم الكثرة والاعتبار الواهي ، ولن تغني عن أصحابها شيئاً .

أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا .

أمّا أصحاب الجنّة الذين كانوا يرجون لقاءنا، والذين أرسوا على تلك القاعدة الأصيلة حياتهم الدنيويّة، وأسّسوا برنامجهم في الاجتماع والخلوة والجلوة وسائر جهات أمورهم، فإنّهم سيكونون عند نزول ملائكة الموت في أفضل مأوى ومقرّ، مطمئنّين مستقرّين دون دغدغة أو وسوسة أو خواطر شيطانيّة، مخلدين إلى الراحة على أفضل وجه في محلّ الاستراحة الذي يسبق الوصول إلى الهدف الأقصى والمنزل الأسنى، مطمئنّين فارغي البال في استراحة القيلولة الممتعة.

وهذه الآية عائدة إلى البرزخ، لأنّ **مَقِيل** إمّا بمعنى **قَيْلُولَة**، أي النوم قبل الظهر، أو بمعنى اسم مكان، مثل **مَبِيت**، أي محلّ نوم القيلولة والمبيت.

وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ الآيات التي يرد فيها ذكر زمانٍ ما، كالصبح والعصر والظهر وغير ذلك مختصّة بالبرزخ، بالرغم من أنّه ليس هناك نوم في عالم البرزخ، إلّا أنّ نفي النوم نسبة إلى الدنيا، لا بشكل مطلق، فالناس الذين يعيشون في هذه الدنيا هم نائمون جميعاً، فإذا ماتوا استيقظوا.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

النَّاسُ نِيَامٌ إذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا.[1]

ومن هنا فإنّ عالم البرزخ هو عالم اليقظة، إلّا أنّ عالم البرزخ هذا هو عالم النوم قياساً إلى القيامة، لأنّ الأخيرة تمثّل الصحو المحض المطلق، أمّا عالم البرزخ الواقع بين الدنيا والقيامة، والواقع بين العالمين حقيقةً في الآثار والكيفيّات وسائر الخصائص بلحاظ قوّة الحياة وقوّة العلم والقدرة، فإنّه عالمٌ بين العالمين وبرزخٌ بين النشأتين. كما أنّ الحياة والعلم والقدرة

١ـ «مرصاد العباد» طبع مؤسّسة (ترجمه ونشر كتاب)، ص ٤٦٨، و ص ٦٦٠.

في ذلك العالم أقوى بدرجات من الدنيا وأضعف بدرجات من الآخرة ، لذا فإنّ الإدراكات فيه أقوى من الدنيا . فهو ـ إذَن ـ قياساً إلى الدنيا في حكم عالم الصحو واليقظة قياساً إلى عالم النوم .كما أنّ له حكم عالم النوم قياساً إلى القيامة .

يقول أهل البرزخ يوم القيامة لربّهم :

قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ .[1]

والمراد من الإماتة مرّتين : الإماتة في الدنيا باتّجاه البرزخ ، والإماتة في البرزخ باتّجاه القيامة ؛ والمراد من الإحياء مرّتين : الإحياء في البرزخ بالارتحال من الدنيا إليه ، والإحياء في القيامة بالارتحال من البرزخ إليها .

فالإنسان الذي يرحل عن الدنيا ويرد في البرزخ هو ميّت نسبة إلى نشأة الدنيا ومبعوث من الموت بالنسبة إلى نشأة البرزخ . ثمّ إنّه يخرج من البرزخ عند النفخ في الصور فيرد القيامة ، فيكون ميّتاً بالنسبة إلى نشأة البرزخ ومبعوثاً من الموت بالنسبة إلى نشأة القيامة ، وهناك ـ إذَن ـ تلازم بين الموت من عالم الطبيعة وبين الحياة البرزخيّة ،كما أنّ هناك تلازماً بين الموت من عالم البرزخ وبين حياة النفس والقيامة . ومن ثمّ فإنّ كلّ موت سيستلزم حياةً بعده ، وأنّ أمامنا موتين وحياتين . وبشكل عامّ فإنّ الوصول إلى كلّ درجة من درجات التكامل في سلسلة مدارج الكمال ومعارجه سيتلازم مع طيّ الدرجة السابقة وفناء وزوال جميع الدرجات السابقة في هيئة مُعِدّات .

ولذلك فقد سمّى القرآن الكريم هذه الحياة في القيامة بعنوان القيام ،

١ـ الآية ١١ ، من السورة ٤٠ : غافر

لأنّ جميع العوالم ستكون قد انطوت وتصرّمت، وحان الحين آنذاك للقيام ولحياة النفس والقيامة:

يَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ [١]

كما ورد لفظ **قِيَامُ السَّاعَةِ** في كثيرٍ من الروايات.

ويُدعى عالم البرزخ أيضاً بعالم المثال، لأنّ المثال بمعنى النموذج والشبيه؛ وعالم البرزخ هو نموذجٌ من عالم القيامة وشبيهٌ له، وعالم المثال حاكٍ عن القيامة بقدر سعته وظرفيّته، وسعة عالم المثال تطابق سعة عالم الصورة الذي يتضمّن الكمّ والكيف؛ وحاكية بنفس القدر عن الأنوار النفسيّة للقيامة الكبرى وعن درجات الصدّيقين وأصحاب اليمين وعن دركات المنكرين والجاحدين وأصحاب الشمال. تماماً كما تحكي الصورة المتجليّة في المرآة ـ التي هي وعاء تشكّل وتصوّر الصور بقدر قابليتها وسعتها ـ الإنسانَ الذي يواجه تلك المرآة، فتشير إليه وتمثّله؛ بَيدَ أنّها لا تمتلك إلّا القدرة على حكاية تلك الصورة فقط.

إنّ المرآة تُظهر لون الوجه، البكاء والضحك، الحزن والفرح، الكِبر والصِّغر، الحُسن والقُبح، الإضاءة والعتمة، والزوايا الناشئة من القسمات والسحنات التي تميّز بها الوجوه عن بعضها. لكنّها لا تستطيع أبداً أن تُظهر الشخصيّة، المقام، درجة السعادة والشقاء، الصفات الحسنة والسيّئة والملكات الحميدة وغير الحميدة، كالشجاعة والعفّة والعصمة والعبوديّة أو البُخل والحسد والشُهرة والطمع.

بلى، إنّ المرآة لا صورة فيها لنفسها، ولا لون ولا شكل ولا كم ولا كيف، بل إنّ صورتها ولونها وكمّها وكيفها تابع للشكل الذي يواجهها

١ـ الآية ١٢، من السورة ٣٠: الروم.

ويقف أمامها .

والأمر كذلك بالنسبة إلى عالم البرزخ ، فالموجودات الصوريّة والمثاليّة التي تتحقّق فيه تابعة للحُسن والقُبح المعنويّين ، وللسعادة والشقاء والإيمان والكفر ، والعدالة والفسق ، وسائر خصائص الشخص الذي تحكي عنه تلك الصورة والمثال .

وما أبدع وأبلغ التعبير الوارد عن الصادق عليه السلام في رواية نقلها المرحوم الصدوق في كتابه «الأمالي» ، ونقلناها في المجلّد الثاني من هذا الكتاب !

فقد ورد في تلك الرواية أنّ المؤمن حين يوضع في قبره ويأتيه المَلَكان فتّانا القبر منكر ونكير فيسألانه عن ربّه وعن دينه وعن نبيّه فيُجيبهما بالصواب :

فَيَفْسَحَانَ لَهُ قَبْرَهُ مَدَّ بَصَرِهِ .[1]

وبطبيعة الحال فإنّ هذا الانفساح والسعة ليسا انفساحاً وسعة خارجيّين ، كما أنّ القبر ليس قبراً خارجيّاً ؛ بل المراد بالقبر عالم برزخ المؤمن ، والمراد بالسعة والانفساح سعة وفسحة معنويّة مثاليّة ، وهذه السعة والانفساح تابع مباشر لمقدار شعاع نور بصر المؤمن ، فهما يفسحان له قبره إلى الحدّ الذي يمكن لعينه أن تبصره . وبالطبع فإنّ مقدار شعاع نور البصر المعنويّ لأصحاب اليمين والأبرار والمقرّبين والمخلصين مختلف ، فكلّ واحد من هذه الأصناف له شعاع نور بصر يمتاز عن الفرد الآخر حسب اختلاف العمل وتفاوت درجة الورع . من ثمّ فإنّ شعاع نور أبصار أصحاب اليمين هو مراتب عالم النفس وسعتها الوجوديّة التي أحاطت بالسماوات

١ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ١٧٤ .

والأرض ، وأمّا شعاع نور أبصار المقرّبين فقد تخطّى ذلك ، فصار يتمتّع بالأسماء الحسنى الإلهيّة ، وأمّا شعاع نور أبصار المخلصين وحملة ألوية مقام الحمد وأصحاب الشفاعة الكبرى ؛ أي المقام المحمود ؛ فيتخطّى الأسماء والصفات الإلهيّة وينتهي إلى الذات القدسيّة للحيّ القيّوم فيفنى فيها ؛ هناك حيث يُزال القُرب والبُعد وتمّحي الجهات ، فليس غير الحضرة الربوبيّة من أحد يعلم أو يمكنه أن يعلم أو يُدرك مدى هذه السعة والانفساح .كما جاء في الحديث القدسيّ :

أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَلَهُ مَا أَطْلَعْتُكُمْ عَلَيْهِ ، إِقْرَأُوا إِنْ شِئْتُم : فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ .[1]

وكما جاء في الحديث القدسيّ :

عَبْدِى أَطِعْنِي حَتَّى أَجْعَلَكَ مِثْلِي ؛ أَنَا حَيٌّ لَا أَمُوتُ أَجْعَلُكَ حَيّاً لَا تَمُوتُ ؛ أَنَا غَنِيٌّ لَا أَفْتَقِرُ أَجْعَلُكَ غَنِيّاً لَا تَفْتَقِرُ ؛ أَنَا مَهْمَا أَشَاءُ يَكُونُ أَجْعَلُكَ مَهْمَا تَشَاءُ يَكُونُ .[2]

ثمّ إنّه يقول بعد الآيات التي بحثناها : **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ**

١ـ أورد هذا الحديث القدسيّ في كتاب «كلمة الله» ؛ ص ١٣٤ . وقال في ص ٥٣٤ عند ذكر سنده إنّه نقله عن كتابين : الأوّل عن «التفسير الصغير» للفضل بن الحسن الطبرسيّ ، والثاني عن «أسرار الصلاة» للشهيد الثاني .

٢ـ أورد هذا الحديث في «كلمة الله» ص ١٤٠ . وقال في ص ٥٣٦ عند ذكر سنده إنّه نقله عن ثلاثة كتب : الأوّل : «عدّة الداعي» لأحمد بن فهد الحلّيّ . الثاني : «مشارق أنوار اليقين» للحافظ رجب البرسيّ . والثالث : «إرشاد القلوب» للديلميّ . ثمّ قال بعد بيان هذا الحديث إنّه ورد أيضاً بهذه الكلمات : يَابْنَ آدَمَ أَنَا غَنِيٌّ لَا أَفْتَقِرُ ؛ أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ أَجْعَلْكَ غَنِيّاً لَا تَفْتَقِرُ يَابْنَ آدَمَ أَنَا حَيٌّ لَا أَمُوتُ ؛ أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ أَجْعَلْكَ حَيّاً لَا تَمُوتُ ؛ أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ ؛ أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ .

وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا * ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا .[1]

هنا يرتفع أنين الإنسان فيضرع أن : ربّ ارجعني إلى الدنيا لأتلافى ما فرّطت في أعمالي . فيصل إليه الخطاب : انّها لقلقة لسان وكلام كنت تردّده مع نفسك في الدنيا ! أوَ لم تكن في الدنيا ؟ أوَ لم تتمّ عليك الحجّة ؟ أماكان الشمس والقمر يطلعان عليك ويغربان ! أوَ لم ينفد الأجل والمهلة ؟

ألم تصلك الحقائق ؟ أفكنتَ عاجزاً ؟ أفكنتَ من المستضعفين ؟

أوَ لم تمتلك ثروات العمر والعلم والقدرة والفراغ والأمن والاختيار بما يكفيك ويفيك في الاختيار ! فَلِمَ لَمْ تعمل ؟ لِمَ كنتَ تنام مع الغفلة وتصحو معها ؟ أوَ لم يكن النوم واليقظة مثالاً للموت والحياة ؟ أوَ لم نقل لك أن تقول حين تنهض من النوم :

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَمَا أَمَاتَنِي وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ .[2]

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي لِأَحْمِدَهُ وَ أَعْبُدَهُ .[3]

لقد متنا وبُعثنا مئات المرّات ، أفلم يكن هذا القدر كافياً ؟ ولقد

١ـ الآيات ٢٥ إلى ٢٩ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .

٢و٣ ـ أورد هذين الدعاءين الشيخُ البهائيّ في «مفتاح الفلاح» ضمن أدعية ما بين انتصاف الليل إلى طلوع الفجر وهو الباب السادس ، ص ٢٢٧ ، وقال : فإذا انتبهت من نومك فأوّل ما ينبغي لك فعله أن تسجد لله تعالى ، فقد روي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا انتبه من نومه يسجد . ثمّ قل في سجودك أو بعد رفع رأسك منه هذا الدعاء . (وفي «مفتاح الفلاح» المترجم ، ص ٢٥٢) .

وأورد الثاني الآخوند الملّا محمّد جواد الكلبايكانيّ رحمه الله في «مصباح الفلاح» ص ١٦٦ ، باب النفس وقولها ، فصل أنواع التفكّر .

شاركنا مئات المرّات في تشييع الجنائز، وحضرنا مجالس التعزية، وسمعنا بآذان قلوبنا صوت آهات وأنين ذلك المسكين الذي واروه في قبره أن: **ربِّ ارجعون لعلّيَ أعمل صٰلحًا**.

أفلم يكن ذلك كافياً للتيقّظ والتنبّه، وللسير في طريق لقاء المحبوب المطلق وشرف زيارة أسمائه الحُسنى؟

إذا أَنْتَ حَمَلْتَ جَنَازَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمَحمُولُ وَكَأَنَّكَ سَأَلْتَ عَنْ رَبِّكَ الرَّجوعَ إلَى الدُّنْيا فَفَعَلَ فَانْظُرْ مَاذَا تَسْتَأْنِفُ؟

وعلينا الآن أن نعلم ما هي علّة عدم رجوع أهل البرزخ إلى الدنيا؟ هل انّهم لا يطلبون العودة حقيقة من الله؟ وليس الأمر كذلك. وهل ـ والعياذ بالله ـ بخل الله سبحانه عليهم بنزول الرحمة في تلك الحال؟ وهذا الآخر ليس صحيحاً، لأنّ الرحمة الواسعة للحقّ تعالى تُفاض على عالم الإمكان بلا شحّة.

فلماذا ـ ترى ـ لا يستجيب الربّ الرحيم دعاء أهل البرزخ وسؤالهم في الرجوع إلى الدنيا إن كانوا صادقين، وما دام هناك إمكان لتكاملهم وترقّيهم في الدنيا في هذا الرجوع؟

إنّ الإجابة على هذه المسألة هي أنّ هذا الطلب والسؤال بالرغم من صدوره منهم على هيئة تمنٍّ صادق، إلّا أنّه صدر في حال فقدوا فيها القوى المختلفة من الشهوة والغضب والوهم، واختفى فيهم حقيقةً ـ بسبب فساد البدن واندراس عالم الطبع ـ تصارع القوى المتضادّة والأهواء المختلفة والنزعات إلى الذنب والاعتداء والظلم لمن يرزح تحت سيطرتهم. ولم يبقَ لديهم ـ بطلوع نور التوحيد وظهوره في مرايا جلال وعظمة وكبرياء الحقّ جلّ وعزّ ـ مجالاً لظهور العُجب والنهج الاستكباريّ والنزعات الفرديّة والغرور والتكبّر والتعالي والطموح الزائد، فهم معترفون

في تلك الظروف بجرائمهم في الدنيا، طالبون العودة للتدارك. لكنّ الدنيا هي عالم الطبع، عالم الكون والفساد، عالم ظهور القوى المادّيّة والشهوات والرغبات الغريزيّة والأهواء الطبعيّة؛ وهي محلّ ظهور حسّ التفوّق والتكبّر وجمع الثروة والتكاثر في النساء والأولاد والاعتبارات، وإلّا لما كانت دنيا.

وعلى افتراض أنّ أُولئك يريدون العودة إلى الدنيا، فإن ذلك بصفة انحصار مجال التكامل والترقّي فيها. ولو أعادهم الله سبحانه إلى الدنيا، لعادت نفوسهم إليها بوجوداتها الفعليّة، إذ لن يخلق الله لهم نفوساً زكيّة نقيّة طاهرة ليعودوا بها إلى الدنيا، إذ إنّهم سيخرجون حينذاك عن ذواتهم، وسيكونون موجودات أُخرى لا علاقة لها بتلك الموجودات الأُولى، في حين أنّ شيئيّة الموجودات إنّما تتمثّل بصورها الملكوتيّة، ووجود وشخصيّة كلّ إنسان بنفسه الناطقة لا ببدنه وجسمه، ولا بالصور النوعيّة والكلّيّة الأُخرى. ولو عاد أُولئكم إلى الدنيا بنفوسهم تلك الموجبة لتشخّصهم، لعادوا من جديد ـ بواسطة هجوم الأهواء والغرائز، وبعلّة ظهور وبروز الوجود الفعليّ من الغضب والشهوة والوهم وحسّ الأنانيّة ـ إلى ارتكاب نفس الأعمال التي كانوا يفعلونها في الدنيا قَبلاً.

وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ.[1]

وفي ضوء ذلك فإنّ صدق كلامهم ليس قياساً إلى الدنيا وشرائطها، بل قياساً إلى عالم البرزخ والشرائط البرزخيّة، وأمّا قياساً إلى الدنيا فهو كلام مخالف للحقيقة تماماً. وسيتّضح ـ عند نيل تلك الشرائط ـ كيف سيعود هؤلاء إلى الذنب والاعتداء والشرك والاستكبار، وتتجلّى طبيعة كذبهم

١ـ الآية ٢٨، من السورة ٦: الأنعام.

وتخرّصهم في ادّعاء الطهارة وطلب تدارك أعمالهم القبيحة ، لذا يُهاب بهم بخطاب :

كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا .[١]

ونظير هذه الحالات يصادف الإنسان في هذا العالم أيضاً ، إذ إنّه حين ينهمك في المعاملات ، وينغمر في الأسباب ، وينصبّ اهتمامه وانتباهه إلى الكثرات ، فإنّه سيغفل عن الله وقدرته وعلمه وحياته وتدبيره ، فيستند إلى تلك الأسباب . أمّا حين تقصر يده عن نيل تلك الأسباب ، وحين ينقطع أمله ويتصرّم ، فإنّه يتّجه إلى الله سبحانه فيضجّ ويضرع ويصرخ أن : اللهم يا رحمن يا رحيم يا عالم الغيب والشهادة أدركني !

وحين يمرض الإنسان فإنّه لا يعتمد على ربّه ولا يتّكل عليه ، بل يسعى جادّاً إلى الطبيب فيستمدّ منه العون ، ثمّ يتناول الدواء ويلتزم بالحمية ويستعمل أبر الدواء ، ويأخذ صور الأشعة لمحلّ المرض والتحاليل المَرَضيّة للدم وغيره، ويأمل في أنّ مرضه قد شُخّص تماماً وأنّ التحسّن قطعيّ محرز.

فإن قال له أحد ما : أيّها السيّد ، استمدّ العون في شفائك من الله . تصدَّقْ على الفقراء وانحرْ شاةً فأطعمها للمساكين والبؤساء ، وأرضِ أبويك الساخطين عليك ، وانذرْ إن شُفيت أن تتشرّف بالحجّ الذي هو فريضة إلهيّة في ذمّتك ، وأن تستفيد من هذه المناسك الإلهيّة ، ثمّ أدم معالجتك في نفس الوقت تبعاً لتعاليم الإسلام ، لكن طلبك الشفاء يجب أن يكون من الله وحده ، وعليك أن تعدّه المؤثّر في تسبيب الأسباب وتأثير العلاج والدواء وعمليّة الدكتور الجراحيّة .

١ـ الآية ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

فإنّه سيردّ : لقد تقدّم علم الطبّ اليوم ، وصار لنا ـ بحمد الله ـ أطباء أخصّائيّون حاذقون يجترحون الأعاجيب في العمليّات الجراحيّة ، ووصل فنّ التحليل والتصوير بالأشعة ـ بدوره ـ إلى ذروة تقدّمه ، فصار بالإمكان ـ وباستخدام الحاسبة الإلكترونيّة ـ تحليل ٢٤ قسماً من الدم خلال دقائق معدودات وإعطاء جواب فوريّ . ثمّ إنّ ذبح الشاة وإطعام الفقراء ليس بالأمر الممكن في المنزل أساساً. (ثمّ يتم كلامه بالعبارة التي يحفظها الجميع أنّه سيتبرّع بنفقات ذلك إلى «الأسد والشمس الحمراء»[1] .

أمّا أبي وأُمّي فرجعيّان قديمان يدعوانني للمسجد ، ويقولان إنّ على امرأتي أن تتحجّب ، وإنّ عَلَيّ إخراج كلبي من البيت ؛ ولا أُريد الخضوع لكلامهما ، وأمّا عن الحجّ ، فلِمَ ننفق أموالنا على العرب ؟ سأذهب إلى باريس للتجوال والنزهة بعد تحسّني فأتنزّه في شارعي (مونت مارت) و(مونت بارناس).

ثمّ يستمرّ في العلاج دون جدوى ، ويرقد مخدّراً ليعمل فيه مبضع الجرّاح ، ويرقد للاستراحة والنقاهة في أفضل المستشفيات المزوّدة بأحسن المعدّات ، ولكن بلا نتيجة ! ثمّ يسافر إلى باريس ولندن مرّة ومرّتين فيصبّ في جيوب أُولئكم ما أمكن له جمعه من أموال هذا الشعب المحروم الذي يمثّل أبواه الرجعيّان أُنموذجاً له ، ويخضع هناك لعمليّات جراحيّة عديدة ، مرّة في الكلية ، وأُخرى في المثانة ، والنتيجة هي الصفر ! ثمّ يكتب لأبويه من هناك : توسّلا من أجلي ! أطعما الطعام ! ثمّ يعود هزيلاً شاحباً ضعيفاً لا يقوى على الكلام ، قد هبط وزنه خمسة عشر كيلو غراماً واتّفقت كلمة الأطباء أنّ لديه سرطان البروستات ، وأنّ العلاج لا ينفعه

١ـ وهو ما يمثّل الهلال الأحمر زمن الطاغية البهلويّ . (م)

شيئاً .

وها هو الآن ينذر أن يذهب إلى مكة !

وها هو يقول لأمّه : أطعمي الطعام وأرسلي ثوابه إلى أُمّ البنين !

وها هو يقبّل يدي والده فيقول : إن شُفيت فسآخذك معي إلى مكّة .

ويقول : عجباً لهذا الطبّ الذي لا ينفع شيئاً . إنّ الطبابة لا تنفع إلّا نفسها . إنّ هؤلاء الملاعين ماهرون فقط في ملء جيوبهم . إنّهم تجّار لا أطبّاء .

وممّا يثير العجب أنّ هذا السيّد المريض نفسه لو شُفي ، فإنّ هذه الحالة النفسيّة ستزول تدريجياً وتحلّ محلّها تلك الحالة الأُولى ، فيقع بينه وبين المعنويّات سدّ محكم بواسطة تسويف الحجّ وتصوّر خرافة تأثير القوّة الغيبيّة في العلاج وبالإتكال ــ بالإعتماد على العلوم الظاهريّة.

هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ .[1]

الله سبحانه هو الذي يسيّركم في البرّ والبحر ، حتّى إذا ركبتم في السفينة وأشرعتم الأشرعة ، سارت بكم تحدوها من خلفها ريحٌ رُخاء طيّبة تهبّ من الساحل ، فجلستم عند الدفّة فرحين مسرورين غافلين عن الله وعمّا يوجب رضاه من العمل الصالح ، منهمكين بالتفرّج والتنزّه (بحيث إنّ أحداً لو قال لكم ـ فرضاً ـ : استعينوا بالله ! لقلتم : لقد أهدى اكتشاف «بابن» الفرنسيّ لقوّة البخار والاختراعات الحاصلة إثره ، هذه الموهبة للبشر . عيناً كمثل قارون الذي كان يقول :

١ـ الآية ٢٢ ، من السورة ١٠ : يونس .

إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ .[1]

فأنتم تقولون أيضاً : مَن يمكنه أن يُغرق هذه السفينة ؟ هذه المدينة العجيبة التي تحمل عدّة آلاف من المسافرين؟)

ثمّ يعصف إعصار الحوادث شيئاً فشيئاً ، ويطغى الطوفان الهائل على فضاء البحر ، فتتلاطم اللجج مع بعضها ، وما أن يظن أُولئكم أنْ قد فات الأوان وأنْ لاتَ حين مناص ! وأنّ القدرة اللامتناهية قد وضعت هذه السفينة في يد الغرق وفي إرادة الهلاك والفناء ، حتّى يناجوا الله من صميم قلوبهم أن : أيّها الإله الرحيم ! لو أنجيتنا من هذه المهلكة لتُبنا وكففنا أيدينا عن الاعتداء والتجاوز ، ولما استكبرنا في العمل ، ولكُنّا من الشاكرين .

بلى ! إنّ النفس يجب أن تربّى بالرياضة الشرعيّة لتُسلم قيادها وترتاض ، ولتستنير في الصراط المستقيم بنور الله سبحانه ، وإلّا فإنّها ستؤمن حين تصل إلى الاضطرار ، وتقرّ وتعترف وتتوب وتئن وتضجّ شاكيةً واعدة بالصلاح والرشاد ، ولكن حالما تنتهي حال الاضطرار فإنّها ستقفز كمثل لولب مضغوط مُغلق زالت عنه عتلة الأمان التي كانت تمسكه متّجهةً نحو تلك الحالة العاديّة وتلك الملكات والأخلاق والسلوك ، فتستقرّ في عالم ملكاتها المكتسبة وتُدفن هناك ، حيث قبرها ومضجعها .

فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .[2]

لقد كبحنا هذا المحيط الهائج وأنهينا الطوفان وهدّأنا الأمواج

١ـ الآية ٧٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

٢ـ الآية ٢٣ ، من السورة ١٠ : يونس .

المتلاطمة فهديناهم إلى ساحل الأمن ، فعادوا إلى الظلم والاعتداء وصاروا يبغون في أرض الله بدون حقّ .

فاعلموا أيتها الناس أنّ الظلم الذي ترتكبون سيكون عليكم وبالاً وأنتكم في الحقيقة إنّما أنفسكم ظلمتم ، وأنّ هذا العمل الذي فعلتموه لصالحكم عن طريق ظلم الآخرين والاعتداء عليهم ، ليس نفعاً لكم ، بل هو عين الظلم الذي فعلتموه لأنفسكم ، وأنتكم ستتمتّعون في هذه الدنيا أيّاماً بهذه الحياة الحيوانيّة الوضيعة ثمّ ترجعون إلينا فنُطلعكم على كلّ ما اجترحتم .

بلى ، إنّ الله لا يظلم أحداً ، وهذا هو جزاء الظلم الذي يفعله الناس لأنفسهم :

وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .[1]

لقد دخل جُنادة على الإمام الحسن عليه السلام في الساعات الأخيرة من حياته عليه السلام ، فطلب منه أن ينصحه ويعظه ؛ وكان عليه السلام قد شحب لونه وتغيّرت حاله ولم يبقَ له رمق ، فقد استغرق السمّ جميع بدنه .

ينقل المجلسيّ رضوان الله عليه في «بحارالأنوار» عن كتاب «كفاية الأثر في النصوص على الأئمّة الاثنى عشر» تأليف عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّاز القمّيّ ، عن محمّد بن وهبان ، عن داود بن الهيثم ، عن جدّه إسحاق بن بهلول [عن أبيه بهلول] بن حسّان ، عن طلحة بن زيد الرقيّ ، عن الزبير بن عطاء ، عن عمير بن ماني العبسيّ ، عن جُنادة بن أبي أُميّة قال :

دخلتُ على الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مرضه الذي توفّي فيه وبين يديه طست يقذف فيه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة

١ـ الآية ٣٣ ، من السورة ١٦ : النحل .

من السمّ الذي أسقاه معاوية لعنه الله ،[1] فقلتُ : يا مولاي مالك لا تعالج نفسك ؟

فقال : يا عبد الله بماذا أعالج الموت ؟

قلتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَمْلِكُهُ اثْنَا عَشَرَ إِمَاماً مِنْ وُلْدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ ، مَا مِنَّا إِلَّا مَسْمُومٌ أَوْ مَقْتُولٌ ، ثُمَّ رُفِعَتِ الطَّسْتُ وَبَكَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : عِظْنِي يَابْنَ رَسُولِ اللَّهِ !

قَالَ : نَعَمْ ، اسْتَعِدَّ لِسَفَرِكَ وَحَصِّلْ زَادَكَ قَبْلَ حُلُولِ أَجَلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ تَطْلُبُ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُكَ ؛ وَلَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَكْسِبُ مِنَ الْمَالِ شَيْئاً فَوْقَ قُوتِكَ إِلَّا كُنْتَ فِيهِ خَازِناً لِغَيْرِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ وَفِي الشُّبُهَاتِ

---

[1] ـ ورد في تعليقة البحار ، الطبعة الحيدريّة ، بإنشاء الشيخ محمّد باقر البهبوديّ : فيه غرابة ، حيث إنّ الكبد إذا ذابت أثقلت إلى الأمعاء وخرجت كالدم ، وليس تصعد إلى المعدة حتى تقذف بها من الفم . والصحيح ما قد سمعت في سائر الأحاديث أنّه كان يوضع تحته طست وترفع أُخرى نحو أربعين يوماً ؛ وأنّه عليه السلام قال «إنّي لأضع كبدي» وظاهره خروج الكبد ثافلاً ، وأظنّ القصّة أنّها اختلطت على أفهام الرواة فنقلوها كذلك مع ضعف سندها ـ انتهى .

يقول هذا الحقير : لا استبعاد من خروج الكبد على هيئة ذائبة من المعدة ، لأنّ الأوعية الدمويّة الماساريقيّة الرابطة بين الكبد والمعدة يمكنها نقل دم الكبد الذائب إلى المعدة ، وقد شوهد نظير هذا التقيّؤ الدمويّ في المصابين بأمراض الكبد ؛ علاوة على أنّ أصل هذا الكلام من جنادة لا من الإمام المجتبى . ويمكن أن يكون جنادة قد تصوّر الدماء المقاءة دماء الكبد . وعلى كلّ تقدير فالرواية متينة لا يرد عليها أيّ إشكال .

عِتَابٌ فَأَنْزِلِ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ الْمِيتَةِ ؛ خُذْ مِنْهَا مَا يَكْفِيكَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ حَلَالاً كُنْتَ قَدْ زَهِدْتَ فِيهَا ، وَإِنْ كَانَ حَرَاماً لَمْ يَكُنْ فِيهِ وِزْرٌ . فَأَخَذْتَ كَمَا أَخَذْتَ مِنَ الْمِيتَةِ ، وَإِنْ كَانَ الْعِتَابُ فَإِنَّ الْعِتَابَ يَسِيرٌ . وَاعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً .

وَإِذَا أَرَدْتَ عِزّاً بِلَا عَشِيرَةٍ وَهَيْبَةً بِلَا سُلْطَانٍ فَاخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَإِذَا نَازَعَتْكَ إِلَى صُحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةٌ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا صَحِبْتَهُ زَانَكَ وَإِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ ، وَإِذَا أَرَدْتَ مِنْهُ مَعُونَةً أَعَانَكَ ، وَإِنْ قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَكَ وَإِنْ صُلْتَ شَدَّ صَوْلَتَكَ ، وَإِنْ مَدَدْتَ يَدَكَ بِفَضْلٍ مَدَّهَا ، وَإِنْ بَدَتْ عَنْكَ ثُلْمَةٌ سَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ وَإِنْ سَكَتَّ عَنْهُ ابْتَدَاكَ ، وَإِنْ نَزَلَتْ إِحْدَى الْمُلِمَّاتِ بِكَ سَاءَكَ .[1]

مَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ الْبَوَائِقُ ، وَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ مِنْهُ الطَّرَائِقُ ، وَلَا يَخْذُلُكَ عند الحقائق ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا مُنْقَسَماً [2] آثَرَكَ .

ثمّ يقول جُنادة : ثمّ انقطع نفسه واصفرّ لونه حتّى خشيتُ عليه ، ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود فانكبّ عليه حتّى قبّل رأسه وبين عينيه ، ثمّ قعد عنده فتسارّا جميعاً ؛ فقال أبو الأسود : إنّا للهِ إنّ الحسنَ قد نُعيتْ إليه نَفْسُه ، وأوصى إلى الحسين عليه السلام ، وتوفّي عليه السلام في يوم الخميس في آخر صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبع

١ـ أورد في نسخة «البحار» الطبعة الكمباني والطبعة الحيدريّة : «وإن نزلتْ إحدى الملمّات بك ساءك» لذا نقلناه هنا دون تصرّف . ولكن ورد في كتاب «معالي السمطين» الذي ينقل هو الآخر عن «البحار» : «وإنْ نزلتْ بك إحدى الملمّات واساكَ» وهو بالطبع معنى أصحّ وأليق بالمقام .

٢ـ أورده في كتاب «معالي السمطين» بلفظ مقتسماً .

وأربعون سنة ، ودُفن بالبقيع .[1]

وقد استشهد عليه السلام بالسمّ الذي دسّته إليه جُعدة بنت الأشعث بن قيس الكنديّ بأمر معاوية ؛ وجُعدة هي بنت أُم فروة أُخت أبي بكر وابنة عمّة عائشة .

يروي المرحوم الصدوق عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق ، عن أحمد بن محمّد بن سعيد الكوفيّ ، عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضال ، عن أبيه ، عن الإمام الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهم السلام قال :

لمّا حضرت الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الوفاة بكى **فَقِيلَ لَهُ : يَابْنَ رَسُولِ اللَهِ ، أَتَبْكِي وَمَكَانُكَ مِنْ رَسُولِ اللَهِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ وَقَدْ قَالَ فِيكَ رَسُولُ اللَهِ مَا قَالَ وَقَدْ حَجَجْتَ عِشْرِينَ حَجَّةً مَاشِياً وَقَدْ قَاسَمْتَ رَبَّكَ مَالَكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى النَّعْلِ والنَّعْلَ ؟**

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : إِنَّمَا أَبْكِي لِخِصْلَتَيْنِ لِهَوْلِ الْمُطَّلَعِ[2] **وَفِرَاقِ الْأَحِبَّةِ .**[3] **ودَخَلَ عَلَيْهِ أَخُوهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُ نَفْسَكَ ؟ قَالَ : أَنَا فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الآخِرَةِ عَلَى كُرْهٍ مِنِّي لِفِرَاقِكَ وَفِرَاقِ إِخْوَتِي ، ثُمَّ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَهَ عَلَى مَحَبَّةٍ مِنِّي لِلِقَاءِ رَسُولِ اللَهِ**

١ـ «بحار الأنوار» الطبع الكمباني ، المجلد العاشر ، ص ١٣٢ و ١٣٣ ؛ والطبعة الحيدريّة ، المجلّد ٤٤ ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠ . وروى هذه الرواية في «معالي السمطين في أحوال السبطين» ، ص ٣٤ ، نقلاً عن «بحار الأنوار» .

٢ـ أي الاضطراب والدهشة الحاصلة عند تجلّي مقام الأحديّة ـ المؤلّف .

٣ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ١٣٣ و ١٣٤ ؛ و«عيون أخبار الرضا» الطبعة الحجريّة ص ١٩٧ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةَ وَجَعْفَرٍ وَحَمْزَةٍ ثُمَّ أَوْصَى إِلَيْهِ.[1]

١ـ «البحار» ج ١٠، ص ١٣٣ من الطبعة الكمباني، عن «كفاية الأثر».

المجلس السادس عشر

الأمل بالعفو عن المستضعفين الذين لا سبيل لهم للوصول الى الحقائق



بِسْـمِ اللّهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم السادس عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوة إلّا بالله ٱلعليّ ٱلعظيم

وصلّى ٱللهُ على محمّد وآله الطّاهرين

ولعنة ٱللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا .[1]

يُجمع فقهاء الشيعة رضوان الله عليهم ، بل وجميع فقهاء الإسلام على أنّ جميع التكاليف الإلهيّة مشروطة بالعلم والقدرة ، ويعدّون هاتين الصفتين من الشروط العامّة للتكليف ، أي أنّ هذين الشرطين لا يختصّان ببعض أوامر الخالق سبحانه أو نواهيه ، بل يجب تحقّقهما لدى المكلّفين في جميع التكاليف ليتنجّز التكليف ويتحقّق في شأنهم .

---

١ ـ الآيات ٩٧ ـ ٩٩ ، من السورة ٤ : النساء .

أمّا بشأن العلم ، فيستدلّون أوّلاً بالآية الكريمة :

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا .[١]

والآية الكريمة :

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ[٢] **فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ .**[٣]

والآية الكريمة :

لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ .[٤]

والآية الكريمة :

وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ .[٥]

وبكثير من الآيات التي استُعمل فيها لفظ البيّنة ، والتي جُعل عذاب الله النازل بأُمم الأنبياء السابقين منوطاً ومشروطاً بتلك البيّنة .كما يستدلّون بحديث الرفع ، وأصل هذا الحديث الشريف في «خصال الشيخ الصدوق» باب التسعة ؛[٦] وفي «أُصول الكافي» باب ما رُفع عن الأمّة ، ضمن حديثين ،[٧] وفي «تحف العقول» ،[٨] و«وسائل الشيعة» عن الشيخ

١ـ الآية ١٥ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢ـ أي ليبيّن لهم الأحكام والعقائد والسنن والآداب والأخلاق والعقائد والتوحيد .

٣ـ الآية ٤ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٤ـ الآية ٤٢ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٥ـ الآية ١٣٤ ، من السورة ٢٠ : طه .

٦ـ «الخصال» الطبعة الحروفيّة ، ص ٤١٧ .

٧ـ «أُصول الكافي» المجلّد الثاني ، ص ٤٦٢ و ٤٦٣ .

٨ـ «تحف العقول» ص ٥٠ .

الصدوق .[1] وبالرغم من وجود اختلاف يسير في ألفاظ هذا الحديث ، إلّا أنّها لا تختلف عن بعضها في المعنى . ونورد الرواية هنا وفقاً للألفاظ الواردة في كتاب «الخصال» .

يقول الشيخ الصدوق : حدّثنا محمّد بن أحمد بن يحيى العطّار ، عن سعد بن عبد الله ، عن يعقوب بن زيد ، عن حمّاد بن عيسى ، عن حريز بن عبد الله ، عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : **رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تِسْعَةٌ : الْخَطَأُ ، وَالنِّسْيَانُ ، وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ ، وَمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَمَا لَا يُطِيقُونَ ، وَمَا اضْطُرُّوا إِلَيْهِ ، وَالْحَسَدُ ، والطِّيَرَةُ ، والتَّفَكُّرُ فِي الْوَسْوَسَةِ فِي الْخَلْقِ مَا لَمْ يَنْطِقْ بِشَفَةٍ .**

لقد رفع عن أُمّتي المؤاخذة والعذاب في تسعة أشياء :

الأوّل : الأعمال التي يفعلونها خطأً دون عمد أو قصد .

الثاني : الأعمال التي يفعلونها نسياناً أو سهواً دون انتباه أو التفات .

الثالث : الأعمال التي يُكرهون عليها ، أي التي لا يرغبون في فعلها بَيدَ أنّ شخصاً آخر يُجبرهم على فعلها ؛ كأن يقول ظالم ما : إن لم تفطر في شهر رمضان قتلتُك !

الرابع : الأعمال التي يفعلونها دون علم ، كأن يجهلون أنّ الله سبحانه كلّفهم بالشيء الفلاني فيتركونه ، هذا إن لم يكن جهلهم ناشئاً عن تقصيرهم .

الخامس : الأعمال التي تخرج عن قدرتهم وطاقتهم .

السادس : الأعمال التي يفعلونها اضطراراً ، كأن يطرحهم ظالم أرضاً

١ـ «وسائل الشيعة» كتاب الصلاة ، ج ١ ، ص ٥١٦ ، طبع أمير بهادر ، باب عدم بطلان الصلاة بترك شيءٍ من الواجبات سهواً أو جهلاً أو عجزاً أو إكراهاً عدا ما استثني بالنصّ .

في شهر رمضان فيصبّ في فمهم الماء ؛ أو أن تضطرّهم الضرورة في أُمور المعيشة التي لا تسدّ الكفاف إلى الاقتراض بالرّبا .

السابع : الحسد في القلب دون إظهاره ودون أن يستعملوا في الخارج وسائل سلب تلك النعمة التي حسدوا المحسود لأجلها .

الثامن : الطيرة والتشاؤم ، إذ ينبغي للإنسان أن لا يتشاءم من شيء فيرتّب عليه أثراً ، وعليه كلّما تطيّر وتشاءم أن لا يعتني بذلك ويعملَ بخلاف ما تفأل به ويتابع ذلك ، أمّا ورود الطيرة والتشاؤم في القلب دون اختيار ودون ترتيب الأثر فليس بذنب ولا يؤاخذ عليه .

التاسع : بعض الخَطَرات التي تخطر على قلبه فيشكّ في مبدأ الخلقة جلّ وعزّ ، فيقول في نفسه مثلاً : لقد خلق الخالق هذه المخلوقات ، فمن هو خالق الله ؟ ونظير هذه الأفكار التي تخالف الواقع وترجع إلى ارتباط الخلق مع عالم الربوبيّة . فهذه الخطرات إن عرضت أحياناً دون اختيار ، فلم يُجرِها الإنسان على لسانه أو يتحدّث بها فإنّه لن يؤاخذ عليها .

بلى ، هناك موضوع يلزم التذكير به ، وهو أنّ عدم التكليف التنجيزيّ وعدم المؤاخذة والعقاب إنّما هو في حال عدم العلم بالأحكام ، وفي حال أنّ المكلّف في صدد التفحّص عن الدليل لكنّه لم يعثر عليه ، أمّا في حال التقصير وعدم البحث والتفحّص عن الدليل ، فإنّ العقاب والمؤاخذة سيبقيان مكانهما ولو كان المكلّف جاهلاً بالحكم .

ونذكر عدّة أحاديث هنا كمثال على الأمر :

الأوّل : روى الشيخ البرقيّ في «المحاسن» عن أبيه ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن أبي جعفر الأحول وهو محمّد بن النعمان مؤمن الطاق عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال :

لَا يَسَعُ النَّاسَ حَتَّى يَسْأَلُوا أَوْ يَتَفَقَّهُوا.[1]

ويمكن الاستدلال بهذه الرواية الشريفة على وجوب التقليد بالنسبة إلى الأفراد الذين لا يمتلكون القدرة على استنباط الأحكام، وعلى انحصار الحكم بشكل عامّ في التقليد أو الاجتهاد وعدم جواز الاحتياط كما ذهب إليه المشهور.[2]

الثاني: رواه أيضا أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ في «المحاسن» عن

١ـ «المحاسن» للبرقيّ، ج ١، كتاب «مصابيح الظلم» ص ٢٢٥؛ و«بحار الأنوار» ج ١، الطبع الكبماني، باب طلب العلم، ص ٥٧، عن «المحاسن».

٢ـ رأي الحقير في كيفيّة العمل هو عدم جواز الاحتياط عموماً كما قد ذهب إليه المشهور، ويوجد لهذا المدّعى أدلّة ينبغي ذكرها في مجال الفقه، وعمدتها وجهان، الأوّل: عدم معهوديّة هذا النوع من الاحتياطات في زمن المعصومين، وخاصّة إذا استلزم التكرار في العبادة. والثاني: أنّ العبادة للاحتياط مقرونة بالشكّ والتردّد في النيّة، وحال الشكّ هذه ستنجرّ تدريجاً إلى الوسواس وستسلب القاطعيّة من المؤمن، فينعكس أثر العبادة التي كان ينبغي أن تورث التقرّب، ويكون المؤمن مسردّداً على الدوام ماكثاً في وادي الاحتمال والشكّ، أي محلّ الشيطان وخواطره، وهذا هو البُعد الذي يخالف مائة في المائة طريق اليقين والتقرّب. وبشكل عامّ فإنّ دأب الإسلام وسنّته في أن يجعل أفراد الأمّة قاطعين في أعمالهم خارجين من الريب والشكّ، وذلك لأنّ كثرة الريب والشكّ في الأعمال ستجعل الشكّ والتردّد يسريان إلى النفوس فيظهران لأصحابها تلك الحال من التزلزل والاضطراب، وهذه الحال من الأمراض المهلكة للنفس تسبّب اليأس من رحمة الله؛ ذلك لأنّ الإنسان سوف لن يُحرز العلم في كلّ عمل يفعله أكان مورداً للتكليف والقربة أم لا؟

ومن هنا فلم نشاهد في فترة إمامة الأئمّة الاثني عشر سلام الله عليهم؛ كما لم يكن دأب الأصحاب والفقهاء أن يحثّوا من يشكّ في صلاته مثلاً على الإعادة أو القضاء، أو يرغّبوا من أدّى صلواته وشكّ في صحّتها، في قضائها من باب الاحتياط، بل كانوا يأمرون دوماً بالنوافل بشكل قاطع ويقولون إنّ النوافل هي تدارك نقص الفرائض. كما يتّضح بجلاء من الروايات الواردة في هذا الباب أنّهم أمروا بالقضاء عند ترك الصلاة فقط، حتّى أنّهم أمروا بقضاء النوافل عند تركها.

أبيه وموسى بن قاسم ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحابهما قال : سُئل أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام :

هَلْ يَسَعُ النَّاسَ تَرْكُ الْمَسْأَلَةِ عَمَّا يَحْتَاجُونَ إلَيْهِ ؟ قَالَ : لاَ.[1]

وقد جرى في هذه الرواية أيضاً بيان لزوم التقليد ووجوبه بشكل صريح .

الثالث : روى البرقيّ أيضاً في «المحاسن» عن الحسين بن يزيد النوفليّ ، عن إسماعيل بن أبي زياد السكونيّ ، عن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام ، عن رسول الله أنّه قال :

أُفٍّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ لاَ يَجْعَلُ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ يَوْماً يَتَفَقَّهُ فِيهِ أَمْرَ دِينِهِ وَيَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ .

وَرَوَى بَعْضُهُمْ : **أُفٍّ لِكُلِّ رَجُلٍ .**[2]

الرابع : حدّث الشيخ المفيد في «المجالس» في تفسير الآية المباركة **قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ** ،[3] عن أبي القاسم جعفر بن قولويه ، عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميريّ ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن زياد ، قال : سمعت جعفر بن محمّد عليهما السلام وقد سُئل عن قوله تعالى **فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ** ، فقال :

إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَكُنْتَ عَالِماً ؟ فَإنْ قَالَ: نَعَمْ قَالَ لَهُ: أَفَلاَ عَمِلْتَ ؟ وَإنْ قَالَ : كُنْتُ جَاهِلاً ، قَالَ لَهُ : أَفَلاَ تَعَلَّمْتَ حَتَّى

١ـ «المحاسن» للبرقيّ ؛ كتاب «مصابيح الظلم» ص ٢٢٥ ؛ و «بحار الأنوار» ج ١ ، الطبعة الكمباني ، باب طلب العلم ، ص ٥٧ .

٢ـ «المحاسن» للبرقيّ ، كتاب «مصابيح الظلم» ص ٢٢٥ ؛ و«بحار الأنوار» ج ١ ، الطبعة الكمباني ، باب طلب العلم ، ص ٥٧ .

٣ـ الآية ١٤٩ ، من السورة ٦ : الأنعام .

تَعْمَلُ ؟ فَيَخْصِمُهُ فَتِلْكَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ.[1]

كان ما جرى بيانه حتّى الآن راجعاً إلى لزوم العلم ؛ أمّا ما يعود إلى لزوم القدرة في تحقّق التكاليف الإلهيّة ، سواء القدرة العقليّة أو القدرة الشرعيّة (وهي السعة وعدم نشوء العسر والحرج) ، فيمكن الاستدلال بآيات من كلام الله المجيد :

١ ـ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ .[2]

والفضل بمعنى الزيادة ؛ أي أنّه تعالى يفيض على المؤمنين أكثر من مقدار القدرة ، ويبقيهم دوماً في سعة ، فهو يبقي للمؤمنين قدراً من التحمّل والقدرة أمام تكاليفه .

٢ ـ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ .[3]

٣ ـ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ .[4]

ونظير هذه الآيات التي تصف الخالق بصفة الفضل كثير في القرآن الكريم . وبالطبع فكما أنّ أحد مصاديق الفضل العطاء أكثر من حقّ الجزاء فإنّ أحد مصاديقه أيضاً التكليف أقلّ من مقدار القدرة العقليّة وإبقاء المكلّف في سعة وفسحة وطاقة .

٤ ـ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ .[5]

---

١ ـ «الأمالي» للمفيد ، طبع النجف ، المجلس ٣٥ ؛ و«بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، ج ١ ، باب طلب العلم ص ٥٧ .

٢ ـ الآية ١٥٢ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣ ـ الآية ٢٤٣ ، من السورة ٢ : البقرة ؛ والآية ٦١ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٤ ـ الآية ٢٥١ ، من السورة ٢ : البقرة .

٥ ـ الآية ١٨٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٥ ـ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .[١]

٦ ـ هُوَ ٱجْتَبَـٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّـٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ .[٢]

٧ ـ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَـٰهَا .[٣]

٨ ـ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَـٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ .[٤]

ويتضمّن مفاد هذه الآيات الطلبات والأشياء التي تمنّاها رسول الله صلّى الله عليه وآله ليلة المعراج من الربّ العظيم ، فاستجاب له الإله الرحيم تلك الأدعية والطلبات ،كما قد ورد في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ وفي تفسير العيّاشيّ أنّ رسول الله حين عرج إلى السماء ليلة المعراج فإنّ ممّا تبودل بينه وبين مقام عظمة الربّ جلّ وعزّ ، هذه الطلبات التي أُلهم قلب النبيّ بسؤالها من الله ، فطلبها صلّى الله عليه وآله واستجاب الله له فيها بعد أن جعل سبحانه التكليف مشروطاً بمقدار الوسع . فكان طلب النبيّ أن قال : ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . فخاطبه الله : لا أؤاخذك .

ثمّ سأله النبيّ فقال : ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا .

١ـ الآية ٦ ، من السورة ٥ : المائدة .

٢ـ الآية ٧٨ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

٣ـ الآية ٧ ، من السورة ٦٥ : الطلاق .

٤ـ الآية ٢٨٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

فخاطبه الله : لا أحملك .

فسأل النبيّ : ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنّا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

فقال الله تبارك وتعالى : قد أعطيتُكَ ذلك لك ولأُمّتك .

ثمّ قال الإمام الصادق عليه السلام الذي يروي الحديث : ما وفد إلى الله تعالى أحدٌ أكرم من رسول الله صلّى الله عليه وآله حيث سأل لأُمّته هذه الخصال .[1]

والآن وقد علمنا أنّ التكاليف الإلهيّة مشروطة بالعلم والقدرة ، فإنّ الأفراد الذين لا قدرة لهم على العمل بالتكليف ، أو الذين كانوا قاصرين غير مقصّرين في تعلّمها فحصلت لهم المخالفة للأوامر في النتيجة ، سوف لن يؤاخذوا أو يعذّبوا على ذلك .

وإحدى المجاميع التي يؤمّل بالعفو عنها : المستضعفون ، إلّا أنّهم أُولئك الجماعة من المستضعفين الذين ليس لهم سبيل للوصول إلى الحقائق .

ومن ثمّ فإنّ المستضعفين ينقسمون إلى فئتين :

انقسام المستضعفين إلى فئتين :

الأُولى : المستضعفون الذين لهم سبيل للوصول إلى الحقائق .

١ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ضمن حديث طويل رواه في أوّل سورة الإسراء في شأن معراج رسول الله صلّى الله عليه وآله . وقد وردت هذه الفقرات في ص ٣٧٥ . و «تفسير العيّاشيّ» ضمن تفسير هذه الآية ، ج ١ ، ص ١٥٨ . كما وردت في «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، المجلّد السادس في أحوال رسول الله ، باب المعراج ، ص ٣٣٧ ، عن «تفسير عليّ بن إبراهيم» ؛ وأورده في ص ٣٩٧ عن «تفسير العيّاشيّ» .

الثانية : المستضعفون الذين لا سبيل لهم للوصول إلى الحقائق .

ونجد أنفسنا مجبرين ـ من أجل إيضاح هذا المعنى ـ على تفسير لفظ المستضعف أوّلاً .

إنّ المستضعفين في لغة القرآن هم الذين تعرّضوا في الأرض لاعتداء وغلبة الأفراد الظالمين ، ففقدوا اختيارهم وحرّيّتهم نتيجة سيطرة وغلبة أُولئكم ، وخضعوا لقيموميّة وهيمنة تلك الطائفة الظالمة .

أمّا المستكبرون ـ مقابل المستضعفين ـ فهم الأفراد الذين يدفعهم الطغيان والتعالي ـ وباستمرار ـ إلى الاعتداء على الحقوق البديهيّة للناس وإلى التجاوز عليهم بأنواع الحيل والأحابيل ، ومن هنا فإنّ الاستكبار هو في مقابل الاستضعاف .

وقد عُبّر في القرآن الكريم عن المستكبرين بلفظ المَلأ ، أي الأفراد الذين ملأوا مواقعهم الظالمة بلحاظ الشخصيّات الاجتماعيّة الجائرة فلم يتركوا نقطة خالية فيها .

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ.[1]

لقد علا فرعون وطغى في الأرض فجعل ساكنيها مجاميع وطوائف ، فاعتدى على طائفة منها وهيمن عليها وجعلها ـ في قبضة قدرته ومخالب قهره ـ ضعيفةً لا قدرة لها ولا قيمة ، وكان يذبّح الأبناء ويترك النساء للخدمة أو يُجبرهنّ على الأعمال المنافية للعفّة ، ولقد كان فرعون من المفسدين في الأرض حقّاً .

١ـ الآيتان ٤ و ٥ ، من السورة ٢٨ : القصص .

ولقد كان من دأبنا وسنّتنا الاختياريّة أن نمنّ على أُولئك في الأرض فنجعلهم أئمّة ونجعلهم ورثة الأرض وقدراتها المسخّرة .

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِ كَـٰفِرُونَ﴾ .[1]

لقد قالت الطائفة المتعالية المستكبرة الباحثة عن الجاه والشهرة من قوم صالح نبيّ الله لتلك الطائفة من المستضعفين الذين آمنوا به : أتعلمون أنّ صالحاً أُرسل بالنبوّة من قِبل ربّه ؟

قالوا مجيبين : إنّا مؤمنون بجميع ما جاء به صالح من قِبل الله .

فقال المستكبرون المتجاوزون على حقوق الضعفاء : إنّا كافرون بجميع ما آمنتم به .

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .[2]

وهذه الآيات راجعة للمستضعفين الذين امتلكوا سبيلاً للوصول إلى الحقائق ، بَيدَ أنّهم قصّروا بالرغم من ذلك .

١ـ الآيتان ٧٥ و ٧٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢ـ الآيات ٣١ ـ ٣٣ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

فليتك ترى أيتها النبيُّ المستكبرينَ والمستضعفين من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم ، وكلا الطائفتين موقوفة عند ربّها يوم القيامة للعرض والسؤال ، وكيف أنّ بعضهم يريد إلقاء التبعة والذنب والجرم على البعض الآخر . لو رأيتَ المستضعفين الذين صُودرت حقوقهم من قِبل المستكبرين ، والذين كانوا قادرين على رفع نير الظلم والخروج من ربقة استكبار أُولئكم وعلى تحرير أنفسهم من استضعافهم ، أو على الهجرة ـ على الأقلّ ـ إلى محلّ آمن يمكنهم فيه القيام بالتكاليف الإلهيّة بحرّيّة . لكنّهم قصّروا فبقوا رازحين تحت قيموميّة أُولئكم واستكبارهم .

لو رأيتَهم وهم يقولون للمستكبرين : إنّ ذنبنا الذي ارتكبناه يقع على عاتقكم فأنتم تبوءون به ، فلولاكم ولولا تسلّطكم لكنّا قد آمنّا وانشغلنا بأداء أعمالنا الدينيّة .

فيردّ عليهم المستكبرون المتعالون : أفصددناكم عن الهدى جبراً وقهراً بعد إذ عرفتم الحقّ بعقولكم ، وبعد أن نزلت عليكم الحجج الإلهيّة ؟!

كلّا ، بل تبعتم ـ بسوء اختياركم ـ تعليماتنا وإعلامنا ، فأنتم أنفسكم المجرمون . فتقول طائفة المستضعفين لطائفة المستكبرين : بل إنّ محن الزمان وشرائط التأريخ ومقتضيات الزمان وإمكاناته التي واجهتنا ، وأمركم لنا بهذه الأعمال القبيحة ، قد أوجب نسياننا لله ، فجعلنا له شركاء وأنداداً في أُمور المعيشة ، من قبيل الرؤساء الظالمين والحكّام الجائرين وغيرهم حتّى انحرفنا في نهاية المطاف عن طريق التوحيد والإيمان وتنكّبنا الصراط المستقيم ، ونَهَجنا سبيلَ الغيّ والضلال .

بلى ، حيث يشاهد أُولئكم طلائع العذاب وآثاره التي تعود عليهم نتيجة أعمالهم ، فإنّهم سيتأسّفون في قرارة قلوبهم وسيسود الأسى والندم سويداء قلوبهم ، ثمّ يضع ملائكة الغضب الإلهيّ الأغلال والسلاسل الثقيلة

في أعناق الكافرين ويقولون لهم : أليس هذا الجزاء إلّا تلك الأعمال التي كنتم تجترحونها في الدنيا ؟

بلى ،كانت هذه الآيات عائدة إلى مقام العرض في القيامة ، إلّا أنّنا أوردناها هنا ـ حيث بحثنا عن البرزخ وعقاب المستضعفين ـ بمناسبة لفظ الاستكبار والاستضعاف المستعمل فيها ، بالرغم من أنّ هذا البحث له عموميّة في إحدى جهاته ، ويمكن عنونته في العذاب البرزخيّ وكذلك في عذاب يوم القيامة .

والآن وقد اتّضح معنى الاستضعاف فنقول : إنّ المستضعفين فئتان ، الأُولى أُولئك الذين كانوا يتمكّنون من الخروج بأنفسهم من الاستضعاف وجعل أنفسهم ـ بهجرتهم ـ في محلّ أمين وآمن ليستمرّوا في أعمالهم الدينيّة . وهؤلاء الأفراد سيكونون مورد المؤاخذة والعقاب ، لأنّهم بالرغم من حرمانهم من أعمالهم الدينيّة تحت شرائط قيموميّة المستكبرين وهيمنتهم ، إلّا أنّهم كانوا قادرين على الهجرة ، وعلى الإتيان ـ من ثمّ ـ بالأعمال والتكاليف الدينيّة ، بَيدَ أنّهم لم يأتوا بها .

يقول الأُصوليّون :

الوُجُوبُ بالاخْتِيَارِ لا يُنَافِي الاخْتِيَارَ ، والامْتِنَاعُ بالاخْتِيَارِ لا يُنَافِي الاخْتِيَار.

أي أنّ الإنسان لو أوجب على نفسه عملاً ما بالمقدّمات الاختياريّة ، أو جعله محالاً وممتنعاً عليه ، فإنّ هذا الوجوب والامتناع لن يتنافيا مع كون ذلك العمل اختياريّاً .

والفئة الثانية : فئة المستضعفين الذين لم يمتلكوا ـ بأيّ وجه ـ القدرة الفكريّة أو العمليّة للخروج من تحت نير ظلم المستكبرين ، أو أنّ الهجرة إمّا لم تخطر في فكرهم وعقلهم أساساً ، أو أنّهم لم يمتلكوا القدرة على

الإتيان بها . وقدكانت الآية القرآنيّة التي تؤمّل المستضعفين بالعفو عائدة إلى خصوص هذه الفئة .

ونشرع الآن بتفسير الآية المباركة التي ذُكرت مطلع الحديث لنلحظ ماهي النكات التي تستفاد منها ، وما هي شرائط الاستضعاف الذي تشمله رحمة الله تعالى عند التخلّف عن الأوامر الإلهيّة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا .

إنّ الفئة من الناس الذين ظلموا أنفسهم بسبب مخالفة التكاليف الإلهيّة وعدم تزكية النفس والتخلّق بالأخلاق الربّانيّة ، ولعدم تحصيل المعارف الشرعيّة والملكات الرحمانيّة ولقاء المعبود جل وتعالى شأنه قد جعلوا نفوسهم ـ نتيجة لذلك ـ أسرى وادي الحرمان ، وحرموها من التكامل والرقيّ والوصول إلى مدارج الإنسانيّة ومعارجها ، وحبسوها في ظلمات البُعد وآثاره من الغفلة والشهوات .

وهذه المحروميّات التي صارت من سهمهم وحظّهم ، إنّما حصلت بسبب استضعاف قوم مستكبرين جعلوهم تحت قيمومتهم ، وحرموهم ـ بتسلّطهم عليهم ـ من حقوقهم البسيطة والبديهيّة ، وهي الحرّيّة في أداء المناسك الدينيّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الشعائر الإلهيّة ، وتشكيل حكومة حقّة تؤمن العدل والإنصاف الإسلاميّ ؛ فجعلوهم أتباعاً وذيولاً لهم يقتفون آثارهم في العمل والسلوك الفرديّ والاجتماعيّ .

وهؤلاء سيخاطبهم الملائكة حين يريدون قبض أرواحهم : أين كنتم وفي أيّ ظرف ووضع كنتم ؟

ذلك لأن هؤلاء الملائكة حين يصلون إليهم فيشاهدون نفوسهم

المظلمة المعتمة المحرومة الجامدة الراكدة الخاضعة لضغط الكفر ، فإنّهم سيفهمون أيّ مصيبة وبليّة عظيمة صُبّت عليهم فأُصيبوا بالحرمان الشديد -إذ إنّ هذا البلاء والمصيبة العظيمة يُسقطان الإنسان من مستوى العبوديّة لله - لذا فإنّهم سيتساءلون تعجّباً : أيّ ظروفٍ واجهتكم ؟ وفي أي بيئة ومجتمع كنتم تعيشون ، فأصاب نفوسكم هذا التلف والفساد ؟

فيجيب الأفراد المحتضرون :كنّا من المستضعفين في الأرض ، وهذا البلاء والمحنة اللذان لزمانا من قِبل المستكبرين الذين علوا علينا ، وإلّا فإنّنا لم نكن لنرغب في الانحراف من تلقاء أنفسنا ، وكان البقاء تحت قيموميّة الأُمّة الكافرة ، ذلك البقاء الذي كان يستتبع سلب نورانيّة النفس وسلب عبوديّة الربّ وطاعة نبيّه أمراً يشقّ علينا . أو أنّنا - على أقلّ تقدير - لم نكن راضين بذلك ولا مرتاحين له .

فيقول الملائكة : فَلِمَ لَمْ تهاجروا ؟ أَفَلَمْ تسعكم أرض الله الواسعة الفسيحة ؟

كان عليكم أن تهاجروا إلى بلاد أُخرى يمكنكم فيها إقامة شعائركم الدينيّة بأمن وأمان وفراغ بال ، وإلى حيث يمكنكم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإجراء الحدود الإلهيّة والخضوع لولاية وإشراف الإمام المعصوم أو حاكم الشرع المطاع والمجتهد الفقيه العادل البصير الخبير بالأُمور ، وحيث تشكّلون حكومة إسلاميّة فيمكنكم - من ثمّ - إقامة صلاة الجمعة ، وانتزاع حقّ المظلوم من الظالم ، والأذان من على المآذن بلا خوف ولا تقيّة ، فتوقظوا بنداء «الله أكبر» عند الصلوات الخمس الراقدين من نوم الغفلة وتقودونهم إلى المساجد .

ولمّا كان بإمكانكم الهجرة إلى دار الإسلام أو إلى نقطة أُخرى يمكنكم فيها تأسيس حكومة إسلاميّة بأنفسكم والعمل بأحكام الله ، إلّا

أنتكم لم تهاجروا اختياراً ، فإنّ مأواكم ومسكنكم سيكون في جهنّم وساءت مصيراً .

إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا. وباعتبار أنّ هناك فئة بين المستضعفين لا تتمكّن من الهجرة ، أو لا تمتلك إمكانيّة فكريّة أو عقليّة ، أو قدرة ماليّة أو بدنيّة ، أو أنّه ـ والعياذ بالله ـ ليس هناك قربهم حكومة إسلاميّة يمكنهم الوصول إليها مثلاً ، كبعض الرجال والنساء والولدان الذين لا يمتلكون أيّ سبيل وحيلة للخلاص بأنفسهم من تسلّط أُولئكم المستكبرين ، ولا يهتدون إلى طريق لتحرير أنفسهم . فإنّ هذه الجماعة مصانة من مؤاخذة ملائكة قبض الأرواح وفي أمان من المصير إلى جهنّم ، لأنّ هناك أملاً بعفو الله عن ذنوبهم والله هو العفوّ الغفور .

وهناك نكات جديرة بالتأمّل مستفادة من هاتين الآيتين غير ما ذُكر سابقاً ، الأُولى : وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ؛ لأنّ توبيخ الملائكة بعدم الهجرة ليس مبتنياً على الأمر بالحياة المرفّهة والمجتمع المنزليّ والمدنيّ ، فهذه أُمور يشترك فيها المؤمنون والكفّار ؛ بل مبتنٍ على لزوم الحياة الدينيّة والعقائديّة بحيث يمكن ـ من خلال الهجرة ـ الانصراف إلى إقامة التكاليف الإلهيّة .[1]

١ـ يُبيّن الله في الآية ٤١ ، من السورة ٢٢ : الحجّ ـ بعد إعطائه الإذن في الآيات السابقة في القتال للذين ظُلموا وأُخرجوا من ديارهم وأهليهم ، وأُجلوا من أوطانهم ظلماً ، لأنّ نداءهم كان «ربّنا الله» ، وبعد منحهم الحقّ في تأسيس حكومة مستقلّة إلهيّة ـ أعمالَ أُولئك الأفراد التي تمثّل القاعدة في تأسيس مثل تلك الحكومة :

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ ⇐

ولأنّنا نعلم أنّ الدين الإسلاميّ دين شامل وكامل وكافل جرى فيه مراعاة وملاحظة الجوانب الاجتماعيّة والسياسيّة على أحسن وجه . وأنّ إجراء الحدود والأحكام وإقامة الجمعة [1] والقضاء بين المسلمين وسائر

⇐ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ .

أي أنّ تشكيل حكومة الإسلام ينبغي حتماً أن يقام على أساس إقامة الصلاة (الصلاة فرادى وجماعة وصلاة الجمعة والعيد) وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتي ينبغي حتماً أن تقام على يد الحاكم الفقيه العادل .

١ ـ تمثّل صلاة الجمعة إحدى الفرائض الإلهيّة التي لها وجوب عيني تعيينيّ على جميع الأفراد إلى يوم القيامة ، إلّا الطوائف التسع المستثناة : الصبيّ والمجنون والعبد والمريض والمرأة والمسافر والأعمى والهِمّ [أي الشيخ الكبير البالي] ومن كان على رأس فرسخين . ولكن يجب عقدها في مكان بحيث إنّ صلاة جمعة أُخرى لا تعقد إلى بعد فرسخ من جميع الجهات . ويجب أن تكون إقامتها على يد المعصوم أو المنصوب من قِبل الإمام بتنصيب شخصيّ أو عامّ كمثل أدلّة ولاية الفقيه ، وإلّا كانت حراماً وبدعة وباطلاً . لكنّ إقامة الإمام أو الفقيه ليست من شرائط الوجوب كما هو الأمر في شرطيّة الاستطاعة بالنسبة لوجوب الحجّ ، بل من قبيل شرائط التحقّق والوجود ، مثل شرطيّة الطهارة بالنسبة للصلاة .

وعلى هذا فيجب على جميع المكلّفين تحقيق هذا الشرط ، أي القيام بهذه الفريضة الإلهيّة بتأسيس حكومة الإسلام مع إمكان إقامة الإمام أو حاكم الشرع المطاع لها دون خوف أو تقيّة ، في مكان يمكن فيه إقامة الحدود الشرعيّة ، وحيث يمكن للحاكم بيان مصالح المسلمين في الخطبة دون خوف . كما يجب عليهم اجتناب ترك هذه الصلاة ، ذلك الترك الموجب للموبقة المهلكة . ومن هنا فإنّ زمن عدم إقامة هذه الصلاة سيعني أنّ فريضة إلهيّة مهمّة قد تُركت عمداً ، وهو ما وُعد عليه بالخذلان الدنيويّ والعذاب الأُخرويّ . غاية الأمر ، باعتبار عدم تحقّقها بدون إقامة المجتهد العادل مبسوط اليد ، فإنّ على المسلمين تأسيس حكومة الإسلام لتحقيق شرط وجودها ، ومن أحل أن يمكن للحاكم إقامتها ، فإن لم يفعلوا فإنّهم سيكونون قد أذنبوا وعصوا باعتبار عدم تيسّر إقامتها من قبل الفقيه ، وذلك لترك الواجب على أساس ترك مقدّمته ، كمثل ترك الصلاة بسبب ترك تحصيل الطهارة . وقد ألّف هذا الحقير رسالةً زمن إقامته في النجف الأشرف في الوجوب العينيّ والتعيّنيّ لصلاة ⇐

أحكامه العامّة على يد حاكم الشرع المطاع، هو من أُسسه الأصيلة ودعائمه التي لا تنفكّ عنه ، لذا ينبغي الهجرة إلى مثل هذا المكان المدعو بلسان الشرع بـ (دار الإسلام) من أجل العمل بالتكاليف الشرعيّة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر التعاليم والآداب الاجتماعيّة المذكورة ، أو الهجرة إلى أيّ نقطة من نقاط الأرض وتأسيس حكومة الإسلام هناك على يد حاكم الشرع المطاع .

النكتة الثانية : حرمة السكنى والتوطّن في بلاد الكفر ، سواءً كان المسلم المتوطّن معدوداً من أتباع تلك البلاد أم لا . فبناءً على فرض كلا التقديرين، فإنّ إمكان الإتيان بالتكاليف الإلهيّة وإقامة الحدود ودائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيكون منتفياً هناك ، وسيصبح الشخص المسلم ـ إذا ما صار من أتباع ذلك البلد ـ تحت ولايتهم ، وسيكون ـ إن كان مُقيماً ـ تحت حمايتهم وإشرافهم .

وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا .[١]

فإن قيل إنّ السكنى والتوطّن هناك ممكن مع وجود وليّ الشرع المطاع ، فإنّه يجب القول في جوابهم إنّ حكومة حاكم الشرع وولايته إنّما تمضيان من قبل الشارع حين لا يكون قد اختار السكنى في بلاد الكفر ، وعلى فرض توطّنه السابق فإنّ عليه الهجرة إلى دار الإسلام . ومن هنا فإنّ مقرّ ولاية حاكم الشرع وواليه يجب أن يكون في دار الإسلام ؛ وتوضّح الآية ٧٢ ، من السورة ٨ : الأنفال هذا الأمر بجلاء :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

⇐ الجمعة ، وهي رسالة جديرة بالملاحظة .

١ـ الآية ١٤١ ، من السورة ٤ : النساء .

وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَنَصَرُوٓا أُولَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

والنكتة الثالثة في الآية المباركة للأمل في العفو عن المستضعفين، هي ضمّها الأولاد إلى الرجال والنساء.

إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ.

أي أنّ الولدان سيكون لهم نصيب من الرحمة الإلهيّة، وأنّ الأمل بالعفو سيشملهم أيضاً، وبقرينة المقابلة فإنّ تلك الفئة من المستضعفين الذين امتلكوا القدرة على الهجرة بَيدَ أنّهم لم يهاجروا، والذين سيردون جهنّم فتكون مسكنهم ومأواهم، ستشمل أولادهم أيضاً؛ وسيكون الولدان ـ على هذا ـ هدفاً للتوبيخ والشماتة والعقاب، شأنهم شأن البالغين، وإلّا كان ذكرهم في هذه الآية لغواً.

وذلك لأنّ الولدان لو لم يكونوا مأمورين بالهجرة، فإنّ التكليف والخطاب لن يتوجّه إليهم في حالٍ من الأحوال، سواءً أمكن لهم الحصول على سبيلٍ وحيلة للهجرة أم لا. ويستفاد من هذا أنّ الولدان الذين لم يدركوا سنّ البلوغ إلّا أنّهم ـ مع ذلك ـ يمتلكون إدراكاً وتعقّلاً «ويستطيعون حيلة ويهتدون سبيلاً» فإنّ الهجرة إلى دار الإسلام تجب عليهم أيضاً، من أجل أن يتمتّعوا بجميع المواهب التي منّ الله بها على المؤمنين في دار الإسلام، وليكونوا في مأمن وصون عن جميع الأضرار التي ستواجههم خلال إقامتهم في دار الكفر.

وما أكثر ملائمة هذا المعنى مع ما عنونه فقهاؤنا رضوان الله عليهم من أنّ عبادة الطفل ليست تمرينيّة، بل إنّ عبادته صحيحة وأنّه سيتمتع

بملاكات وفوائد العبادة ونتائجها شأنه شأن البالغين. كلّ ما في الأمر أنّ قلم الوجوب والإلزام قد أُزيح عنه، وأنّ الشارع الحكيم قد خفّف عنه، وأنّ الشريعة السمحة السهلة قد راعت حاله.

وينتج من إزالة الإلزام والوجوب في التكاليف وبقاء أصل ممدوحيّة الفعل أو منكريّته، أنّ جميع واجبات البالغين ستكون مستحبّة لهم، وأنّ جميع محرّمات البالغين ستكون مكروهة لهم، إضافة إلى أنّ مستحبّات ومكروهات البالغين ستبقى على حالها بالنسبة لهم، وستكون مورد الخطاب الإلهيّ بعنوان مستحبّ ومكروه.

وليس معنى إزالة قلم التكليف الإلزاميّ بالنسبة إلى الأطفال أنّهم سيكونون أحراراً مجازين في ارتكاب كلّ ذنب، بل يعني انعدام تلك الدرجة من التأكيد والتشديد الموجودة للبالغين.

وعلى هذا الأساس فإنّ الطفل المميّز لو سرق أو زنى أو ارتكب بعض المحرّمات الأُخرى، فإنّ حكومة الإسلام لن تُقيم عليه الحدّ، لكنّها ستعزّره لذلك، فيجلده حاكم الشرع وفق نظره وبصيرته وتقديره للمصلحة من جلدة واحدة إلى خمس وعشرين جلدة.

يروي الشيخ الصدوق في كتاب «الخصال» عن الحسن بن محمّد بن السكونيّ، عن الحضرمي، عن إبراهيم بن أبي معاوية، عن أبيه، عن الأعمش، عن ابن ظبيان، قال:

أُتِيَ عُمَرُ بِامْرَأَةٍ مَجْنُونَةٍ قَدْ زَنَتْ فَأَمَرَ بِرَجْمِهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَلَمَ يُرْفَعُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ.[1]

١ـ «وسائل الشيعة» ج ١، طبع بهادري، كتاب الطهارة، الباب الرابع: اشتراط ⇐

وفي ضوء ذلك فإنّ الحدّ الشرعيّ لا يقام على الطفل غير البالغ ، إلّا أنّ على الحاكم أن يُعزّره .

وبعد ظهور التعارض بين آية **وَٱلْوِلْدَٰنِ** التي يستفاد منها وجوب هجرة الولدان إلى دار الإسلام ، وبين الإجماع المدّعى والروايات الدالّة على عدم إلزام التكليف بالنسبة للولدان غير البالغين ، وتبعاً للقواعد الأُصوليّة فلأنّ الآية الشريفة مختصّة بأمر الهجرة ، ولأنّ هذه الروايات لها العموميّة بالنسبة لهذا المورد ولسائر الموارد ، فيجب تقديم الآية الشريفة كمخصّص ، مع تخصيص ذلك الإجماع المدّعى والروايات الواردة بسائر موارد التكليف غير الأمر بالهجرة .

وربّما كان سرّ هذا الأمر هو أهميّة الهجرة التي تستدعي إعارتها كلّ هذا الاهتمام ، بحيث لا يرضى الشارع المقدّس حتّى للأطفال غير البالغين بالمكث في دار الكفر .

النكتة الرابعة : أنّ خصوصيّة حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قد بُيّنت في آية الاستثناء المباركة ، وتلك الخصوصيّة هي عدم التمكّن من فعل حيلة أو وسيلة وعدم الاهتداء إلى سبيل للفرار .

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا .

أي أُولئك الرجال والنساء والولدان الذين من خصوصيّة حالهم عدم إتقانهم فعل وسيلة وحيلة وعدم اهتدائهم إلى سبيل ينجيهم . وقد قال العلماء : **تَعْلِيقُ الْحُكْمِ عَلَى الْوَصْفِ مُشْعِرٌ بِالْعِلِّيَّةِ**.

فإن قيل مثلاً : احترز من الرجال الذين يحملون مرضاً معدياً !

فإنّ وجوب الاحتراز ليس من الرجال مطلقاً ، بل من الرجال الذين

⇦ التكليف بالوجوب والتحريم بالاحتلام ، ٨.

يحملون مرضاً معدياً ، لذا يستفاد من هذه الجملة أنّ علّة الحكم بوجوب الاحتراز هي حمل المرض المعدي .

وبناءً على هذه الاستفادة من علّيّة الحكم فإنّهم يقولون : يجب على الإنسان الاحتراز من كلّ من يحمل مرضاً معدياً ، رجلاً كان أم امرأة .

إلحاق الأفراد الذين لا يمتلكون قدرة فكريّة أو عمليّة بالمستضعفين في شمول العفو الإلهيّ :

وينتج من الآية مورد البحث عموماً أنّ كلّ رجل وامرأة وولد لا يتمكّن من إيجاد سبيل خلاص لنفسه ولا الاهتداء إلى طريق للنجاة ، فإنّه سيكون مصوناً عن مؤاخذة الملائكة وعن الورود إلى جهنّم ، وأنّ الأمل بعفو الله عنهم سيشملهم ، سواءً كانوا من المستضعفين أم من غيرهم .

وخلاصة الأمر أنّه لو كانت هناك جماعة من الناس تعيش في دار الإسلام ولا تخضع لظلم المستكبرين واعتدائهم ، ولا ينطبق عليها عنوان الاستضعاف ، بَيدَ أنّ أُولئكم كانوا قوماً من الرجال والنساء والولدان الذين لا يعثرون على سبيل لإدراك الحقائق والمعنويّات ولا يهتدون إلى حيلة ووسيلة للوصول إلى الأحكام الإلهيّة والمعارف الحقّة ، فإنّهم سيكونون مصونين من الورود إلى جهنّم ، وسيكونون مورد العفو الإلهيّ .

فلو فرض مثلاً أنّ أطفالاً تربّوا منذ نعومة أظفارهم في أحضان آباء وأُمّهات كفّار ، وكانوا على الدوام مورد التلقين السيّئ لوالديهم ، فأُلقيت إليهم المطالب عكس حقيقتها ، كأن يُوصف لهم نبيّ الإسلام منذ البدء كإنسان سيّئ ، والقرآن ككتابٍ محرّف غير قابل للعمل . وكان هؤلاء الأطفال جاهلين باللغة العربيّة أيضاً كي يقوموا عند بلوغهم سنّ الرشد بالمراجعة بصورة مستقلّة ، وكان المسجد قد اتّخذ لنفسه في قلوبهم حكم

معبد الأصنام منذ لحظة الوجود الأُولى ، وكان قد خُيّل لهم أنّ رسول الله معاند مخالف للأنبياء والمرسلين ، وكانوا قد تلقّوا الدين الإسلاميّ الحنيف كدينٍ للانحراف والاعوجاج ، فرسخت هذه التلقينات في أذهانهم بحيث لم يكن خلافها متصوّراً لديهم كي يكونوا ـ على الأقلّ ـ في صدد التحقيق ، واعقب ذلك ابتعادهم عن قافلة الإسلام ، إلّا أنّهم لم يكونوا ذاتاً مفسدين ، ولو كانت الحقيقة قد أُلقيت إليهم كما ينبغي لقبلوها . أو أنّ أطفالاً قد كانوا منذ سنّ طفولتهم في أحضان آباء وأُمّهات على مذهب أهل السنّة فلقّنوا الحقائق على الدوام بشكل مخالف ، بحيث لم يكونوا يحتملون في سويداء قلوبهم حقّانيّةً للتشيّع ، ولم يكن لهم من العقل والذكاء والتفكير ما يجعلهم يستفيدون من العالِم الشيعيّ حين يلتقون به ؛ أو أنّ أذهانهم قد لوّثت بحيث عدّوا تلك الحقائق باطلة بصورة حتميّة ، ولم يكونوا ليحتملوا الواقعيّة فيها ، فكانوا يتخيّلون في عقولهم وأذهانهم وأفكارهم أنّ الذين أعادوا مسير تأريخ الإسلام إلى الوراء هم مؤسّسو التأريخ الحقيقيّ الإسلاميّ . فإنّ هؤلاء الأفراد ـ إذا ما انعدم الإنكار في وجودهم بحيث لو أُريت لهم الصورة الحقيقيّة للتشيّع لالتحقوا بمدرسة التشيّع ومذهبه ، ذلك المذهب المجسّد للإسلام الحقيقيّ ـ سيكونون هم أيضاً مورد عفو ورحمة الحضرة الأحديّة وسيكونون بمأمن من الدخول في جهنّم .

ويشكّل أهل العامّة من الرجال والنساء والولدان أغلب هؤلاء الأفراد ، خاصّةً إن افتقدوا العقل المتين والفكر الراسخ ، وكانوا من البسطاء الطيّبين . إلّا أنّ كثيراً من الرجال العلماء والمفكّرين قد يكونون غير مصونين من هذا الخطر ؛ فقد يكونون مع كثرة مطالعاتهم وتتبّعهم الزائد ـ قد بقوا أسرى إلى آخر العمر في خربة الانزواء إثر رسوخ تلقينات الآباء والأُمّهات والمعلّمين والبيئة ، فتكون هذه التلقينات قد حجبت بينهم

وبين إدراك الحقائق كسدّ الإسكندر.

ولو صدق في شأنهم عنوان **لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا** ولم يكونوا في نفس الوقت من المنكرين والمعاندين والمتطاولين، بحيث لو فهموا حقيقة النبوّة أو الولاية لخضعوا وأطاعوا على الفور، فإنّهم سيكونون كذلك مورد العفو.

وإضافة إلى ما ذكرنا من أنّ جميع التكاليف الإلهيّة مشروطة بالعلم والقدرة، فقد وردت في هذا الشأن روايات من الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نذكر بعضها هنا كأمثلة:

١ ـ يروي المرحوم الكلينيّ في كتاب «الكافي» بثلاثة أسانيد متّصلة: والمرحوم الصدوق في «معاني الأخبار» بسند متّصل واحد؛ والعيّاشيّ في تفسيره مرفوعاً، جميعاً عن زرارة، عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر أنّه سأل الإمامَ عن معنى المستضعف فقال عليه السلام:

هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ حِيلَةً إلَى الْكُفْرِ فَيَكْفُرُ وَلَا يَهْتَدِي سَبِيلاً إلَى الإيمَانِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْمِنَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْفُرَ فَهُمُ الصِّبْيَانُ وَمَنْ كَانَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى مِثْلِ عُقُولِ الصِّبْيَانِ مَرْفُوعٌ عَنْهُمُ الْقَلَمُ.[1]

٢ ـ ويروي الصدوق في «معاني الأخبار» بسنده المتّصل؛ والعيّاشيّ في تفسيره، كلاهما عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سَأَلْتُهُ عن المستضعفين فقال [عليه السلام]:

الْبَلْهَاءُ فِي خِدْرِهَا وَالْخَادِمُ تَقُولُ لَهَا: صَلِّي فَتُصَلِّي، لَا تَدْرِي إلَّا مَا

---

١ ـ «أُصول الكافي» المجلّد الثاني، ص ٤٠٤؛ و«معاني الأخبار» ص ٢٠١؛ و«تفسير العيّاشيّ» المجلّد الأوّل، ص ٢٦٩. ولا يخفى أنّ عليّ بن إبراهيم يروي هذه الرواية في تفسيره (ج ١، ص ١٣٧) بسنده المتّصل عن ابن الطيّار عن الإمام الباقر عليه السلام، وسند هذه الرواية غير سندي الرواية التي نقلها عنه الكلينيّ في «الكافي».

قُلْتَ لَهَا ، والْجَلِيبُ الَّذِي لَا يَدْرِي إِلَّا مَا قُلْتَ لَهُ ، وَالْكَبِيرُ الْفَانِي وَالصَّبِيُّ الصَّغِيرُ ، هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفُونَ .

فَأَمَّا رَجُلٌ شَدِيدُ الْعُنُقِ جَدِلٌ خَصِمٌ يَتَوَلَّى الشِّرَى وَالْبَيْعَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَغْبُنَهُ فِي شَيْءٍ ، تَقُولُ : هَذَا مُسْتَضْعَفٌ ؟ لَا وَلَا كَرَامَةٌ .[1]

٣ ـ يروي في «الكافي» بسلسلة سنده المتّصل عن عليّ بن سويد ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام .

قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنِ الضُّعَفَاءِ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ : الضَّعِيفُ مَنْ لَمْ تُرْفَعْ إِلَيْهِ حُجَّةٌ وَلَمْ يَعْرِفِ الاخْتِلَافَ ، فَإِذَا عَرَفَ الاخْتِلَافَ فَلَيْسَ بِمُسْتَضْعَفٍ .[2]

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» بسنده عن رجل من أصحابنا والعيّاشيّ في تفسيره عن أبي بصير ،كلاهما عن الإمام الصادق عليه السلام نظير هذه الرواية مفاداً ومعنى .[3]

٤ ـ يروي الصدوق في «معاني الأخبار» بسنده المتّصل ؛ والعيّاشيّ في تفسيره مرفوعاً ،كلاهما عن سليمان بن خالد قال :

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَهِ عَلَيهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ «إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ» .

قَالَ : يَا سُلَيْمَانُ فِي هَؤلاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مَنْ هُوَ أَثْخَنُ رَقَبَةً مِنْكَ .[4] الْمُسْتَضْعَفُونَ قَوْمٌ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ تَعِفُّ بُطُونُهُمْ وَفُرُوجُهُمْ

---

١ ـ «معاني الأخبار» ص ٢٠٣ ؛ و«تفسير العيّاشيّ» ج ١ ، ص ٢٠٧ ، وأورده هناك بلفظ «تعينه» بدل «تغبنه» وربّما كان لفظ «تغبنه» أنسب .

٢ ـ «أُصول الكافي» المجلّد الثاني ، ص ٤٠٦ .

٣ ـ «معاني الأخبار» ص ٢٠٠ ؛ و«تفسير العيّاشيّ» ج ١ ، ص ٢٩٨ .

٤ ـ أي ليس المراد بالمستضعف من كان ضعيفاً في بُنيته عليلاً في مزاجه .

لاَ يَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ فِي غَيْرِنَا [١] آخِذِينَ بِأَغْصَانِ الشَّجَرَةِ ؛ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ إِذَا كَانُوا آخِذِينَ بِالأَغْصَانِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا فَإِن عَفَا عَنْهُمْ فَبِرَحْمَتِهِ وَإِنْ عَذَّبَهُمْ فَبِضَلاَلَتِهِمْ . [٢]

٥ـ ويروي في «معاني الأخبار» بسنده المتّصل عن عبد الغفّار الجازيّ **عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ضُرُوبٌ يُخَالِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ نَاصِباً فَهُوَ مُسْتَضْعَفٌ . [٣]**

٦ ـ ويروي الشيخ الصدوق في «الخصال» بسنده المتّصل عن محمّد بن فضيل الرزقيّ ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام ، قال :

إِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ : بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ ، وَبَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ ، وَخَمْسَةُ أَبْوَابٍ يَدْخُلُ مِنْهَا شِيعَتُنَا وَمُحِبُّونَا ... إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ :

وَبَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ . [٤]

وهو شاهد على أنّ الخلود في جهنّم مختصّ بمعاندي أهل البيت عليهم السلام .

الخلود في جهنّم مختصّ بالمعاندين والمكذّبين :

وأمّا سائر الأصناف من العامّة والكفّار الذين ليس في قلوبهم عداء

١ـ أي ليسوا مثل النواصب أو المقصّرين الذين يخالفوننا عناداً أو جحوداً وإنكاراً ؛ بل إنّ اعتقادهم بغيرنا ساذج غير عميق .

٢ـ «معاني الأخبار» ص ٢٠٢ ؛ و«تفسير العيّاشيّ» ج ١ ص ٢٧٠ .

٣ـ «معاني الأخبار» ص ٢٠٠ .

٤ـ «الخصال» باب الثمانية ، ص ٤٠٧ و ٤٠٨ .

للحقّ والحقيقة ، والذين ليسوا جاحدين أو مستكبرين أو متمرّدين مقابل الله وأوليائه ، بل إنّ نزعتهم إلى مدرسة العامّة أو إلى نهج الكفر مبنيّة على عدم طلوع الحقّ وعدم انكشاف الحقيقة لهم ، فهناك رواية مفصّلة يرويها سُليم بن قيس الهلاليّ في كتابه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام يقسّم فيها الإمام الفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة منها في الجنّة والفرق الاثنتان والسبعون الباقية في النار . ومن بين هذه الفرق الثلاث والسبعين هناك ثلاث عشرة فرقة تنتحل محبّة أهل البيت ، منها فرقة واحدة فقط ناجية والفرق الاثنتا عشرة الباقية من أهل النار .

ثمّ يقول الإمام:

وأمّا الفرقة الناجية المهديّة المؤمنة المسلمة الموفّقة المرشدة فهي المؤتمنة بي ، المسلّمة لأمري ، المطيعة لي ، المتبرّئة من عدوّي ، المحبّة لي المبغضة لعدوّي ، التي قد عرفت حقّي وإمامتي وفرض طاعتي من كتاب الله وسنّة نبيّه ، فلم ترتدّ ولم تشكّ ، لما قد نوّر الله في قلبها من معرفة حقّنا وعرفها من فضلنا، وألهمها وأخذ بنواصيها ، فأدخلها في شيعتنا ، حتّى اطمأنّت قلوبها واستيقنت يقيناً لا يخالطه شكّ أنّي أنا وأوصيائي بعدي إلى يوم القيامة هداةٌ مهتدون ، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه في آي من كتاب الله كثيرة ، وطهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه ، وحجّته في أرضه ، وخُزّانه على علمه ، ومعادن حكمه ، وتراجمة وحيه ، وجعلنا مع القرآن والقرآن معنا ، لا نفارقه ولا يفارقنا حتّى نرد على رسول الله صلّى الله عليه وآله حوضه ،كما قال صلّى الله عليه وآله . وتلك الفرقة الواحدة من الثلاث والسبعين فرقة هي الناجية من النار ومن جميع الفتن والضلالات والشبهات ، هم من أهل الجنّة حقّاً ، وهم سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب ، وجميع تلك الفرق الاثنتين والسبعين فرقة هم

المتديّنون بغير الحقّ ، الناصرون دين الشيطان ، الآخذون عن إبليس وأوليائه ، هم أعداء الله ورسوله وأعداء المؤمنين ، يدخلون النار بغير حساب ، براء من الله ومن رسوله ، وأشركوا بالله وكفروا به وعبدوا غير الله من حيث لا يعلمون، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، يقولون يوم القيامة «والله ربّنا ما كنّا مشركين» يحلفون لله كما يحلفون لكم ويحسبون أنّهم على شيء إلّا أنّهم هم الكاذبون .[1]

قال [سُليم بن قيس] : قيل يا أمير المؤمنين ! أرأيت من قد وقف فلم يأتم بكم ولم يعادكم ولم ينصب لكم ولم يتولّكم ولم يتبرّأ من عدوّكم وقال «لا أدري» وهو صادق .

قال : ليس أُولئك من الثلاث والسبعين فرقة ، إنّما عنى رسول الله صلّى الله عليه وآله بالثلاث والسبعين فرقة الباغين الناصبين الذين شهروا أنفسهم ودعوا إلى دينهم ، ففرقة واحدة منها تدين بدين الرحمن واثنتان وسبعون تدين بدين الشيطان وتتولّى على قبولها وتتبرّأ ممّن خالفها .

غير المعاندين مصيرهم إلى النجاة :

فأمّا من وحدّ الله وآمن برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ولم يعرف ولم يتناول ضلالة عدوّنا ولم ينصب شيئاً ولم يحلّل ولم يحرّم وأخذ بجميع ما ليس فيه خلاف بين المختلفين من الأمة وكف عمّا فيه خلاف بين المختلفين من الأمة لأنّ الله أمر به أو نهى عنه، فلم ينصب شيئاً ولم يحلّل ولم يحرّم ولا يعلم وردّ علم ما أشكل عليه إلى الله،

١ـ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ . (الآية ١٨ ، من السورة ٥٨ : المجادلة) .

فهذا ناجٍ وهذه الطبقة بين المؤمنين وبين المشركين هم أكثر الناس وأجلّهم وهم أصحاب الحساب والموازين والأعراف والجهنّميّون الذين يشفع لهم الأنبياء والملائكة والمؤمنون ويخرجون من النار فيسمّون الجهنّميّون، فأمّا المؤمنون فينجون ويدخلون الجنّة بغير حساب، وإنّما الحساب على أهل هذه الصفات بين المؤمنين والمشركين والمؤلّفة قلوبهم والمقترفة والذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً.

والمستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، لا يستطيعون حيلة إلى الكفر والشرك ولا يحسنون أن ينصبوا ، ولا يهتدون سبيلاً إلى أن يكونوا مؤمنين عارفين ، فهم أصحاب الأعراف وهؤلاء لله فيهم المشيئة إن أدخل أحداً منهم النار فبذنبه ، وإن تجاوز عنه فبرحمته .[1]

الآيات الدالّة على أنّ الخلود في العذاب مختصّ بالمكذّبين:

وعلى هذا الأساس المنطقيّ والعقليّ خصّص الربّ عظيم الشأن في القرآن الكريم الخلود في نار جهنّم وحبط الأعمال والاستدراج وكثير من العواقب الوخيمة بأُولئك الذين ليسوا كفّاراً فقط ، بل مكذّبين بالآيات الإلهيّة ، فالعلّة المهمّة لخلودهم في جهنّم إنكارهم واستكبارهم وتكذيبهم بآيات الحقّ ، لا نفس الكفر لوحده .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.[2]

١ـ «كتاب سُلَيم بن قيس» طبع النجف ، ص ٩٧ ، و ٩٨ .

٢ـ الآية ٣٩ ، من السورة ٢ : البقرة .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.[1]

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ.[2]

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ.[3]

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.[4]

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ.[5]

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[6]

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم[7] مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.[8]

ومثل كثير من الآيات الأُخرى التي عزت العذاب في الأُمم السابقة إلى تكذيبهم لا إلى نفس كفرهم، ومثل كثير من الآيات الأُخرى التي ذُكر بعضها كأمثلة والتي جيء فيها بعنوان التكذيب بعد الكفر فجُعلا معاً سبباً

١ـ الآية ١٠، من السورة ٦٤: التغابن.

٢ـ الآية ١٠، من السورة ٥: المائدة؛ الآية ٨٦، من السورة ٥: المائدة؛ والآية ١٩، من السورة ٥٧: الحديد.

٣ـ الآية ٤٠، من السورة ٧: الأعراف.

٤ـ الآية ٣٦، من السورة ٧: الأعراف.

٥ـ الآية ٣١، من السورة ٦: الأنعام.

٦ـ الآية ١٤٧، من السورة ٧: الأعراف.

٧ـ أي سنستدرجهم ونهوي بهم إلى جهنّم والجحيم المتّقدة.

٨ـ الآية ١٨٢، من السورة ٧: الأعراف.

للخلود في جهنّم .

احتمال العفو عن «المرجون لأمر الله» الذين يتأخّر حسابهم :

لقد تطرّق القرآن الكريم إلى ذكر أفراد غير أُولئك المُحسنين الذين محضوا الإيمان ، وغير أُولئك الذين محضوا الكفر ، وغير المستضعفين ومن يُلحق بهم ، وغير المؤمنين العاديّين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً ؛ وهم الذين لا يُصار إلى حسابهم بمجرّد موتهم ، بل يُرجى ذلك ويؤخّر إلى يوم القيامة ، فيتمّ آنذاك محاسبة نفوسهم الصالح منها والطالح .

وحين تقوم القيامة ، حيث عالم ظهورات النفوس ، فإنّ الله سبحانه إمّا أن يرحمهم تبعاً لحالاتهم النفسيّة أو يسلّمهم إلى العذاب . ويدعى أُولئكم بـ«المرجون لأمر الله» .

فبعد أن يذكر الله سبحانه في سورة التوبة حال الصالحين والطالحين وحال أُولئك الذين خلطوا عملاً صالحاً وسيّئاً ، فإنّه يبيّن ـ من ثمّ ـ حال هذه الطائفة بهذه الكيفيّة :

وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ[1] رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ[2] ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ * وَءَاخَرُونَ

١ـ وهو الولاية .

٢ـ المرّة الأُولى في عالم الدنيا ، و الأُخرى في عالم البرزخ .

آعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى آللَّـهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ آللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.[1]

وبعد بيان عدّة آيات يصل إلى هذه الآية:

وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ آللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَآللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.[2]

يروي في «الكافي» بسندين متّصلين عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام روايتين في شأن «المرجون لأمر الله»، ومضمون الروايتين واحد إلاّ أنّنا نورد هنا عبارة الرواية الأُولى:

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن الباقر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ «وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ آللَّهِ»

قال: قَوْمٌ كَانُوا مُشْرِكِينَ فَقَتَلُوا مِثْلَ حَمْزَةَ وَجَعْفَرٍ وَأَشْبَاهِهِمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ فَوَحَّدُوا اللَّهَ وَتَرَكُوا الشِّرْكَ، وَلَمْ يَعْرِفُوا الإيمَانَ بِقُلُوبِهِمْ فَيَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَجِبْ لَهُمُ الْجَنَّةُ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى جُحُودِهِمْ فَيَكْفُرُوا فَتَجِبْ لَهُمُ النَّارُ فَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ.[3]

وقد أورد عليّ بن إبراهيم في تفسيره بسنده المتّصل هذه الرواية بالمضمون.[4]

هذا وقد عدّت هذه الطائفة في بعض الروايات من زمرة

١ـ الآيات ١٠٠ ـ ١٠٢، من السورة ٩: التوبة.

٢ـ الآية ١٠٦، من السورة ٩: التوبة.

٣ـ «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٤٠٧.

٤ـ «تفسير القمّيّ» ج ١، ص ٢٨٠.

المستضعفين ، فيروي في «معاني الأخبار» و «تفسير العيّاشيّ» ، الأوّل بسنده المتّصل والثاني مرفوعاً عن حمران بن أعين قال :

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: «إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ» .

قَالَ : هُمْ أَهْلُ الْوَلَايَةِ . قُلْتُ : وَأَيَّ وَلَايَةٍ ؟ فَقَالَ : أَما إِنَّهَا لَيْسَتْ بِوَلَايَةٍ فِي الدِّينِ ، وَلَكِنَّهَا الْوَلَايَةُ فِي الْمُنَاكَحَةِ وَالْمُوَارَثَةِ وَالْمُخَالَطَةِ وَهُمْ لَيْسُوا بِالْمُؤْمِنِينَ وَلَا بِالْكُفَّارِ وَهُمُ الْمُرْجَوْنَ لِأَمْرِاللهِ.

بعض التفاسير ترى أنّ «المرجون لأمرالله» هم من المستضعفين :

وروى في تفسير «الميزان» عن «تفسير القمّيّ» ، عن ضريس الكنانيّ ، عن أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام .

قَالَ : قُلْتُ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا حَالُ الْمُوَحِّدِينَ الْمُقِرِّينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَلَيْسَ لَهُمْ إِمَامٌ وَلَا يَعْرِفُونَ وَلَايَتَكُمْ ؟

فَقَالَ : أَمَّا هٰؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ فِي حُفَرِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا : فَمَنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ عَدَاوَةٌ فَإِنَّهُ يُخَدُّ لَهُ خَدٌّ إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ بِالْمَغْرِبِ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ الرُّوحُ فِي حُفْرَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ فَيُحَاسِبُهُ بِحَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، فَإِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ . فَهٰؤُلَاءِ الْمَوْقُوفُونَ لِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ : وَكَذٰلِكَ يُفْعَلُ فِي الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْبُلْهِ وَالْأَطْفَالِ وَأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ .[1]

١ـ «الميزان» ج ٥ ، ص ٥٩ و ٦٠ .

وفي تعبير الإمام بالجنّة في جهة المغرب ونفخ الروح من هناك بواسطة هذا الخدّ في أسفل الأرض في عالم قبورهم البرزخيّة ، إشارات وكنايات جديرة بملاحظة أهل التأمّل والتفكّر .

وقد روى الكلينيّ هذه الرواية في «الكافي» بسنده المتّصل ، ضمن رواية مفصّلة عن ثلاثة طرق ، من بينها : عليّ بن إبراهيم عن ضريس الكنانيّ .[1]

السؤال في القبر مختصّ بمن محضوا الإيمان ومن محضوا الكفر، ولا سؤال في القبر لسائر الفرق :

ناهيك أنّه يستفاد من بعض الروايات أنّ السؤال في القبر مختصّ بمن أخلصوا الإيمان فصاروا من المؤمنين صرفاً ، أو أخلصوا الكفر فصاروا من الكفّار صرفاً ، أمّا سائر الفرق والطوائف فلا سؤال لهم في القبر بل يُلهى عن مؤاخذتهم وسؤالهم .

يذكر الشيخ الكلينيّ في «الكافي» أربع روايات في هذين الموضوعين بأربعة أسانيد متّصلة عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام .

وباعتبار تقارب مضامين هذه الروايات فإنّنا سنكتفي هنا بذكر إحداهما :

يروي أبو عليّ الأشعريّ ، عن محمّد بن عبد الجبّار ، عن الحجّال ، عن ثعلبة ، عن أبي بكر الحضرميّ ، قال :

قَالَ أَبُو عَبْدُ اللهِ عَلَيهِ السَّلَامُ : لَا يُسْأَلُ فِي الْقَبْرِ إلَّا مَنْ مَحَضَ

١ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٧ و ٦٨ .

الإيمَانَ مَحْضاً أَوْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً وَالْآخَرُونَ يُلْهَوْنَ عَنْهُمْ.[1و2]

وقال العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه في بيان هذه الرواية بعد إيرادها :

بيان : «مَن محض» بفتح الميم اسم موصول ، وبكسر الميم حرف جرّ ؛ وقراءة محض مصدراً ليكون المعنى أنّه لا يُسأل عن الأعمال بل عن العقائد تصحيف يأباه صريح الأخبار . بل المعنى : أنّه لا يُسأل عن المستضعفين المتوسّطين بين الإيمان والكفر .[3]

وقد صرّح **الشيخ المفيد** رحمة الله عليه بهذا المعنى ، من أنّه لا يُسأل في القبر من المتوسّطين بين الكفر والإيمان ، وأنّ السؤال مختصّ بمن محض الإيمان أو محض الكفر ، فقد سُئل عن هذه المسائل وعن السؤال في القبر وكيفيّته فقال : الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل .[4]

النكتة الخامسة : أنّ ما ورد في آية العفو عن المستضعفين هو الأمل بالعفو ، أي أنّ الله سبحانه يغضي عن ذنوبهم ؛ أمّا درجة ومقام ومنزلة المؤمنين الأخيار والصالحين والأبرار والصدّيقين والشهداء وأولياء الله التي يُناط كُلّ منها بأعمال خاصّة واكتساب درجة ومقام من الإيمان واليقين ، فإنّ أيّاً منها لن يكون من نصيبهم ولا من نصيب الملحقين

١ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٤ .

٢ـ وروى هذه الرواية أيضاً الشيخ حسن بن سليمان تلميذ الشهيد الثاني في كتاب «منتخب البصائر» بسنده عن أبي بكر الحضرميّ ، عن الإمام الباقر عليه السلام . («بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢٣٥).

٣ـ «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٢٦٠ .

٤ـ «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٢٧٢ و ص ٢٨٠ ، وقد نقل هذا المعنى عن (المفيد) .

بالمستضعفين ولا المرجون لأمر الله ولا للذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، وذلك لأنّ للجنّة منازل ومقامات، كلّ منها يليق بطائفة خاصّة.

يروي الشيخ الصدوق في «معاني الأخبار» بسنده المتّصل، والعيّاشيّ في تفسيره مرفوعاً، كلاهما عن أبي خديجة سالم بن مكرم الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ «إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا».

فقال: لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً إِلَى النَّصْبِ فَيَنْصِبُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلَ أَهْلِ الْحَقِّ فَيَدْخُلُونَ فِيهِ، وَهَؤلَاءِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالٍ حَسَنَةٍ وَبِاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ الَّتِي نَهَى اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا، وَلَا يَنَالُونَ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ.[1]

النكتة السادسة: أنّ في آية **ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ** دلالة إجماليّة على السؤال في عالم القبر، أي السؤال في عالم البرزخ، والأخبار الواردة تدلّ على ذلك، ويشهد على ذلك أيضاً قول الله تبارك وتعالى:

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * فَٱدْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا.[2]

إنّ أُولئك الذين كانوا يظلمون أنفسهم حين تأتيهم ملائكة الموت لقبض أرواحهم، فإنّهم يحاولون ـ من خلال المسالمة ورفيق القول وليّنه ـ الإيحاء بأنّهم لم يكونوا يعملون سوءاً؛ لكنّ الله يخاطبهم: بلى، إنّ الله

١ـ «معاني الأخبار» ص ٢٠١، و «تفسير العيّاشيّ» ج ١، ص ٢٩٨ و ٢٩٩.
٢ـ الآيات ٢٨ ـ ٣٠، من السورة ١٦: النحل.

عليمٌ بما كنتم تعملون في الدنيا ؛ ثمّ يسوقهم الملائكة إلى جهنّم ويخاطبونهم : ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها ، إنّها ساءت مُقاماً ومثوى للمتكبّرين . ثمّ يقولون للذين احترفوا التقوى في الدنيا : ماذا أنزل الله ؟ فيجيبون : خيراً .

وكما يُلاحظ في هذه الآيات ، فإنّ سؤال الملائكة من الظالمين ومن المتّقين إنّما يحصل في عالم البرزخ حيث يرتفع الحجاب الملكوتي ، فيتكلّمون مع أرواحهم الملكوتيّة .

وهذا النوع من الخطاب الذي ورد في الآيتين موردي البحث وفي هذه الآيات من سورة النحل ، والذي يُخاطب به الظالمون أو أهل التقوى والإيمان ، يؤيّد الروايات التي ذكرت أخيراً وعُدّ فيها سؤال القبر منحصراً بمن محض الإيمان وبمن محض الكفر وأمّا سائر الأفراد فيلهى عنهم .

وقد نقل سماحة الأُستاذ العلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه العالي [1] عن المرحوم آية الحقّ العارف العظيم الشأن الحاجّ الميرزا علي آقا القاضي رضوان الله عليه أنّه قال : حصل في النجف الأشرف أن توفّيت قرب منزلنا أُمّ إحدى بنات الأفندية ،[2] فكانت هذه الفتاة تضجّ بالشكوى وتئنّ لموت أُمّها ، والألم والحزن يغمرانها ، ثمّ إنّها صحبت المشيّعين إلى قبر أُمّها فأنّت هناك وندبت بحيث انقلب حال جميع المشيّعين .

١ـ الكتاب مؤلّف زمن حياة العلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه وقد آثرنا الإبقاء على تعبير المؤلّف حيثما ورد في مطاوي الكتاب ، لذا اقتضى التنويه . (م)

٢ـ المقصود بالأفنديّة أهل السنّة العثمانيّين الذين كانوا يعيّنون من قبل الدولة العثمانيّة في المناصب والوظائف الحكوميّة في العراق ، حيث كان العراق آنذاك تحت سلطتهم ؛ وبعد الحرب العالميّة الأُولى وانتصار دولة الكفر على الإسلام وبعد تقسيم الدولة العثمانيّة فقد خرج العراق من تحت السيطرة العثمانيّة .

ثمّ إنّهم أعدّوا القبر وأرادوا وضع الأُمّ فيه ، فكانت الفتاة تصرخ بأنّها لا تريد الانفصال عن أُمّها ، وعبثاً حاولوا تهدئتها وتسكينها . ثمّ رأوا أنّهم إن فصلوا الفتاة عن أُمّها قهراً لماتت كمداً دون ريب ، فارتأوا أخيراً أن يضعوا الأُمّ في القبر ويدعوا الفتاة إلى جانبها دون أن يُهيلوا التراب على القبر ، بل يكتفون بتغطيته بلوحة خشبيّة ويدعون فيه منفذاً لئلّا تموت الفتاة ، ولكي تخرج من ذلك المنفذ متى عَنّ لها ذلك .

وهكذا رقدت الفتاة بجوار أُمّها في الليلة الأُولى للدفن ، ثمّ جاءوا في اليوم التالي فأزاحوا الغطاء ليروا ما حلّ بالفتاة ، فشاهدوا ـ ويا للهول ـ أنّ شعر الفتاة قد شاب بأجمعه !

سألوها : لماذا حدث هذا ؟

قالت : كنتُ نائمة بجوار أُمّي ، فرأيت في الليل نفرين من الملائكة وقد جاءا فوقف كلٌّ منهما إلى جهة ، ثمّ جاء شخص محترم أيضاً ووقف في الوسط .

ثمّ إنّ ذينك الملكين إنهمكا في سؤال أُمّي عن عقائدها ، فكانت تجيبهم فسألاها عن التوحيد فأجابت : إلهي واحد .

ثمّ سألاها عن النبوّة فأجابت : نبيّي محمّد بن عبد الله .

ثمّ سألاها : مَن إمامك ؟

فقال ذلك الرجل المحترم الواقف في الوسط : لستُ لها بإمام .

فانهال الملكان بالدبابيس على رأس أُمّي بحيث كانت ألسنة النار تتصاعد إلى السماء ، فأنا من رعبي وخوفي من تلك الواقعة بهذه الحال التي ترون . وقال المرحوم القاضي رضوان الله عليه : وباعتبار أنّ جميع عشيرة تلك الفتاة كانوا من العامّة ، ولأن هذه الواقعة حدثت وفق عقائد الشيعة ، فقد تشيّعت تلك الفتاة وتشيّع ببركتها جميع عشيرتها من الأفنديّة .

لقد وردت ذيل الآيات التي كانت محور البحث في شأن المستضعفين آيةٌ أُخرى تتعلّق بوجوب الهجرة وأجر الشخص المهاجر :

وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا .[1]

والمُراغم مشتقّة من الرّغام بفتح الراء وهو التراب ؛ ورَغَمَ أنفُ فلان رغماً أي أُخضع وأُهين ؛ وأرغم الله أنفه من باب الإفعال فعلٌ متعدّ ، أي أهانه وألصقه بالرغام .

والمُراغَم هي الأمكنة التي يُلصق فيها الأنف بالرغام ، وهي كناية في القرآن الكريم عن الأمكنة التي يمكن فيها للإنسان تسكين غضبه وتنفيذ نواياه ومقاصده . وباعتبار أنّه يمكن للمؤمنين من خلال الهجرة والخروج من تسلّط المستكبرين ، أن يُقيموا شعائرهم الدينيّة بحرّيّة كاملة ، وأن يحقّقوا نواياهم ومقاصدهم بتمام المعنى من خلال تأسيس دولة حقّة وحكومة إسلاميّة ؛ وباعتبار أنّه سيمكنهم بالهجرة إلى النقاط الواسعة التي يُصانون فيها من أيدي الظالمين وبنشر لواء الحمد وبسط راية العدل والقسط ، وبإقامة الحدود والجمعة والجماعات ، تمريغ أنوف أعدائهم في التراب وإخماد سَوْرة غضبهم ، ذلك الغضب المكنون في ضمائرهم نتيجة تسلّط قوى الكفر ، الغضب الذي لم يمتلكوا من قبل سبيلاً لإظهاره وإخماده ، لذا فقد وُصفت هذه الحقيقة في هذه الآية المباركة بتعبير عجيب غاية في الغرابة .

يُقال إنّ عالم البرزخ باعتباره محسوباً من تتمّة عالم الدنيا فإنّه من ثمّ

١ـ الآية ١٠٠ ، من السورة ٤ : النساء .

يمتلك صورةً وكمّاً وكيفاً ، لذا فإنّ المؤمنين الذين هاجروا من منازل نفوسهم وخرجوا من بيوتهم وخطوا على طريق الهجرة ، إلّا أنّهم لم يصلوا إلى مقام كمالهم في الوصول إلى حقيقة الاندكاك في الأسماء والصفات الإلهيّة ، والوصول أخيراً إلى عالم الفناء المطلق في ذاته المقدّسة ، فإنّهم يحصلون على كمالهم في عالم البرزخ ، ثمّ يُحشرون يوم القيامة بكمالهم الواقعيّ .

وهذا المعنى يمكن قبوله وفق العمومات الواردة من الحكمة الإلهيّة القرآنيّة والسنّة النبويّة ، ذلك لأنّ من عزم على الهجرة واضعاً نصب عينيه قول رسول الله :

مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَهِ وَرَسُولِهِ .[1]

١ـ أصل هذا الحديث هكذا : **مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى امْرَأَةٍ مُصِيبُهَا أَوْ غَنِيمَةٍ يَأْخُذُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَيْهَا .**

وقد نقل ابن أبي جمهور الأحسائيّ هذا الحديث في «غوالي اللئالي» حسب نقل «بحار الأنوار» ، المجلّد ١٥ ، الجزء الثاني ؛ وورد في «منية المريد» طبع النجف ، ص ٢٧ ؛ كما أورده في «بحار الأنوار» ج ١٥ ، الجزء الثاني ص ٨٧ نقلاً عن «منية المريد» . وقال الشهيد الثاني : (وهذا الخبر من أُصول الإسلام وأحد قواعده وأوّل دعائمه . وكان السلف وجماعة من تابعيهم يستحبّون استفتاح المصنّفات بهذا الحديث تنبيهاً للمُطالع على حسن النيّة وتصحّحها واهتمامه بذلك واعتنائه به) .

بيد أنّ أصل هذا الحديث ليس موجوداً في كتب أُصول أحاديث الشيعة ، ومن الجليّ أنّ الشهيد الثاني وابن أبي جمهور اللذين كان دأبهما الاستفادة من روايات العامّة في الأخلاقيّات ، كانا قد نقلاه من كتب العامّة .

وقد أورد هذه الرواية البخاريّ ومسلم والنسائيّ وابن ماجة والترمذيّ وأحمد بن حنبل ، جميعاً بسندهم المتّصل عن علقمة بن وقّاص ، عن عمر بن الخطّاب بأدنى اختلاف في المتن ، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله [وآله] وسلّم قال : **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِيءٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانت هِجْرَتُهُ إِلَى اللَهِ وَرَسُولِهِ** ـ الحديث.

فإنّه سيرافق رسول الله وينشغل في حظيرة القدس الإلهيّة بالتطلّع إلى جمال الحضرة الأزليّة الأبديّة والسرمديّة ، وسيحظى بمقام الولاية المطلقة والعبوديّة المحضة الخالصة .

وعلى هذا الأساس فإنّ الأفراد الذين لم تصل نفوسهم إلى مقام فعليّتها ، والذين رحلوا عن الدنيا ناقصين ، يجب أن يكملوا في البرزخ ثمّ يحضروا قيامة الأنفس .

وهناك قصّة نقلها سيّدنا الأعظم وأُستاذنا الأكرم العلّامة الطباطبائيّ تستحقّ التأمّل والملاحظة .

قال سماحته :

كان هناك في كربلاء واعظ اسمه السيّد جواد ، وكان يُلقّب بالكربلائيّ باعتباره من أهل تلك المدينة ؛ وكان يقطن كربلاء ، إلّا أنّه كان قد اعتاد الذهاب أيّام المحرّم إلى النواحي والقصبات والقرى النائية لتبليغ الأحكام ، فيصلّي بأهلها صلاة الجماعة ويبيّن لهم المسائل ثمّ يقفل راجعاً إلى كربلاء .

وصادف مرّة أن عرّج على إحدى القصبات التي كان جميع سكّانها من العامّة ، فالتقى هناك بشيخ عجوز ذي شيبة نورانيّة . ولأنّه رآه سنّيّاً فقد فتح معه باب الحديث والمذاكرة ، فشاهد أنّه لا يمكنه إفهامه أمر التشيّع فوراً ، فقد كان قلب ذلك الرجل الساذج الطيّب قد طفح بحبّ غاصبي مقام الخلافة بحيث لم يكن لديه استعداد لذلك ، بل ربّما أدّى بيان الأمر له إلى عكس المتوخّى ؛ ثمّ حصل أنّه كان يتحدّث معه يوماً فسأله : مَن هو شيخكم ؟ (يسمّي العرب كبير العشيرة ورئيسها بالشيخ) .

وكان السيّد جواد يرمي من سؤاله هذا إلى فتح باب المذاكرة مع ذلك الشيخ ليجد الإيمان سبيله إلى قلبه تدريجياً، فيجعله شيعيّاً.

أجاب الشيخ : شيخنا رجل مقتدر له عدّة مضائف [1] ، وله من الإبل والضأن الشيء الوفير ، وله أربعة آلاف نفر من الرماة ، أمّا عشيرته وقبيلته فما أكثرهم !

فقال السيّد جواد : أنعِم بشيخكم ، ما أكثر قدرته وتمكّنه !

ثمّ التفت الشيخ العجوز بعد هذه المذاكرات إلى السيّد جواد فقال : ومن هو شيخكم ؟

قال : شيخنا سيّدٌ يُغيث كلّ محتاج وملهوف ، فلو كنتَ في شرق العالَم وكانَ في غربه ، أو كنتَ في غرب العالَم وكانَ في شرقه ، وانتابك غمّ أو محنة ، فما عليك إلّا أن تندبه وتهتف باسمه فإنّه يأتيك على الفور فيغيثك ويحلّ لك ما أشكل عليك .

فقال الشيخ العجوز : عجباً ! ما أحسنه من شيخ ! أَكْرِم بالشيخ أن يكون هكذا ؛ فما اسمه ؟

قال السيّد جواد : الشيخ عليّ !

ثمّ انقطع الحديث إلى هذا الحدّ ، وانفرط عقد المجلس وافترق الاثنان عن بعضهما فعاد السيّد جواد إلى كربلاء ، لكنّ الإعجاب بالشيخ عليّ كان قد غمر ذلك الرجل العجوز فكان لا يبرح مخيّلته .

وبعد مدّة عاد السيّد جواد إلى تلك القرية بشوق ولهفة ليُنهي المذاكرة ويجعل الشيخ شيعيّاً ، وكان يردّد في نفسه : لقد وضعنا الحجر الأساس ذلك اليوم ، وعلينا اليوم أن نُكمل البناء . لقد تحدّثنا ذلك اليوم عن الشيخ عليّ ، وسنعرّفه به اليوم فنهدي الرجل العجوز ذا القلب المشرق إلى

١ـ المضيف بمعنى دار الضيافة ، وهو مشهور بين العرب ، يستقبلون فيه الوافد عليهم سواءً كان قريباً أو غريباً فيضيّفونه لديهم .

المقام المقدّس لأمير المؤمنين عليه السلام .

ثمّ دخل القرية وسأل عن ذلك الرجل العجوز فقيل له : لقد رحل عن دار الدنيا !

فتأثّر السيّد لذلك غاية التأثّر ، وقال في نفسه : عجباً له من رجل عجوز ! لقد كنّا وطّنّا النفس على تعريفه بالولاية ، لكنّه ـ ويا للأسف ـ رحل عن الدنيا بدونها . لقد أردنا أن نعمل شيئاً فنعين الرجل العجوز ، فقد استبان بجلاء أنّه لم يكن من أهل العناد والنصب ، وأنّ الإعلام السيّئ والإلقاءات والتلقين قد حرم الرجل العجوز من النزوع إلى الولاية .

ولقد أثّر موت العجوز فيّ كثيراً (والكلام للسيّد جواد الكربلائيّ) ، فحزنتُ له حزناً جمّاً ، ثمّ ذهبت لرؤية أولاده وعزّيتهم وسألتهم أن يأخذوني إلى قبره ، فقادني أولاده إليه ، فقلتُ : يا إلهي ! لقد كان لنا أملٌ في هذا الشيخ العجوز ، فَلِمَ أخذتَه من عالم الدنيا ؟ لقد كان على مشارف أعتاب الولاية ، فوا أسفاً على رحيله من الدنيا ناقصاً محروماً !!ثمّ عدتُ من قبر الشيخ العجوز ورافقتُ أبنائه إلى داره فبتُّ هناك ليلتي تلك ، فرأيتُ في عالم النوم أنّي دخلت من باب فشاهدت ممرّاً طويلاً وضع على جانب منه مصطبة عالية جلس عليها شخصان ، والرجل العجوز واقف أمامهما .

فدخلتُ وسلّمتُ وسألتُه عن حاله ، ثمّ رأيت أنّ هناك في نهاية الممرّ باباً زجاجيّة تُشاهد منها روضة كبيرة . فسألتُ الرجل العجوز : أين هذا المكان ؟

قال : هذا عالم قبري وعالم برزخي ، وهذه الروضة في نهاية الممرّ خاصّة بي وبقيامتي .

قلتُ : فلِمَ لَمْ تذهب إليها ؟

ردّ قائلاً : لم يحن الوقتُ بعدُ . يجب عَلَيّ اجتياز هذا الممرّ أوّلاً ، ثمّ

الذهاب إلى تلك الروضة .

قلتُ : فلم لا تجتاز وتذهب ؟

قال : هذان الشخصان معلّماي ، وهما ملكان سماويّان جاءا لتعليمي الولاية ، وسأذهب حين تكمل ولايتي . أيتها السيّد جواد ، لقد قلتَ ولم تقلْ (أي أنتك قلتَ إنّ شيخنا الذي لو نودي من شرق العالم أو غربه لأجابَ وأغاثَ اسمه الشيخ عليّ ، لكنّك لم تقل إنّ شيخ عليّ هذا هو عليّ بن أبي طالب) .

أُقسم بالله ، ما إن هتفتُ : يا شيخ عليّ أغثني ! إلّا وحضر على الفور ؟

قلتُ : ما القصّة ؟

أجاب : حين رحلتُ عن الدنيا جيء بي إلى القبر فوضعوني فيه ، ثمّ جاءني منكر ونكير وسألاني : مَن ربّك ومن نبيّك ومن إمامك ؟

فاضطربتُ وغمرني الخوف الشديد ، ومهما حاولتُ الإجابة تلجلج لساني ، ومع أنتني كنت مع أهل الإسلام فإنّني مهما حاولت أن أقول من هو ربّي ومن هو نبيّي ، تلجلج لساني فلم ينطق .

ثمّ إنّ منكراً ونكيراً تحرّكا ليمسكا بتلابيبي ويخضعاني لسيطرتهما وعذابهما ، فصرتُ بائساً بكلّ ما للكلمة من معنى ، ورأيتُ أن ليس لي من محيص . لقد صرتُ ممّتحناً أسيراً مضطرباً !

ثمّ خطر في ذهني فجأة أنتك قلتَ لي : إنّ لدينا شيخاً لو ناداه مضطرّ وندبه في شرق العالم أو غربه لحضر لديه فوراً وأغاثه وكشف كُربته . فهتفتُ : يا عليّ أغثني !

فحضر عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام على الفور إلى هذا المكان وقال لمنكر ونكير : دعا الرجل فإنّه ليس معانداً ولا من أعدائنا

فقد رُبّي هكذا . إنّ عقائده غير كاملة لأنّه لم يمتلك سعةً لذلك .

هكذا ردّ الإمام ذينك الملكين ، وأمر ملكين آخرين بالمجيء ليكملا عقائدي ، فهذان الشخصان الجالسان على المصطبة هما الملكان اللذان جاءا بأمر الإمام ليعلّماني العقائد . وحين ستصبح عقائدي صحيحة فسأكون مجازاً بعبور هذا الممرّ والدخول إلى تلك الروضة .

إنّ هذه الرؤيا التي توضّح جهات من إعانة المستضعفين والعفو عنهم والتكامل البرزخيّ وجهات كثيرة أُخرى ، لها دلالة أيضاً على السؤال عن العقائد في عالم القبر .

وهذه الرؤيا نظير أحلام أُخرى نبيّنها في هذه الأبحاث ، من الوقائع المسلّمة الوقوع في عصرنا هذا .

وعلى هذا الأساس في تكميل النفوس الناقصة التي رحلت عن الدنيا والتي لم تصل إلى مقام فعليّتها ، فقد وردت روايات في أنّ أولاد المؤمنين الذين رحلوا عن الدنيا في سنيّ طفولتهم يُربّون في عالم البرزخ على يد إبراهيم الخليل عليه السلام أو على يد الزهراء سلام الله عليها .

إكمال النفوس الناقصة في عالم البرزخ تمهيداً لورودها عالم القيامة :

يذكر الشيخ الصدوق في كتاب «الأمالي» رواية طويلة في معراج رسول الله صلّى الله عليه وآله ، بسنده المتّصل عن عبد الرحمن بن غنم ويذكر ضمنها هذه الفقرة :

قَالَ : لَمَّا أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرَّ عَلَى شَيْخٍ قَاعِدٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحَوْلَهُ أَطْفَالٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ هَذَا الشَّيْخُ يَا جِبْرَئِيلُ ؟

فَقَالَ : هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ : فَمَا هَـٰؤُلَاءِ الْأَطْفَالُ حَوْلَهُ ؟

قَالَ : هَـٰؤُلَاءِ أَطْفَالُ الْمُؤْمِنِينَ حَوْلَهُ يَغْذُوهُمْ.[1]

وروى المجلسيّ رضوان الله عليه عن تفسير عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن سليمان الديلميّ ، عن أبي بصير ، عن الإمام الصادق عليه السلام :

قَالَ : إِنَّ أَطْفَالَ شِيعَتِنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تُرَبِّيهِمْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ.[2]

ويروي الشيخ الصدوق في كتاب «معاني الأخبار» عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر الحميديّ ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ، قال :

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَهَا الْبُلْهَ .

قَالَ : قُلْتُ : وَمَا الْبُلْهُ ؟

فَقَالَ : الْعَاقِلُ فِي الْخَيْرِ الْغَافِلُ عَنِ الشَّرِّ ، الَّذِي يَصُومُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .[3]

كما يروي الشيخ الصدوق في «معاني الأخبار» أيضاً ، بسنده المتّصل عن أمير المؤمنين عليه السلام :

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : يَا عَلِيُّ ، إِنَّ لَكَ كَنْزًا فِي الْجَنَّةِ وَأَنْتَ ذُو قَرْنَيْهَا ، وَلَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ بِالنَّظْرَةِ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ .[4]

١ـ «أمالي الصدوق» ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

٢ـ «بحار الأنوار» طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ص ٢٢٩ .

٣ـ «معاني الأخبار» ص ٢٠٣ .

٤ـ «معاني الأخبار» ص ٢٠٥ .

وقال الصدوق رحمة الله عليه في تفسير وبيان هذا الحديث :

معنى قوله صلّى الله عليه وآله «إِنَّ لَكَ كَنْزاً فِي الْجَنَّةِ» يعني مفتاح نعيمها ، وذلك أنّ الكنز في المتعارف لا يكون إلّا المال من ذهب أو فضّة ولا يكنز إلّا لخيفة الفقر ولا يصلحان إلّا للإنفاق في أوقات الافتقار إليهما ولا حاجة في الجنّة ولا فقر ولا فاقة ، لأنّها دار السلام من جميع ذلك ومن الآفات كلّها ، **وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين**[١] فهذا الكنز هو المفتاح وذلك أنّه عليه السلام قسيم الجنّة ، وإنّما صار عليه السلام قسيم الجنّة والنار لأنّ قسمة الجنّة والنار ، إنّما هي على الإيمان والكفر ، وقد قال له النبيّ صلّى الله عليه وآله :

يَا عَلِيُّ حُبُّكَ إِيمَانٌ وَبُغْضُكَ نِفَاقٌ وَكُفْرٌ . فهو عليه السلام بهذا الوجه قسيم الجنّة والنار .

وقد سمعتُ بعض المشايخ يذكر أنّ هذا الكنز هو ولده المحسن عليه السلام وهو السقط الذي ألقته فاطمة عليها السلام لمّا ضُغطت بين البابين واحتجّ في ذلك بما روي في السقط من أنّه يكون مُحْبَنْطِئاً [٢] على باب الجنّة فيُقال له : ادخُل الجنّة . فيقول : لا حتّى يدخل أبواي قبلي . وما روي أنّ الله تعالى كفّل سارة وإبراهيم أولادَ المؤمنين يغذّونهم بشجر في الجنّة لها أخلاف كأخلاف البقر ، فإذا كان يوم القيامة أُلبسوا وطُيّبوا وأُهدوا إلى آبائهم ، فهم في الجنّة ملوك مع آبائهم . وأمّا قوله صلّى الله عليه وآله «وَأَنْتَ ذُو قَرْنَيْهَا» فإنّ قرني الجنّة الحسن والحسين لما روي أن رسول الله

١ـ مُقتبس من الآية ٧١ ، من السورة ٤٣ : الزخرف : **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ...**

٢ـ أي الممتلئ غيظاً .

صلّى الله عليه وآله قال : إنّ الله عزّ وجلّ يزيّن بهما جنّته كما تزيّن المرأة بقرطيها . وفي خبر آخر يزيّن الله بهما عرشه .[1]

فالحسن والحسين إذَن هما قرطا عرش الله تعالى ، وربّما قيل لهذا السبب عن سقوط سيّد الشهداء عليه السلام من على سرج جواده إلى الأرض :

بلندمرتبه شاهى زصدر زين افتاد
اگر غلط نكنم عرش بر زمين افتاد[2]

وما أروع ما استُعير في وصف هذا السقوط :

يكتاگهرى زصدر زين افتاده آويزهٔ عرش بر زمين افتاده
افسوس كه در معركهٔ كرب وبلا از خاتم انبيا نگين افتاده[3]

ولهذا فقد ورد في الرواية :

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ شَنَفَا الْعَرْشِ ، وَإِنَّ الْجَنَّةَ قَالَتْ يَا رَبِّ أَسْكَنْتَنِي الضُّعَفَاءَ وَالْمَسَاكِينَ !

فَقَالَ اللَّهُ لَهَا :

أَلَا تَرْضَيْنَّ إِنِّي زَيَّنْتُ أَرْكَانَكِ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

قَالَ : فَمَاسَتْ كَمَا تَمِيسُ الْعَرُوسُ فَرَحاً .[4]

١ـ «معاني الأخبار» ص ٢٠٦ .

٢ـ يقول : إنّ الملك ذا المقام الرفيع قد هوى عن صدر سرج جواده ، وإن لم أُجانب صواباً فقد هوى العرش على الأرض .

٣ـ يقول : إنّ الجوهرة اليتيمة تهاوت من على صدر السرج ، وشَنَف العرش قد هوى على الأرض .

فوا حسرتاه حين هوى من خاتم الأنبياء فصُّ خاتمه في معركة كرب وبلاء .

٤ـ «إرشاد المفيد» باب طرف من فضائل الحسين عليه السلام ، ص ٢٧١ .

ولهذا فقد أمطرت السماء دماً عند قتله عليه السلام ، فاستحال التراب دماً فقد روي عن أُمّ سلمة رضي الله عنها أنّها قالت : خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً ، ثمّ جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة ، فقلت له : يا رسول الله ، ما لي أراك أشعث مغبراً ؟ فقال : أُسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلا فرأيت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي ، فلم أزل ألقط دماءهم فها هي في يدي ، وبسطها إلَيّ فقال : خذيها واحتفظي بها . فأخذتُها فإذا هي شبه تراب أحمر ، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت بها . فلمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً نحو العراق كنت أُخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة فأشمّها وأنظر إليها ثمّ أبكي لمصابه ، فلمّا كان اليوم العاشر من المحرّم وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها ، ثمّ عُدت إليها آخر النهار فإذا هي دمٌ عبيطٌ .[1]

وروي عن محمّد بن سيرين قال : لَمْ تُرَ هذه الحُمرة في السماءِ إلّا بعد قَتْلِ الحسينِ عليه السلام .[2]

وروى سعد الإسكاف ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام :

كَانَ قَاتِلُ يَحْيَى بْن زَكَرِيَّا وَلَدَ زِناً ، وَقَاتِلُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ وَلَدُ زِناً وَلَمْ تَحْمَرَّ السَّمَاءُ إِلَّا لَهُمَا .

وروى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة عَنْ عَلِيّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : **خَرَجْنَا مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَمَا نَزَلَ مَنْزِلاً وَلَا ارْتَحَلَ مِنْهُ إِلَّا ذَكَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا وَقَتْلَهُ . وَقَالَ يَوْماً : وَمِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ أَنَّ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ**

---

١ و٢ـ «إرشاد المفيد» باب طرف من فضائل الحسين عليه السلام ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٣.

زَكَرِيَّا أُهْدِيَ إلَى بَغِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إسْرَائِيلَ.[1]

١ـ «إرشاد المفيد» باب طرف من فضائل الحسين عليه السلام ، ص ٢٧٣ .

المجلس السابع عشر

كيفية ارتباط عالم البرزخ بعالم الطبع والقبر



بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوة إلّا باللَه العليّ العظيم

وصلّى اللهُ على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .[1]

يدور بحثنا هنا عن تأثير موجودات عالم الملكوت في موجودات عالم المُلك وارتباطها بها ، وكيفيّة تأثير موجودات عالم الملكوت الأعلى ـ وهو عالم الأسماء والصفات الإلهيّة الكلّيّة ـ وتأثير الأرواح القدسيّة والنفوس المجرّدة في موجودات عالم الملكوت الأسفل ـ أي عالم المثال والصورة ـ وأخيراً عن كيفيّة تأثير الموجودات المثاليّة في عالم المُلك والناسوت ـ أي عالم الطبع والمادّة ـ وهو بحث يمتاز بالدقّة ، إلّا أنّنا سنسعى ـ قدر وسعنا ـ لبيان المطالب بشكل جليّ ويسير .

كما يتطرّق البحث في النهاية إلى كيفيّة ارتباط نفس الإنسان مع مثاله

---

١ ـ الآية ١٠٥ ، من السورة ٩ : التوبة .

وبرزخه ، وإلى كيفيّة ارتباط برزخ الإنسان مع المادّة والطبع والبدن الوارد في قبره .

ويتوجّب ملاحظة وضع البدن الذي يوضع في القبر ، ألَهُ نصيب من الثواب والعقاب أم لا ؟ أو يصل إلى هذا البدن أيضا الثواب والعقاب الواصلان إلى البدن البرزخيّ في عالم البرزخ ، فيُثاب هذا البدن أو يعذّب أم لا ؟

بطبيعة الحال فإنّ بحثنا هنا يتعلّق فقط بكيفيّة ارتباط البدن المثاليّ والبرزخيّ مع البدن المادّيّ الملقى في القبر ، وليس بعنوان بحث كلّيّ فلسفيّ ، إلّا أنّنا مجبرون ـ من أجل هذا البحث الجزئيّ ـ على إيراد بحث كلّيّ .

إنّ جميع الموجودات في هذا العالم تُدار وتدبّر من قبل موجود مدبّر إلهيّ ، فالإنسان المادّيّ له مَلَك مقرّب يرشده ويحفظه ؛ وكلّ واحد من أصناف الحيوانات والنباتات والجمادات ، بل وكلّ ذرّة من موجودات هذا العالم ، وبصورة عامّة فإنّ جميع عالم الشهادة ، أي عالم الظاهر وعالم الملك ، يخضع لإدارة وسيطرة عالم ملكوتيّ ، وذلك العالم الملكوتيّ هو عالم الحقيقة والمعنى والباطن الذي له قدرة وعظمة تفوق هذا العالم ، ويمكنه ـ لذلك ـ أن يربّي ويسيّر هذه الموجودات ضمن شرائطه ، ويُقال لتلك الموجودات : الملائكة .

والملائكة يضيقون على الحصر ، فهناك منهم بعدد الذرّات الموجودة في هذا العالم والمخلوقة في عالم المُلك ، وهناك ملك بعدد كلّ قطرة مطر تنهمر من السماء موكّل بحفظها وحراستها وإنزالها .

وهكذا الأمر في كلّ بذرة تنمو في الأرض ، وكلّ حبّة تنبت وتنمو

وتنضج ، حتّى بذرة الحرمل . حيث ورد في الروايات أنّ هناك ملكاً موكّلاً بكلّ منها ليحفظها وفق الوظيفة والشرط والسنّة الإلهيّة التي فُوّض بها ، ويجعلها تنمو وتنضج وتصل إلى حدّ كمالها ، وليحرسها ويُعنى بها ، غير مقصّر في مهمّة رعاية جهات حياتها وتغذيتها وتنميتها . وهكذا فإنّ الريح التي تهبّ لها مَلَك ، بل إنّ الرياح المختلفة من شمال وجنوب وريح الصَّبا وريح الدبور لها ملائكة مختلفون ،كما أنَّ لكلّ واحد من رياح الرحمة وعواصف الغضب ، الرياح المهلكة المسمومة والنسائم اللطيفة المنعشة ، غيوم السماء البيضاء والسوداء ، المتراكمة المثقلة والخفيفة وغيوم المطر والثلج ملائكة يمتلك كلّ منهم مهمّة خاصّة تتفاوت حسب اختلاف القوى والمواهب التي أعطاها الله لهم .

ثمّ إنّ مراتب حياة الإنسان ، من قوى الهضم والتغذية والنموّ ، والقوى الرافعة والجاذبة والدافعة والمبدّلة والماسكة وغيرها تخضع جميعاً لتدبير وإدارة ملائكة مختلفين .

وهذه حقيقة قائمة على أساس حقيقة فلسفيّة ، وهي أن موجودات عالم الطبع والمادّة خاضعة لسيطرة موجودات عالم المثال والصورة ، وتلك بدورها خاضعة لسيطرة عالم النفس والملكوت الأعلى ، وصولاً إلى مقام الأسماء والصفات الإلهيّة ، وأخيراً إلى الاسم الأعظم للحضرة الواحديّة ومقام لا اسم ولا رسم للحضرة الأحديّة جلّ وعزّ وتبارك وتقدّس .

ومن هنا فإنّ نور الوجود تنزّل أوّلاً من ذاته المقدّسة جلّ وعلا إلى مقام الأسماء والصفات الكلّيّة، وتظهر وتتجلّى من ثمّ تدريجياً في المراتب المختلفة لعالم الإمكان ، من الموجودات المجرّدة والمثاليّة ، ثمّ في الموجودات الطبيعيّة والجسميّة . ولم يكن الأمر بحيث تمثّل الطبيعة مبدأ وجود القوى في العوالم ، ترقيّاً إلى ظهور عالم المثال والصورة ، ثمّ النفس

والعوالم المجرّدة ، وهو ما يمثّل مقولة غير صائبة تمثّل أساس فلسفة المادّيين القائلين بأصالة المادّة ، والذين يعدّون الروح والملكوت أثراً ضعيفاً من المادّة وترشّحاً عنها . وفي الحقيقة فإنّ منهجهم ومدرستهم يمكن أن يُدعى بمنهج ومدرسة أصالة المادّة . أمّا منهج المتألّهين ـ في المقابل ـ فهو منهج أصالة الله وأصالة التوحيد وأصالة المعنى ، وذلك أوّلاً : لأنّه يقول بوجود الله المجرّد البسيط الذي لا حدّ له ولا عدّ ، واللا متناهي بلحاظ القدرة والعظمة والعلم والحياة ، على نحو الاستقلال في الوجود ، ثمّ إنّ الموجودات المجرّدة ، الروحانيّة والمادّيّة توجد بعد ذلك الوجود المقدّس ، على أنّ كيفيّة وجودها على نحو الخلقة وبنفس مجرّد الإرادة ، لا على نحو الإخراج والخروج ، أي الولادة .

ولا منافاة لهذا الكلام مع مبنى صدر المتألّهين في سير الموجودات المادّيّة وتكاملها إلى الموجودات المجرّدة .

فهو يقول في النفس بأنّ مبدأها جسمانيّ ونهايتها روحانيّة :

النَّفْسُ جِسْمَانِيَّةُ الْحُدُوثِ ، رَوْحَانِيَّةُ البَقَاءِ .[1]

١ـ أثبت هذا المعنى صدر المتألّهين قدّس الله سرّه ، وقد وُضعت قواعده بلحاظ الحركة الجوهريّة التي هي أمر مُبرهن عليه ،كما أنّ الآيات والروايات تشير إلى هذا المعنى بدقّة ولطافة ملحوظة . فالقرآن الكريم يقول في شأن الإنسان :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ (الآيات ١٢ ـ ١٤ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون).

مُبيّناً في هذه الآيات سير تكامل الإنسان وترقّيه من المراحل الأوّليّة على نحو التغيّر والتبدّل ، فقد خلقنا الإنسان أوّلاً من سُلالة من الطين والتراب ، ثمّ جعلنا ذلك الجوهر مستقرّاً على هيئة نُطفة في محلّ مكين هو رحم الأمّ ، ثمّ جعلنا النطفة علقة ، ثمّ جعلنا العلقة مُضغة . فهو يقول أوّلاً إنّ المبدأ الأوّل للإنسان من جوهر الطين ، ويبيّن ثانياً مراتب تغيّره ⇦

وإنّ سير تكامل الإنسان وترقّيه هو من المراتب المادّيّة إلى المراتب المعنويّة والروحانيّة ، وتبعاً للحركة الجوهريّة ؛ حيث يتحرّك الجوهر في ذاته وكينونته ؛ فإنّ الموجودات المادّيّة تتحرك في ذاتها بنفس قابليّتها الهيولانيّة ، ثمّ تصل إلى مرحلة التجرّد بعد خَلْع ولبس متعدّدين .

ذلك لأنّ صدر المتألّهين نفسه ـ وهو من أعاظم الفلاسفة المتألّهين ـ قائل بسيطرة وهيمنة عالم الملكوت على عالم المُلك ، وأنّ كلّ ذرّة في هذا العالم تدار تحت سيطرة القوى المعنويّة والروحانيّة ؛ حتّى أنّ

⇐ وتبدّله التكامليّ فيقول إنّ النطفة فقدت هيئتها فصارت علقة ، ثمّ فقدت العلقة هيئتها فصارت مُضغة ، ثمّ فقدت المضغة هيئتها فصارت عظاماً . ويصل ثالثاً إلى نفخ الروح فيقول (ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ) أي أنّنا خلقنا ـ من ثمّ ـ ذلك العظام المكسوّ باللحم خلقاً آخر ، أي أخرجناه في التجرّد الإنسانيّ وجعلناه موجوداً حيّاً شاعراً وعالماً صاحب نفس ناطقة ؛ وحقّاً فإنّ من المناسب أن يمدح نفسه هنا ويمجّدها فيقول تَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ .

وما أبدع وصف العارف الروميّ جلال الدين في المثنوي حين يقول :

از جمادى مُردم و نامى شدم ... و ز نما مُردم بحيوان سر زدم

مُردم از حيوانى و آدم شدم ... پس چه ترسم كى ز مردن كم شدم

حملهٔ ديگر بميرم از بشر ... تا بر آرم از ملايک بال و پر

و ز مَلَك هم بايدم جستن ز جو ... كُلُّ شيءٍ هالك إلّا وَجْهَهُ

بار ديگر از مَلَك قربان شوم ... آنچه اندر وَهْم نايد آن شوم

پس عدم گردد عدم چون ارغنون ... گويدم كَانّا إلَيهِ رَاجعون

(المجلّد الثالث للمثوني ، طبع ميرخاني ، ص ٩٩ وفي الترقيم العامّ للكتاب ص ٣٠٠)

يقول : مُتُّ من جمادٍ ونَمَوتُ ، ثمّ مُتّ من النماء فطلعتُ حيواناً

ثمّ متّ من الحيوان فصرت آدمياً ، فما بالي أخاف متى يخطفني الموت ؟

إنْ هي إلّا هجمة أُخرى أموت بها من البشر ، لأحصل من الملائكة على ريش وجناح !

وعَلَيّ ـ من ثمّ ـ أن أقفز من المَلَك ، فكلّ شيء هالك إلّا وجهه .

عَلَيّ أن أصبح قرباناً من مرتبة المَلَك ، لأصبح ما لايرقى إليه الوهم والخيال .

فلأكن عدماً إذَن ، عدماً كالأرغن ، قائلاً : إنّا إليه راجعون !

سلالة الطين والتراب التي تمثّل مبدأ خلقة الإنسان، خاضعة لإرادة واختيار الموجودات المثاليّة، والنفسيّة والتجرّديّة من الأسماء العليا والصفات الحسنى الإلهيّة.

كلّ ما في الأمر أنّ هذا الموجود المادّيّ الذي يمثّل مبدأ خلقة الإنسان، والسائر بنفسه درجة درجة إلى التكامل حتّى يصل إلى مرحلة التجرّد والروحانيّة، خاضع في كلّ حال ـ بلحاظ الوجود والعلم والقدرة وسائر الجهات ـ إلى تعاهُد ومراقبة ومعلوليّة العوالم العليا.

وبتعبير آخر، فإنّ من لوازم الحركة من قوس النزول إلى مقام أوج بدء الخلقة، أي إنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ ومن لوازم قوس النزول من بدء الخلقة إلى أظلم العوالم، أي المادّة الصرفة والهيولى المحضة والقابليّة الخالصة، أن ينزل نور وجود الحقّ جلّ وعلا من أعظم الأسماء الإلهيّة في مراتب التجرّدات الملكوتيّة، ثمّ في عالم المثال، ثمّ يتنزّل عنه إلى عالم الملك، ثمّ يصعد تدريجياً من عالم المادّة وظلمة الهيولى التي لا شعور لها ولا علم ولا قدرة، متحرّكاً تجاه الحضرة الأحديّة جلّ وعزّ. وهذا المعنى لا يتحقّق إلّا أن تتحقّق تلك المادّة التي لا شعور لها ولا إرادة، وتلك الهيولى المحضة التي تمثّل القابليّة الصرفة ومبدأ خلقة الإنسان، إثر تدبير وإرادة وسيطرة عوالم التجرّد والملكوت.

ومن ثمّ فلا علاقة لجسمانيّة حدوث الإنسان وروحانيّة بقائه بأصالة المادّة.

وحصيلة القول فإنّ بعض الأفراد الذين شاهدوا أو سمعوا روايات وآيات تدبير الملائكة وحفظهم وحراستهم، أرادوا القول في مقام التحليل وفق تصوّراتهم المنفتحة بأنّ المراد بالمَلَك الذي ينزل بقطرة المطر إلى الأرض، حياة تلك القطرة والخاصيّة الموجودة فيها، أو أنّ المراد بذلك

الجاذبيّة الأرضيّة . فالبرق والصاعقة والغيوم وهبوب الرياح بواسطة قوى الجذب والدفع والخواصّ الفيزيائيّة ، بل والكيميائيّة أيضاً ، هي التي تُوجد هذه الظواهر ،كلّ ما في الأمر أنّ قوى الجاذبيّة والمسائل الفيزيائيّة والكيميائيّة لم تكن معهودة في ذلك الوقت ، فكانوا يعبّرون عن علل الظواهر المادّية بالمَلَك والجنّ وغيرها ؛ وهو كلام خاطئ غير صائب .

وبطبيعة الحال فإنّ جميع الموجودات المادّيّة لها علل وأسباب مادّيّة ، فالرعد والبرق والصاعقة والغيوم والأمطار والعواصف الثلجيّة والطيف الشمسيّ والخسوف والكسوف لها علل وشرائط طبيعيّة ، فهي تحدث وتقع بتحقّق تلك العلل .كما أنّ إحدى الجهات المؤثّرة فيها هي قوى الجذب والدفع ، بَيدَ أنّ هذه القوى المادّيّة خاضعة ـ بدورها ـ لحكم قوى معنويّة وسماويّة ،كما أنَّ الجاذبيّة الأرضيّة خاضعة ـ بدورها ـ للقوى الملكوتيّة .

وعلى هذا فإنّ جميع الظواهر التي لا تدركها حواسّ الإنسان ، مع جميع أسبابها وعللها المادّيّة التي لا تُدرك بالحواسّ ، مثل الطاقة الحركيّة والطاقة الحيويّة والكهرباء والنور والأمواج التي ملأت العالم والتي لا تدركها العين هي بأجمعها مادّيّة تدار بإشراف القوى الملكوتيّة للملائكة الإلهيّين ، والكلام إنّما يقع في هذا القسم .

يذكر في الدعاء الثالث من أدعية الصحيفة السجّاديّة المباركة أصناف وأنواع الملائكة المقرّبين وحملة العرش وأنواع الملائكة الثانويّين المأمورين بالحوادث الأرضيّة والجويّة ، ثمّ يذكر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، ومَلَك الموت وأعوانه ، ومنكراً ونكيراً ، ورومان فتّان القبور .

وبغضّ النظر عن ذلك فإنّ الموجودات الروحانيّة الطيّبة والطاهرة في هذا العالم مرتبطة بالملائكة الروحانيّين للعالم العلويّ ،كما أنّ لأُولئكم

ـ بدورهم ـ أُنساً ومحبّة وشوقاً إلى الموجودات الطيّبة والطاهرة في هذا العالم.

فملائكة الرحمة ـ مثلاً ـ يحبّون البيت النظيف والغرفة النظيفة والإنسان النظيف المتطهّر، ويحبّون الوضوء والغسل والطهارة، ويحبّون الملابس البيضاء، ويحبّون الرائحة الطيّبة، فهم يتوجّهون صوب الرائحة الطيّبة أينما كانت، كما أنّهم يحبّون القرآن، ويحبّون منزل الإمام والنبيّ ووليّ الله فينزلون هناك.

ومع أنّ الملائكة موجودات ملكوتيّة، والملكوت مجرّد عن المادّة ولوازم المادّة من الوضع والكيفيّة والكمّيّة والزمان والمكان، إلّا أنّ تلك الموجودات الملكوتيّة يمكنها أن تتّصل بهذا العالم على نحو ما، وأن يكون لهم نسبة وجهة مع هذا العالم.

كما أنّ أيّ موجود ملكوتيّ ذي تجرّد قليل إذا كان من الأسماء الجزئيّة للربّ، وكان قريباً من هذا العالم، فإنّه سيمكنه إدارة عالم الملك هذا دون واسطة من خلال توجّهه المعنويّ. فملائكة الرحمة يتوجّهون إلى الموجودات الطيّبة والطاهرة في هذا العالم، وعلى العكس فإنّهم ينفرون من المكان المظلم ذي الرائحة العفنة. كما أنّ المَلَك لا يرد غرفة فيها إنسان جُنب، ولا في مكان يحوي تمثالاً أو صورة ذي روح، ولا يدخل بيتاً فيه كلب، أو تُشرب فيه الخمر، أو فيه آلات للموسيقى والقمار، كما لا ترد الملائكة في مواقد الحمّام والأمكنة المتّسخة.

وليس هذا المعنى بلحاظ أنّ الملائكة تعني الوضوء والغسل والملابس البيضاء والعطر، إذ إنّ الملك موجود معنويّ بينما العطر موجود مادّيّ؛ بل بمعنى أنّ الارتباط بين ذلك الملكوت وهذه المادّة بهذه الكيفيّة: أنّ ذلك الموجود المعنويّ الطيّب له محاذاة وتوجّه إلى العطر

واللباس الأبيض وقراءة القرآن . على العكس من الجانّ والشياطين الذين يتوجّهون إلى الموجودات الفاسدة في هذا العالم ، فيذهبون إلى الأمكنة المظلمة الحالكة ، ويحبّون المزابل والأمكنة المتعفّنة ، ويتراكمون ويتحشّدون حيث يُرتكب الزنا والمعصية وحيث يُشرب الخمر ويُلعب بالقمار ، ويردون البيوت إذا كان فيها كلب ، وفي الغرفة التي فيها تصوير لذوات الأرواح ، بينما يخرج المَلَك منها ، ويمثّل هذا نوعاً من الارتباط بين عالم الظاهر وعالم المعنى .

وقد ورد في الروايات أن خُذوا من أظفاركم فإنّ الجنّ يجتمعون تحتها ، وأنّ هناك محلّاً للشياطين والجانّ .[1] ولا تشربوا من عند عروة قدح الماء ، فهناك مقعد الشيطان ، ولا تدعوا وعاء النفايات والأزبال في المنزل ليلاً ، فإن تركتموه فغطّوه لئلا يجتمع فيه الجنّ .

ويُخال للبعض أنّه قد تفحّص جميع عالم المُلك والملكوت وتجوّل فيه ، وأنّه قد أخضعه لعلومه المادّيّة وعرّضه للتحليل في مختبره الكيميائيّ والفيزيائيّ ، فهم يقولون : إنّ الجنّ هو الميكروب ، فالأقذار التي تحت الأظفار إنّما هي الميكروبات ، ووعاء النفايات والأزبال محلّ اجتماع الميكروبات ، وعروة قدح الماء ـ باعتبار إمساك الأيدي لها ـ هي محلّ تجمّع الأقذار ، وبالنتيجة فهي محل تجمّع الميكروبات . كما أنّ الأقذار والأوساخ الموجودة في المزابل ومواقد الحمّامات هي محلّ اجتماع الميكروبات التي عُبّر عنها بلسان الروايات بالجنّ .

---

١ ـ أورد ابن الأثير الجزريّ في «النهاية» ج ١ ، ص ٢٣٠ مادّة (ثلم) : (نَهى عن الشرب من ثلمة القدح) أي موضع الكسر فيه ، وإنّما نهى عنه لأنّه لا يتماسك عليها فم الشارب ، وربّما انصبّ الماء على ثوبه وبدنه . وقيل : لأنّ موضعها لا يناله التنظيف التامّ إذا غُسل الإناء . وقد جاء في لفظ الحديث أنّه «مقعد للشيطان» ، ولعلّه أراد به عدم النظافة .

وهذه تفسيرات خاطئة يفتعلها أُولئكم من عند أنفسهم ، فليست تلك الأُمور جنّاً ، بل ميكروبات ، والميكروب ظاهرة مادّيّة ، في حين أنّ ذلك الموجود ذا الفهم والشعور والشيطنة والمكر الذي يأنس بالموجودات الفاسدة لهذا العالم كالأقذار والميكروبات ويرتبط معها فيذهب إلى الأمكنة المتعفّنة إنّما هو الجنّ ، لذا فقد وردت الكراهة الشديدة لارتداء الإنسان ملابس سوداء ، فالملابس السوداء لباس أهل جهنّم ، بينما يستحبّ للإنسان ارتداء ملابس بيضاء ، لأنّها لباس الملائكة .

إنّ الجنّ موجود كالإنسان يمتلك شعوراً وفهماً ، كلّ ما في الأمر أنّه أضعف بكثير من الإنسان ، لأنّ خلقته من الدُخان ، أي من الغازات والأبخرة والدخان ، لذا فإنّه لا يُرى من قبل الناس العاديّين .

والجنّ يفرح بدخول الأمكنة التي تُرتكب فيها المعصية ، وتُشرب فيها الخمور ، وأماكن الزنا والقمار والنميمة ، والأماكن القذرة المتعفّنة ، كما يأنس بالنساء اللاتي لا يرتدين حجاباً لرؤوسهنّ ، ولو كنّ في المنزل ، وهذا بالطبع من أصناف الكفّار من الجنّ . ذلك لأنّ في الجنّ ـ كما في البشر ـ المسلم والكافر ، وقد وردت سورة في القرآن الكريم باسم سورة الجنّ جرى فيها بيان بعض حالاتهم .

وصفوة القول فإنّ الملائكة يهتزّون جذلاً من النساء المحجّبات ، ويُسرّون من النساء ذوات الرؤوس المغطّاة المحجّبة فيردون منازلهنّ ، بينما يخرج الجنّ من أمثال تلك البيوت .

وعلى كلّ حال فليس هناك من وجهة نظر القرآن الكريم والبحوث الفلسفيّة العقليّة والروايات الواردة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام أيّ شبهة ولا شكّ في أنّ الموجودات العقلائيّة الملكوتيّة لعالم القدس والتجرّد هي المربّية والحافظة والمدبّرة لجميع أُمور هذا العالم .

الآيات القرآنيّة الدالّة على تأثير الملائكة في عالم الطبع :

أمّا من وجهة نظر القرآن الكريم فهناك آيات كثيرة جمّة ، نكتفي بذكر مثال من بعض النماذج المختلفة .

١ ـ **وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا * وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا * وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا * فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا * فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا .**[١]

قسماً بالملائكة التي تتحرّك عند أمر الله ، فتشرع بالنزول بشدّة وجدّيّة من موقف الخطاب لأداء ما أُمروا به في هذا العالم .

وقسماً بالملائكة الذين ينشطون ويخرجون من موقف الخطاب بتمام معنى الكلمة لإنجاز مهامهم .

وقسماً بالملائكة الذين يُسرعون بعد حركتهم وخروجهم من الموقف غاية السرعة لإنجاز ما أُمروا به .

وقسماً بأُولئك الملائكة الذين يسبقون في إنجاز ما أُمروا به وفق قضاء الله المبرم الحتميّ سائرَ الملائكةَ الذين لم يُبرم بَعدُ ما أُمروا به ، فينجزون ما أُمروا به على سبيل الجزم والحتم .[٢]

٢ ـ **وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ .**[٣]

١ـ الآيات ١ ـ ٥ ، من السورة ٧٩ : النازعات .

٢ـ هذا التفسير هو محصّل البيان القرآنيّ للعلّامة الطباطبائيّ مدّ ظله في تفسير هذه الآيات («تفسير الميزان» ج ٢٠ ، ص ٢٨٢) . ووفقاً لهذا البيان فإنّ هذه الأقسام الخمسة من القسم قسم بصفات خمس من صفات الملائكة التي تتحرّك من محلّها وموقفها حين تدبير أُمور العالم ، والتي تتوجّه لإنجاز ما يُعهد إليها من الأُمور ، لا أن يكون قسماً بأنواع خمسة من أصناف الملائكة .

٣ـ الآيتان ٢٦ و ٢٧ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٣ ـ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ.[١]

٤ ـ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ.[٢]

٥ ـ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ.[٣]

٦ ـ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ.[٤]

٧ ـ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ.[٥]

٨ ـ إِذْ تَقُولُ[٦] لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ.[٧]

٩ ـ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ.[٨]

١٠ ـ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ.[٩]

١ـ الآية ٩٧، من السورة ٢: البقرة.

٢ـ الآية ١٠٢، من السورة ١٦: النحل.

٣ـ الآيتان ١٩٣ و ١٩٤، من السورة ٢٦: الشعراء.

٤ـ الآية ٤٣، من السورة ٣٣: الأحزاب.

٥ـ الآية ٣٠، من السورة ٤١: فصّلت.

٦ـ الخطاب للنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله؛ يذكر كلامه مع المؤمنين في غزوة بدر.

٧ـ الآيتان ١٢٤ و ١٢٥، من السورة ٣: آل عمران.

٨ـ الآية ٥، من السورة ٤٢: الشورى.

٩ـ الآية ١١، من السورة ٣٢: السجدة.

١١ ـ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.[1]

١٢ ـ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ.[2]

يقول أُولئك الذين في قلوبهم مرض، ممّن ارتدّوا على أعقابهم القهقرى بعد أن تبيّن لهم الهدى، للمكذّبين بآيات الله المُرسلة: سنطيعكم في بعض الأمر، والله سبحانه خبير بأسرارهم، مطّلع على بواطنهم. فكيف بهم حين يضربهم ملائكة الغضب الإلهيّ على وجوههم وأدبارهم حين يريدون قبض أرواحهم وانتزاعها؟

١٣ ـ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ.[3]

١٤ ـ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.[4]

حيث بيّن الله سبحانه في هذه الآيات المباركة كثيراً من وظائف الملائكة على اختلافهم وتفاوت أصنافهم.

الأدلّة الفلسفيّة على كيفيّة نشوء الكثرة من الوحدة:

أمّا من وجهة نظر الأدلّة الفلسفيّة فنقول: بعد تماميّة دليل «الواحد لا يصدر منه إلّا الواحد» ودليل «الواحد لا يصدر إلّا من الواحد» على هذا

١ـ الآية ٣٢، من السورة ١٦: النحل.

٢ـ الآية ٢٧، من السورة ٤٧: محمّد.

٣ـ الآيتان ١٦ و ١٧، من السورة ٦٩: الحاقّة.

٤ـ الآية ٦، من السورة ٦٦: التحريم.

الأساس لنزول نور الوجود والوحدة في عالم الكثرة والأسباب ، فإنّ الحكماء يقولون بعقول عشرة : العقل الأوّل ، والعقل الثاني ، والعقل الثالث والرابع ... إلى العقل العاشر أي العقل الفعّال . وكذلك الأمر في النفوس الفلكيّة ونفوس تحت فلك القمر ، فقرّبوا وأقرّوا ـ بهذا الترتيب ـ كيفيّة التكثّر في هذا العالم .

وبطبيعة الحال فإنّنا لا نمتلك دليلاً عقليّاً على العقول العشرة والنفوس الفلكيّة بهذه الكيفيّة ، بل إنّها فرضيّة محضة صوّروا بها صدور الموجودات الكثيرة من علّة العلل . ولذلك فقد صوّر بعض الحكماء كيفيّة نشوء الموجودات المتكثّرة وأقرّوه بطريق آخر غير طريق العقول العشرة والنفوس الفلكيّة ووضعوا أُسسه على فرضيّة أُخرى .

تحقيق في المُثُل الأفلاطونيّة :

وأمّا بشأن كيفيّة إدارة أُمور هذا العالم المتكثّرة والممتلكة لجهات مشتركة بحيث ترتبط جميعها بتلك الجهات وتداوم عليها ، فقد استدلّوا عليه وأقرّوه عن طريق **المُثُل الأفلاطونيّة** ، بحيث إنّ هناك موجوداً روحانيّاً معنويّاً مجرّداً عن المادّة يسيطر على جميع أفراد الموجودات المادّيّة التي تمتلك طلّسماً وقالباً جسميّاً ، ويقوم بتغذيتها وتنميتها ، ومن ثمّ فإنّ جهة مشتركة ستظهر في الجميع .

فمثلاً أنّ جميع أفراد البشر في هذا العالم ممّن يمتلكون صورةً وقالباً جسميّاً ، ويشتركون في جميع جهات الإنسانيّة المنتزعة من النفس الناطقة ، لهم إنسان نوريّ مجرّد بتمام معنى الكلمة وممتلك نفساً ناطقة كلّيّة ، يحيط بهم بأجمعهم ، كما أنّ الوجود والعلم والقدرة والغرائز والملكات ، وجميع الآثار والشؤون التي تلزم الإنسان بما هو إنسان ،

والموجودة ـ بلا استثناء ـ في جميع هذه الأفراد الكثيرة ، مُفاضة جميعها من ذلك الإنسان المجرّد النوريّ الذي يُقال له «مِثال» هذه الأفراد الكثيرة .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى كلّ واحد من أنواع وأصناف الحيوانات الكثيرة في هذا العالم ، حيث يوجد لها مثال نوريّ مجرّد واحد في عالم النور والتجرّد ، بحيث يرتبط به جميع هؤلاء الأفراد ويستفيضون منه .

فالإبل الجسميّة لها جَمَل مثاليّ ، والبَقَر الجسميّة لها بقرة مثاليّة ، وهكذا في الديكة والغربان والنمل ، وصولاً إلى النباتات والأشجار بأصنافها المختلفة . من ثمّ فإنّ شجرة الصنوبر الجسميّة مع الأفراد الكثيرة التي كانت لها منذ القدم حتّى الآن ، والتي ستكون لها بعد الآن إلى آلاف السنين القادمة ، والمشتركة بأجمعها بلا استثناء في جهات معيّنة ، تمتلك شجرة صنوبر مثاليّة نوريّة لها الهيمنة والسيطرة على جميع أشجار الصنوبر . والأمر ينطبق كذلك على أشجار الصفصاف وأنواع الأشجار المثمرة كالنخل وأنواع الفواكه والأعشاب .

وهكذا فإنّ أنواع وأصناف الجمادات والغازات والأمواج والأنوار المادّيّة والجسميّة يمتلك كلٌّ منها مثالاً مجرّداً نوريّاً في عالم النور والتجرّد .

يقول الحكيم السبزواريّ قدّس الله سرّه في هذا الشأن :

فَكُلُّ هَـذِي النِّسَبِ الْوَضْعِيَّة أَظْلَالُ تِـلْكَ النِّسَبِ النُّورِيَّة

وَصَـنَمٌ لِـزِينَةٍ جَـا زِبرِجَا فَـهُوَ لِـنُورِ رَبِّـهِ أُنْـمُوذَجَا

كَهَذِهِ الْأَلْوَانِ فِـي الطَّاووسِ بَلْ كُلُّمَا فِي الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ

إنّ جميع هذه النسب الوضعيّة الموجودة هنا ظِلال وظهورات وتجلّيات لتلك النسب المجرّدة النوريّة المثاليّة .

والجسم الذي يوضع للزينة والجمال فيتخايل بذلك ، ليس إلّا

أُنموذجاً من نور ربّ نوعه ومن مثاله المجرّد .

وكمثل هذه الألوان اللطيفة العجيبة في الطاووس ، بل وكلّ ما في هذا العالم الخارجيّ المادّيّ الذي ندعوه بالعالم المحسوس هو نماذج من أرباب نوعه ومُثُله النورانيّة المجرّدة .

وَكُلُّ فِعْلِ ذِي نَمَا مِنْ جِسْمِ لَدَيْهِمُ مِنْ صَاحِبِ الطِّلِسْمِ
دُهْنَ السِّرَاجِ رَبُّهُ يَجْذِبْ لَهُ شَكْلاً صَنُوبَرِيّاً أَعْطَى الْمِشعَلَه
بِالرَّبِّ لِلنَّحْلِ الْمُسَدَّسَاتُ وَلِلْعَنَاكِبِ الْمُثَلَّثَاتُ
وعِنْدَنا المِثالُ الأفلاطُونيُّ لِكُلِّ نَوعٍ فَرِدُهُ العَقْلَانِيّ
كُلُّ كَمَالٍ فِي الطِّلِسْمِ وَزَّعَه مِنْ جَهَةٍ بِنَحْوٍ أَعْلَى جَمَعَه[1]

وعند الإشراقيّين القائلين بالمُثُل الأفلاطونيّة فإنّ كلّ فعل ذي حركة ونموّ يحصل في أيّ جسم من الأجسام ، عائد إلى صاحب الطلّسم والجسم ، وهو المثال النوريّ المجرّد من الجسميّة والطلّسميّة .

فالدهن داخل السّراج حين يريد الاشتعال والإضاءة ، فإنّ ربّ نوع ذلك الدهن يعطيه شكلاً صنوبريّاً فيظهر في المشعلة في هيئة شعلة صنوبريّة الشكل . والنحل تبني لنفسها الخلايا السداسيّة ، فلم يُرَ أبداً أنّ نحلة واحدة تخلّفت عن هذه السنّة فبنت خليّة مربّعة أو مسبّعة أو مخمّسة الأضلاع . وما ذلك إلّا بواسطة الاستلهام من ربّ أنواع النحل والخضوع لأمر تكوينه ، والأمر كذلك في العناكب التي تبني بيوتها بالخيوط الرفيعة للعاب فمها فتجعل بيوتها مثلّثة الشكل ، وعلّة ذلك أنّها كانت بأجمعها مظهر ربّ نوعها الذي له بيت مثاليّ نوريّ مثلّث .

وعندنا أنّ المثال الأفلاطونيّ في كلّ نوع من الأنواع هو فرده

---

١ ـ «المنظومة» للسبزواريّ ، طبع ناصري ، ص ١٩٣ و ١٩٤ .

العقلائيّ المنزّه والمبرّء من الجسميّة وآثارها، والذي له حكم الكلّيّ لهذه الأفراد الكثيرة، لكنّه ليس كلّيّاً منطقيّاً ولا كلّيّاً عقليّاً ولا موجوداً شخصيّاً طبيعيّاً خارجيّاً ليُدعى بالكلّيّ الطبيعيّ. بل هو فرد نوريّ متشخّص ندعوه ـ بلحاظ سعته وتجرّده ـ بالفرد العقلائيّ، ولذلك الموجود المشخّص (أي الفرد العقلائيّ وربّ النوع) جميع الكمالات الموجودة في الطلاسم والأجسام والموادّ التي تخضع لتدبيره وإدارته وتندرج في إطار سعته؛ وهذه الكمالات الموجودة في هيئة موزّعة ومفرّقة، مجموعة فيه على أتمّ نحو وأكمله.

وأمّا من وجهة نظر الروايات فقد عُبّر عن تلك الموجودات المؤثّرة والمدبّرة بعناوين مختلفة، كالنور، والعقل، والملائكة، واسم الله وكلمة الله، والصور العارية المجرّدة عن الموادّ، وغير ذلك.

ونذكر هنا من كلّ منها مثالاً من حديث واحد أو عدّة أحاديث:

١ ـ روى المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب «**غوالي اللئالي**» لابن أبي جمهور الأحسائيّ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي.

وفي حديث آخر قال: **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ.**[1]

٢ ـ كما روى المجلسيّ عن «علل الشرايع» بإسناد العلوي عن أمير المؤمنين عليه السلام:

إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَقْلَ؟

١ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني، المجلّد الأوّل، باب حقيقة العقل وبدو خلقه، ص ٣٣.

قَالَ : خَلَقَهُ مَلَكٌ لَهُ رُؤوسٌ بِعَدَدِ الْخَلاَئِقِ مَنْ خُلِقَ وَمَنْ يُخْلَقُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلِكُلِّ رَأْسٍ وَجْهٌ وِ لِكُلِّ آدَمِيٍّ رَأْسٌ مِنْ رُؤوسِ الْعَقْلِ . وَاسْمُ ذَلِكَ الإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِ ذَلِكَ الرَّأْسِ مَكْتُوبٌ . وَعَلَى كُلِّ وَجْهٍ سِتْرٌ مُلْقىً لاَيُكْشَفُ ذَلِكَ السِّتْرُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ حَتَّى يُولَدَ هَذَا الْمَوْلُودُ وَيَبْلُغُ حَدَّ الرِّجَالِ أَوْ حَدَّ النِّسَاءِ ؛ فَإذَا بَلَغَ كُشِفَ ذَلِكَ السِّتْرُ فَيَقَعُ فِي قَلْبِ هَذَا الإِنْسَانِ نُورٌ فَيَفْهَمُ الْفَرِيضَةَ وَالسُّنَّةَ وَالْجَيِّدَ وَالرَّدِيَّ . أَلاَ وَمَثَلُ الْعَقْلِ فِي الْقَلْبِ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ.[1]

يقول الحقير : لا شكّ في دلالة هذا الحديث المبارك على المُثُل الأفلاطونيّة بالتقريب المذكور ، وكأنّه يريد أساساً شرح دعوى المثل الأفلاطونيّة وتقريبه إلى الأذهان .

٣ ـ الدعاء الثالث من الصحيفة السجّاديّة :

اللَّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَفْتُرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ وَلَا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيسِكَ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَلَا يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِكَ وَلَا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَهِ إِلَيْكَ .

اللهمّ صلِّ على الملائكة الموكّلين بعرشك وقصر عظمتك وإرادتك ومشيّتك في مظاهر عالم الإمكان ، أُولئك الملائكة الذين لا يفترون ولا يسكنون من تسبيحك وتقديسك ، ولا يملّون من تنزيهك وتقديسك ، ولا يكلّون عن عبادتك .

ثمّ يذكر السجّاد عليه السلام إسرافيل وميكائيل وجبرائيل ووظائفهم ومهامهم ، ويُصلّي على الروح الموكّل بملائكة الحجب ، والروح التي هي

---

١ ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، المجلّد الأوّل ، باب حقيقة العقل وبدو خلقه ، ص ٣٤ .

من أمره ، وعلى جميع الملائكة من سكنة السماوات ممّن هم أوطأ درجة وأدنى منزلة ، ثمّ يسأل الله تعالى أن يفيض جوده ورحمته وسلامه على سائر أصناف الملائكة على اختلاف وظائفهم ، من حملة أسرار الغيب إلى الأنبياء ، ومن سكنة أطباق السماوات وأرجائها وأكنافها ، الذين يفعلون جميع ما وعد الله ونزل به أمره ، وعلى الملائكة من خزّان المطر وزواجر السحب ، ومُسبّبي الصواعق ، ومُضيئي البروق ، ومشيّعي الثلوج وعواصف البَرْد ، والهابطين مع قطر الماء ، والقوّام على خزائن الرياح ، والموكّلين بالجبال فلا تزول عن أمكنتها ، وعلى الملائكة النازلين إلى الناس بالبلاء أو الرخاء بأمر الله ، والحَفَظَة الكرام الكاتبين ، وملَك الموت وأعوانه ، ومنكر ونكير ورومان فتّان القبور ، والطائفين بالبيت المعمور ، ومالك وخزنة جهنّم ، ورضوان وسَدَنة الجنان ، وأخيراً على جميع الملائكة من سكّان الهواء والأرض والماء ، وعلى الموكّلين بالمخلوقات .

٤ ـ دعاء السمات [١] (ويدعى أيضاً بدعاء الشّبّور) ، وهو من الأدعية المشهورة والمعروفة ، وفيه الاسم الأعظم . وكان الأعلام الكبار العُلماء بالله لا يتركون قراءته في الساعات الأخيرة من أيّام الجمعة . وقد رواه كثيرٌ من العلماء كالشيخ الطوسيّ وابن طاووس والكفعميّ عن عثمان بن سعيد

١ـ السِمات ، بكسر السين جمع السِمة وهي العلامة . وقد سمّي هذا الدعاء بهذا الاسم لاشتماله على علامات كثيرة من الآيات الإلهيّة والظهورات السبحانيّة ذُكرت فيه . ويدعى كذلك بدعاء الشّبّور على وزن التنّور ، وهو من البوق . وحسبما ذكر الكفعميّ في حاشية «البلد الأمين» ضمن رواية عن الإمام الصادق عليه السلام ، فإنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام حين حارب العمالقة وكان يحذرهم ، فقد أمر بني إسرائيل أن يأخذ كلاًّ منهم بيده قرناً من قرون الضأن فيقرأوا هذا الدعاء ، فقرأوه فهلك جميع العمالقة كأنّهم أعجاز نخلٍ خاوية . لذا يدعى بدعاء الشّبّور .

العمرويّ ، وهو أوّل النوّاب الأربعة ، ورووه كذلك بأسانيدهم عن الإمام الصادق عليه السلام .[1]

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ * وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَضَائِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ انْفَرَجَتْ * وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ * وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ * وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى كَشْفِ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ .

يدعو في هذا الدعاء الذات المقدّسة للحضرة الربوبيّة باسمه العظيم المقدّس ، ثمّ يدعو الله سبحانه بأسمائه المقدّسة التي تجلّى بها لإبراهيم الخليل ولموسى بن عمران وعيسى ومحمّد بن عبد الله عليه وآله وعليهم

١ـ روى الشيخ الطوسيّ في «مصباح المتهجّد» ص ٢٩٢ ، عن العمرويّ ؛ وروى عنه الكفعميّ في «المصباح» ص ٤٢٣ ؛ وروى في كتاب «البلد الأمين» ص ٨٩ عن أبي عمر والعمرويّ . ونقل عليّ بن طاووس في «جمال الأُسبوع» ص ٥٣٣ بثلاثة طرق ، الأوّل عن ⇐ ⇐ الحسين بن محمّد بن هارون بن موسى التلعكبريّ ، قال : كتبتُ هذا الدعاء من كتاب أعطانيه الشيخ الفاضل أبو الحسن الخلف بن محمّد بن الخلف الماورديّ في سرّ من رأى في محضر مولانا أبي الحسن عليّ بن محمّد وأبي محمّد الحسن صلوات الله عليهما في شهر رمضان لسنة أربعمائة . وكان مكتوباً في ذلك الكتاب أنّ كتابة هذا الدعاء بهذا الطريق : حدّثنا أبي عليّ بن عبد الله في بغداد ، حدّثنا محمّد بن عليّ بن الحسن بن يحيى ، عن حضوره في مجلس محمّد بن عثمان بن سعيد العمرويّ الأسديّ المنتجيّ رحمه الله .

الثاني : محمّد بن عليّ بن الحسن بن يحيى ، حدّثنا أبي عمر ومحمّد بن سعيد العمرويّ ، حدّثنا محمّد بن أسلم ، حدّثنا محمّد بن سنان ، حدّثنا المفضل بن عمر الجعفيّ أنّه روى هذا الدعاء عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام . وقال في هذه الرواية أنّه يستحبّ قراءته آخر يوم الجمعة .

الثالث : عن جدّه أبي جعفر الطوسيّ رضوان الله عليه ، رواه عن العمرويّ وقال : يستحبّ قراءة هذا الدعاء في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة .

والسلام ، وبأسمائه وكلماته التي تجلّى بها لسائر الأنبياء وتحققت بها المعجزات وخوارق العادات . ومن الجليّ أنّ المراد بهذه الأسماء الحقائق المجرّدة التكوينيّة لا الأسماء اللفظيّة ، ذلك لأنّ الاسم شيء له دلالة على المسمّى ؛ والأسماء الحسنى الإلهيّة هي حقائق تدلّ على ذاته المقدّسة وتحكي عنه بقدر سعتها . فلفظ الله أو الرحمن أو الرحيم الدالّة على تلك الحقائق المجرّدة الإلهيّة هي في الحقيقة اسم الاسم .

ثمّ نقل العلّامة المجلسيّ ذيل دعاء السمات عن «المصباح» للسيّد ابن باقي هذه التتمّة :

اللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذَا الدُّعَاءِ وَبِحَقِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ تَفْسِيرَهَا وَلَا تَأْوِيلَهَا وَلَا بَاطِنَهَا وَلَا ظَاهِرَهَا غَيْرُكَ .

فأيّ اسم لا يعلم أحد ظاهره وباطنه وتفسيره وتأويله غير الذات المقدّسة للحضرة الأحديّة جلّ وعزّ ؟

٥ ـ الدعاء الذي يُقرأ في ليالي عرفة وليالي الجمعة ، ومطلعه :

اللَّهُمَّ يَا شَاهِدَ كُلِّ نَجْوَى وَمَوْضِعَ كُلِّ شَكْوَى .

وقد ورد في هذا الدعاء :

وَبِاسْمِكَ الَّذِي تَرْتَعِدُ مِنْهُ فَرَائِصُ مَلَائِكَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ .

إلى أن يصل إلى قوله :

وَبِالاسْمِ الَّذِي مَشَى بِهِ الْخِضْرُ عَلَى قُلَلِ الْمَاءِ كَمَا مَشَى بِهِ عَلَى جُدَدِ الْأَرْضِ ؛ إلى أن يقول :

وَبِاسْمِكَ الَّذِي شَقَقْتَ بِهِ الْبِحَارَ وَقَامَتْ بِهِ الْجِبَالُ وَاخْتَلَفَ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

حتّى يصل إلى قوله :

وَبِاسْمِكَ الَّذِي عَلَّمْتَهُ مَلَكَ الْمَوْتِ لِقَبْضِ الأَرْوَاحِ.[1]

٦ ـ دعاء كميل الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام يقرأه في سجوده ويدعو فيه الله سبحانه بأسمائه الحسنى.

يقول الشيخ: وقد ورد في الرواية أنّ كميل بن زياد رأى أمير المؤمنين ليلة النصف من شعبان يدعو في سجوده بهذا الدعاء:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتِي غَلَبْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ ... إلى آخر الدعاء.[2]

٧ ـ نقل في تفسير «الميزان»، عن تفسير «البرهان»، عن سعد بن عبد الله، بسنده عن أبي بصير، قال: كنتُ مع أبي عبد الله عليه السلام فذكر شيئاً من أمر الإمام إذا وُلد فقال: استوجب زيادة الروح في ليلة القدر.

فقلتُ:

جُعلتُ فداك أليس الروح هو جبرئيل؟

فقال: جبرئيل من الملائكة والروح أعظم من الملائكة. أليس انّ الله عزّ وجلّ يقول: تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ؟[3] و [4]

٨ ـ وجاء في «الغُرر والدُرر» للآمديّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن العالم العلويّ، أي عالم المجرّدات الذي يسبق في المرتبة عالم

---

١ ـ أورد هذا الدعاء في «الإقبال» ص ٣٢٥ فما بعد.

٢ ـ «مصباح المتهجّد» أعمال ليلة النصف من شعبان، ص ٥٨٧؛ و «الإقبال»، ص ٧٠٦، ويقول ورأيتُ في رواية أُخرى أنّه يقرأ أيضاً ليالي الجمعة.

٣ ـ الآية ٤، من السورة ٩٧: القدر.

٤ ـ «الميزان» ج ٢٠، ص ٤٧٥. وقد أورد العلّامة الطباطبائيّ في نفس المجلّد من التفسير، في تفسير سورة النبأ (ص ٢٧٢) بياناً عن معنى الروح في القرآن الكريم.

الأجسام ، فَقَالَ عَلَيهِ السَّلَامُ : صُوَرٌ عَارِيَةٌ عَنِ الْمَوَادِّ ، عَالِيَةٌ عَنِ الْقُوَّةِ وَالاسْتِعْدَادِ ، تَجَلَّى لَهَا فَأَشْرَقَتْ ، وَطَالَعَهَا فَتَلَأْلأَتْ ، وَأَلْقَى فِي هُوِيَّتِهَا مِثَالَهُ ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ .

وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ إنْ زَكَّاهَا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَقَدْ شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أَوَائِلِ عِلَلِهَا ؛ وَإِذَا اعْتَدَلَ مِزَاجُهَا وَفَارَقَتِ الْأَضْدَادَ فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السَّبْعَ الشِّدَادَ .[1]

وقد ذكر المجلسيّ رحمة الله عليه هذا الحديث الشريف المعدود من دُرر وغُرر كلمات أمير المؤمنين ، والحاوي لنكاتٍ عميقة وجهات رشيقة عند الأعلام وأرباب فنّ الفلسفة والعرفان ، وذلك فيالمجلّد التاسع من «بحار الأنوار» الخاصّ بأحوال أمير المؤمنين عليه السلام ، نقلاً عن دُرر الآمديّ ،[2] حيث أورده شاهداً على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أرجح من جميع الفلاسفة . ولذلك فقد أعقبه ـ تأييداً للمطلب ـ بكلام أبي عليّ بن سينا ، حيث قال :

لَمْ يَكُنْ شُجَاعاً فَيْلَسُوفاً قَطُّ إلَّا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وأورده كذلك الحكيم السبزواريّ قدّس سرّه في «شرح المنظومة» في غرر «في إثباتِ أنَّ أوّلَ ما صَدَرَ هو العقل» في بحث الإلهيّات بالمعنى الأخصّ .[3]

بَيدَ أنّ آقا جمال الخونساريّ قال في شرح هذا الحديث : وهذا الكلام يمكن أن يكون مؤيّداً لعدّة أُصول من أُصول الحكماء ، غاية الأمر أنّ

١ـ «شرح الغُرر والدُرر» آقا جمال الدين الخونساريّ ، المجلّد الرابع ، ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ .

٢ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، المجلّد التاسع ، ص ٤٦٤ .

٣ـ «شرح المنظومة» ناصري ، ص ١٨٠ .

نسبته له صلوات الله وسلامه عليه لم تثبت بعدُ ، بل إنّ الفقير يظنّ أنّه كان كلام أحد الحكماء فنسبه البعضُ إليه عليه السلام لترويج ذلك ، والله تعالى يعلم .[1]

هذا وقد قال الحقير يوماً في محضر أُستاذنا الجليل العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه : لقد شكّك آقا جمال الخونساريّ في أمر هذا الحديث .

فقال : مَن ـ يا ترى ـ غير أمير المؤمنين عليه السلام يمكنه أن يقول كلاماً كهذا ؟ أأبو حنيفة ؟ أم الحسن البصريّ ؟

إنّنا لا نعلم أبداً أحداً في التأريخ حتّى القرن الرابع له معرفة بهذه المعاني ، أو يمكنه قول عبارة كهذه غير أمير المؤمنين عليه السلام . انتهى نصّ كلامه .

٩ ـ حديث الأعرابيّ الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن النفس

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيَّ الْأَنْفُسِ تَسْأَلُ ؟

فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَلِ الْأَنْفُسُ عَدِيدَةٌ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَفْسٌ نَامِيَةٌ نَبَاتِيَّةٌ وَحِسِّيَّةٌ حَيْوَانِيَّةٌ وَنَاطِقَةٌ قُدْسِيَّةٌ وَإِلهِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ مَلَكُوتِيَّةٌ .

ثمّ إنّ الأعرابيّ سأل عن كلّ من الأنفس النامية النباتيّة ، الحسّيّة الحيوانيّة ، والناطقة القدسيّة ، فكان عليه السلام يجيبه .[2] حتّى إذا ما سأله

١ـ «شرح الغرر والدرر للآمديّ» المجلّد الرابع ، ص ٢٢١ .

٢ـ قال : يَا مَوْلَايَ مَا النَّامِيةُ النَّباتيَّةُ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قُوَّةٌ أَصْلُهَا الطَّبايِعُ الْأَرْبَعُ ، بَدْوُ إِيجَادِهَا عِندَ مَسْقَطِ النُّطْفَةِ ، مَقَرُّهَا الْكَبِدُ ، مَادَّتُهَا مِنْ لَطَائِفِ الْأَغْذِيَةِ ، فِعْلُهَا النُّمُوُّ وَالزِّيَادَةُ ، سَبَبُ افْتِراقِهَا اخْتِلَافُ الْمُتَوَلِّدات ؛ فَإِذَا فَارَقَتْ عَادَتْ إِلَى مَا مِنْهُ بَدَتْ ، عَوْدَ مُمَازَجَةٍ لَا عَوْدَ مُجَاوَرَةٍ .

فَقَالَ : يَا مَوْلَاي مَا النَّفْسُ الْحَيْوَانِيَّةُ ؟ قَالَ عليه السَّلَامُ : قُوَّةٌ فَلَكِيَّةٌ وَحَرَارَةٌ غَرِيزِيَّةٌ ⇐

عن الإلهيّة الكلّيّة الملكوتيّة أجابه عليه السلام بهذه الكيفيّة :

فَقَالَ : مَاالنَّفْسُ الإلهِيَّةُ الْمَلَكُوتِيَّةُ الْكُلِّيَّةُ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قُوَّةٌ لَاهُوتِيَّةٌ وَجَوْهَرَةٌ بَسِيطَةٌ حَيَّةٌ بِالذَّاتِ ، أَصْلُهَا الْعَقْلُ مِنْهُ بَدَتْ وَعَنْهُ دَعَتْ وَإِلَيْهِ دَلَّتْ ؛ وَعَوْدَهَا إِلَيْهِ إِذَا أَكْمَلَتْ وَشَابَهَتْ وَمِنْهَا بَدَتِ الْمَوْجُودَاتُ وَإِلَيْهَا تَعُودُ بِالْكَمَالِ . وَهِيَ ذَاتُ الْعُلْيَا وَشَجَرَةُ طُوبَى وَسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَجَنَّةُ الْمَأْوَى ؛ مَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَشْقَ أَبَداً وَمَنْ جَهِلَهَا ضَلَّ وَغَوَى .

فَقَالَ السَّائِلُ : مَا الْعَقْلُ ؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَوْهَرٌ دَرَّاكٌ مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ عَنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا عَارِفٌ بِالشَّيْءِ قَبْلَ كَوْنِهِ ؛ فَهُوَ عِلَّةٌ لِلْمَوْجُودَاتِ وَنِهَايَةُ الْمَطَالِبِ .[1]

١٠ ـ حديث كميل بن زياد النخعيّ الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معرفة النفس :

قَالَ كُمَيْلٌ : سَأَلْتُ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ تُعَرِّفَنِي بِنَفْسِي !

قَالَ : عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا كُمَيْلُ إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةٌ : النَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ ، وَالْحِسِّيَّةُ

⇐ أَصْلُهَا الْأَفْلَاكُ . بَدْوُ إِيجَادِهَا عِنْدَ الْوِلَادَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ ، فِعْلُهَا الْقُوَّةُ وَالْحَرَكَةُ وَالظُّلْمُ وَالْغَلَبَةُ وَاكْتِسَابُ الشَّهَوَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، مَقَرُّهَا الْقَلْبُ . سَبَبُ افْتِرَاقِهَا اخْتِلَافُ الْمُتَوَلِّدَاتِ ، فَإِذَا فَارَقَتْ عَادَتْ إِلَى مَا مِنْهُ بَدَتْ عَوْدَ مُمَازَجَةٍ لَا عَوْدَ مُجَاوَرَةٍ فَتَنْعَدِمُ صُورَتُهَا وَيَبْطُلُ فِعْلُهَا وَوُجُودُهَا وَيَضْمَحِلُّ تَرْكِيبُهَا .

فقال : ما النَّفْسُ النَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ ؟ قَالَ عَلَيهِ السَّلَامُ : قُوَّةٌ لَاهُوتِيَّةٌ بَدْوُ إِيجَادِهَا عِنْدَ الوِلَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، مَقَرُّهَا الْعُلُومُ الْحَقِيقِيَّةُ ، مَوَادُّهَا التَّأْيِيدَاتُ الْعَقْلِيَّةُ ، فِعْلُهَا الْمَعَارِفُ الربّانيّةُ سَبَبُ فِرَاقِهَا تَحلُّلُ الآلاتِ الجِسْمَانِيَّةِ ؛ فَإِذَا فَارَقَتْ عَادَتْ إِلَى مَا مِنْهُ بَدَتْ ، عَوْدَ مُجَاوَرَةٍ لَا عَوْدَ مُجَاوَرَةٍ .

١ ـ «شرح دعاء الصباح» للسبزواريّ قدّس سرّه ، ص ٤٥ و ٤٦ .

الْحَيْوَانِيَةُ ، وَالنَّاطِقَةُ الْقُدسِيَّةُ ، وَالْكُلِّيَّةُ الْالَهِيَّةُ .

ثمّ يبيّن أمير المؤمنين عليه السلام كلّاً من القوى الخمس لهذه النفوس وخاصيّتها ،[1] حتّى يصل إلى النفس الكلّيّة الإلهيّة فيقول :

وَالْكُلِّيَّةُ الإلَهِيَّةُ وَلَهَا خَمْسُ قُوىً : بَقَاءٌ فِي فَنَاءٍ ، وَنَعِيمٌ فِي شَقَاءٍ وَعِزٌّ فِي ذُلٍّ ، وَغِنىً فِي فَقْرٍ ، وَصَبْرٌ فِي بَلَاءٍ .

وَلَهَا خَاصِّيَّتَانِ : الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ .

وَهَذِهِ الَّتِي مَبْدَؤهَا مِنَ اللهِ وَإِلَيْهِ تَعُودُ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى» ؛ وَقَالَ تَعَالَى : «يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً» ، وَالْعَقْلُ وَسَطُ الكُلِّ .[2]

أي أنّ قوام هذه النفوس بالعقل ؛ يرتبط به وجودها كما ترتبط الدائرة بمحورها الذي تدور عليه .

١١ ـ يقول الشيخ الطوسيّ رضوان الله عليه في «مصباح المتهجّد» :

أخبرني جماعة عن ابن عيّاش ، قال : حدّثني خير بن عبد الله أنّه خرج هذا التوقيع الشريف من الناحية المقدّسة على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه : ادعُ في كلّ يوم من أيّام رجب :

١ـ وَلِكُلٍّ مِنْ هَذِهِ خَمْسُ قُوىً وَخَاصِّيَّتَانِ ؛ فَالنَّامِيةُ النَّبَاتِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوىً : جَاذِبَةٌ وَمَاسِكَةٌ وَهَاضِمَةٌ وَدَافِعَةٌ وَمُرَبِّيَةٌ ، وَلَهَا خَاصِّيتَان : الزِّيادةُ وَالنُّقْصَانُ وَانْبِعَاثُهَا من الكَبِدِ ؛ والحِسِّيَّةُ الحَيوانيَّةُ لَهَا خُمسُ قُوىً : سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَشَمٌّ وَذَوْقٌ وَلَمْسٌ ، وَلَهَا خَاصّيّتانِ : الشَّهْوَةُ وَالغَضَبُ ، وَانبعاثُها منَ الْقَلْبِ ؛ وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ لَهَا خُمْسُ قوىً : فِكْرٌ وَذِكْرٌ وَعِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنَبَاهَةٌ وَلَيْس لَها انْبعاثٌ ، وَهِيَ أَشْبَهُ الأَشياءِ بالنُفوسِ الْملكيّةِ ، وَلَها خاصّيتان : النَّزَاهَةُ وَالْحِكْمَةُ .

٢ـ «شرح دعاء الصباح» للحكيم السبزواريّ قدّس سرّه ، ص ٤٤ و ٤٥ .

اَللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاَةُ أَمْرِكَ الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ ، الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ ، الْوَاصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ ، الْمُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ .

ثمّ يقول :

أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيَّتِكَ فَجَعَلْتَهُمْ مِعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لاَ تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ لاَ فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلاَّ أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ بَدْؤُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ .[1 و 2]

ثمّ يقول بعد عدّة فقرات :

بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَأَضَاءَ وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ .

والخلاصة فقد أورد العلماء الأعلام ، من أمثال السيّد ابن طاووس والكفعميّ وغيرهما في كتبهم هذا الدعاء الشريف الحاوي لمطالب قيّمة وأُصول عرفانيّة ، والدالّ على تأثير النفوس القدسيّة المجرّدة في عالم الإمكان .

١٢ ـ روى محمّد بن يعقوب الكلينيّ رحمه الله عن عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن القاسم بن يحيى ، عن جدّه حسن بن راشد ، عن الحسين بن ثوير ، قال : كنتُ أنا ويونس بن ظبيان والمفضّل بن عمر وأبو سلمة السرّاج جلوساً عند أبي عبد الله [عليه السلام] ، وكان

---

١ ـ أعضادٌ وَأشهادٌ ومُنَاةٌ وَأذوادٌ وحفظةٌ وروّادٌ فبهم ملأتَ سماءكَ وأرضك حتّى ظهر أن لا إلَه إلّا أنت .

٢ ـ «مصباح المتهجّد» ص ٥٥٩ .

الصلاة المتكلّم يونس وكان أكبر منّا سنّاً. إلى أن يصل إلى قوله:

قلتُ : جُعلت فداك ، إنّي أُريد أن أزوره فكيف أقول وكيف أصنع ؟

قال : إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفُرات ثمّ البس ثيابك الطاهرة ثمّ امش حافياً، فإنّك في حرم الله وحرم رسوله وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والتعظيم لله عزّ وجلّ كثيراً والصلاة على محمّد وأهل بيته ، ... ثمّ يذكر ليونس زيارةً من جملة فقراتها :

وَبِكُمْ تُنْبِتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَشْجَارُ أَثْمَارَهَا وَبِكُمْ تُنْزِلُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَرِزْقَهَا وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللهُ الْكَرْبَ وَبِكُمْ يُنَزِّلُ اللهُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ تَسِيخُ [1] الْأَرْضُ الَّتِي تَحْمِلُ أَبْدَانَكُمْ وَتَسْتَقِرُّ جِبَالُهَا عَنْ مَرَاسِيهَا.

إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَتَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَالصَّادِرُ عَمَّا فُصِّلَ [2] مِنْ أَحْكَامِ الْعِبَادِ.

ومن الجليّ في هذه الفقرات أنّ المراد بتأثير النفوس القدسيّة لأئمّة الدين سلام الله عليهم أجمعين في الكائنات ، يعني كونها واسطة فيض الرحمة الإلهيّة ، وأنّ نفوسهم مرآة ونافذة لتلقّي الرحمة من مقام العزّ الإلهيّ وبثّها ونشرها في عالم الإمكان .

أمّا احتمال أنّ المراد بذلك أنّ الأرض والسماء ستُملآن بالبركة والخير ببركة تبليغهم وترويجهم للأُمور الدينيّة والأحكام التشريعيّة الإلهيّة

١ـ تسيخ بالسين المهملة والياء والخاء بمعنى تستقرّ وتثبت . وقال في «مرآة العقول» وجاء في بعض النُسخ يُسبّح من التسبيح على المبني للمجهول ؛ أي أنّ الأرض تُنزّه وتُقدّس ببركة محلّ أبدانكم ، لظهور الخير والرحمة فيها بواسطة مواضع آثاركم .

٢ـ وردت في نسخة «التهذيب» بلفظ «نقّل» بدلاً من «فصّل» .

فمخالف للظاهر ، وهو معنى مجازيّ لا يمكن قبوله دون نصب قرينة عليه . على أنّ بعض الفقرات التي تسبق هذه الفقرات صريحة في تأثير شهادته عليه السلام وسفك دمه المقدّس في الأُمور التكوينيّة ؛ كهذه الفقرات :

أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْدِ ، وَاقْشَعَرَّتْ لَهُ أَظِلَّةُ الْعَرْشِ[1] ، وَبَكَى لَهُ جَمِيعُ الْخَلاَئِقِ ، وَبَكَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا وَمَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى[2] .

فكيف يمكن ـ مع هذه الصّراحة في هذه الفقرات في عموميّة تأثير دمه عليه السلام في جميع المخلوقات ـ أن يُحمل ذلك على المعنى المجازيّ ؟!

١٣ ـ نقل المجلسيّ رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» عن كتاب «المختصر» تأليف الشيخ حسن بن سليمان من تلامذة الشهيد الثاني أنّه

١ـ قال في «مرآة العقول» : أظلّة العرش جمع ظِلال ، وهو ما أظلّك من سقف . وغيره والمراد به هنا إمّا ما فوق العرش أو طبقات العرش وبطونه ، لأنّ كلّ طبقة وبطن من العرش ظلّ لطائفة ؛ أو أنّ المراد به أجزاء العرش . لأنّ كلّ جزء من العرش ظلّ لمن يسكن تحته وقد يُطلق الظلال على أشخاص الأجسام اللطيفة والأرواح ، ويمكن أن يكون المراد هنا : الأرواح المقدّسة والملائكة الذين يسكنون العرش . («مرآة العقول» ج ٣ ، ص ٣٦١) .

٢ـ «الكافي» كتاب المزار ، ج ٤ ، ص ٥٧٥ إلى ٥٧٩ . و«التهذيب» كتاب المزار ، ، ج ٦ ، ص ٥٤ و ٥٥ . كما أورد هذه الزيارة ابن قولويه في «كامل الزيارات» الباب ٧٩ ، ص ١٩٧ إلى ٢٠٠ ، ويشترك في سندها مع سند الكلينيّ من أحمد بن محمّد بن عيسى إلى الآخر ، إلاّ أنّه ينقل سلسلة السند إلى أحمد بن محمّد بهذه الكيفيّة : عن أبيه وعليّ بن الحسين ومحمّد بن الحسن ، جميعاً عن سعد بن عبد الله عن (أحمد بن محمّد بن عيسى) . ولا يخفى أنّ هؤلاء الأفراد بأجمعهم من أجلّة مشايخ الحديث .

روي أنّه وُجد بخطّ مولانا أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه السلام :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَوْمٍ حَذَفُوا مُحْكَمَاتِ الْكِتَابِ وَنَسُوا اللَّهَ رَبَّ الْأَرْبَابِ وَالنَّبِيَّ وَسَاقِيَ الْكَوْثَرِ فِي مَوَاقِفِ الْحِسَابِ وَلَظَى وَالطَّامَّةِ الْكُبْرَى وَنَعِيمِ دَارِ الثَّوَابِ .

فَنَحْنُ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ ، وَفِينَا النُّبُوَّةُ وَالْوَلَايَةُ وَالْكَرَمُ وَنَحْنُ مَنَارُ الْهُدَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالْأَنْبِيَاءُ كَانُوا يَقْتَبِسُونَ مِنْ أَنْوَارِنَا وَيَقْتَفُونَ آثَارَنَا. وَسَيَظْهَرُ حُجَّةُ اللهِ عَلَى الْخَلْقِ بِالسَّيْفِ الْمَسْلُولِ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ.

وهذا بخطِّ الحَسَنِ بْنِ عَلِيّ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَلِيّ بْنِ مُوسى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحمّدِ بْنِ عَلِيّ بْنِ الحُسينِ بْنِ عَلِيٍّ أَميرِ المؤمنينَ .[1]

كما رُوي أنّه وُجد بخطّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام :

قَدْ صَعَدْنَا ذُرَى الْحَقَائِقِ بِأَقْدَامِ النُّبُوَّةِ وَالْوَلَايَةِ ، وَنَوَّرْنَا سَبْعَ طَبَقَاتِ أَعْلَامِ الْفَتْوَى بِالْهِدَايَةِ .

فَنَحْنُ لُيُوثُ الْوَغَى وَغُيُوثُ النَّدَى وَطَعَّانُ الْعِدَى ، وَفِينَا السَّيْفُ وَالْقَلَمُ فِي الْعَاجِلِ ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ وَالْحَوْضِ فِي الْآجِلِ .وَأَسْبَاطُنَا حُلَفَاءُ الدِّينِ ، وَخُلَفَاءُ النَّبِيِّينَ وَمَصَابِيحُ الْأُمَمِ وَمَفَاتِيحُ الْكَرَمِ. فَالكَلِيمُ أُلْبِسَ حُلَّةَ الاصْطِفَاءِ لِمَا عَهِدْنَا مِنْهُ الْوَفَاءَ ، وَرُوحُ الْقُدُسِ فِي جِنَانِ الصَّاغُورَةِ [2] ذَاقَ

١ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، ج ٧ ، ص ٣٣٨ ؛ والطبعة الحيدريّة ج ٤٦ ، ص ٢٦٤.

٢ـ أورده في «البحار» الطبعة الكمباني بلفظ الصاغورة ، وأورده في النسخة البديلة بالقاف ؛ إلّا أنّه ورد في «البحار» الطبعة الحروفيّة بالعكس من ذلك ، فقد ورد في المتن بالقاف وفي النسخة البديلة بالغين .

يقول في «لسان العرب» : الصاقورة اسم السماء الثالثة ، إلّا أنّ الحقير لم يجد لفظ الصاغورة في كتب اللغة ، لأنّنا إذا ما أخذناه بمعنى الصغر فيكون بمعنى جنّة عالم المثال وعالم الذرّ ، أي جنّة الاستعداد الأصغر والأكثر محدوديّة من باقي الجنان ، فينبغي جعله ⇐

مِنْ حَدَائِقِنَا الْبَاكُورَةَ.[1]

١٤ـ جاء في زيارة الصدّيقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها:

السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ الَّذِي خَلَقَكِ فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صَابِرَةً.

وفي زيارة أُخرى لها عليها السلام:

السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ الَّذِي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ وَكُنْتِ لِمَا امْتَحَنَكِ صَابِرَةً.[2]

والمراد به الامتحان قبل الخلقة في هذا العالم، ولهذا الدعاء دلالة على عالم الذرّ. أي أنّ روحك كانت قد خُلقت وامتُحنت في عالم التجرّد قبل نشوء هذا العالم.

١٥ـ الدعاء الذي أورده الشيخ الكفعميّ في كتاب «البلد الأمين» عن ليلة مبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالتَّجَلِّي الْأَعْظَمِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ الشَّهْرِ الْمُعَظَّمِ.

⇐ صفة للجنان، وهو غير مناسب لأنّ الجنان الواردة في هذا الحديث دون ألف ولام ولا يمكن أن تصبح الصاغورة صفة لها. إلّا أنّنا أوردنا هذه الألفاظ دون تغيير عند ذكرنا للحديث حفظاً على الرواية وألفاظها.

١ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني، ج ٧، ص ٣٣٨؛ والطبعة الحيدريّة ج ٢٦، ص ٢٦٤ و ٢٦٥. وتتمّة الحديث هي: وشِعتُنَا الفئة النّاجيّة وا لفِرقَةُ الزّاكيةُ صَاروا لَنا رِدءاً وصَوْناً وعَلَى الظَّلمةِ إلْباً وعَوْناً، وسَيسفر لنا (وسَيَنْفجر لنا) ينابيع الحيوان بعد لَظَى النِّيرانِ لتمام آل حم وطه والطّواسين من السِّنين، وهذا الكتاب دُرَّةٌ من دُرر الرّحمة وقَطرةٌ من بَحْرِ الحكمة وكتب الحسن بن عليّ العسكريّ في سنة أربع وخمسين ومائتين.

٢ـ أورد هذه الرواية الشيخ الطوسيّ في «التهذيب» ج ٦، ص ٧١٠ بسنده المتّصل عن جواد الأئمّة عليه السلام؛ وأوردها المجلسيّ في «تحفة الزائر» ص ٥٠؛ والمحدّث القمّيّ في «هدية الزائرين» ص ٢٥٥.

ثمّ يذكر فقرات كثيرة حتّى يصل إلى هذه الجملة :

وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ .

والمراد من هذا الاسم الحجاب الأقرب ، والأوّل الصادر ، والاسم الأعظم الذي يمثّل نقطة الوحدة بين الأحديّة والواحديّة الذي خُلقت بواسطته جميع الموجودات ؛ وهو في سلسلة مراتب عالم الكثرة بشكل مخروط رأسه ـ بلا تشبيه ـ نقطة الذات التي لم تزل ولا تزال ، وقاعدته الكبيرة عالم الطبع والمادّة الهيولى ، أمّا قواعده الأُخرى فالعوالم المختلفة وموجوداتها على حسب القُرب والبُعد من نقطة الوحدة .

وينبغى العلم أنّ الأدلّة التي تُفصح عن تأثير الموجودات المجرّدة العالية والنفوس القدسيّة والأرواح الملكوتيّة في هذا العالم ، فهي الروايات الواردة عن المعصومين سلام الله عليهم أجمعين والتي تفوق الحصر والعدّ . وقد ذكرنا هنا عدّة روايات كمثال على ذلك .

أمّا بلحاظ المنطق القرآنيّ ، فإنّ هذا الكتاب الإلهيّ يُسند الحوادث الكونيّة بشكل قاطع إلى الملائكة ، ويعتبرهم مؤثّرين في هذا العالم وواسطة في التدبير بعنوان حكم عامّ وسُنّة دائميّة . والآيات التي نوردها هنا تبيّن هذه الحقيقة بجلاء ، سواءً في مقام إرسال الأنبياء وبيان الأحكام ودفع الشياطين ومنع تدخّلهم تسديداً للوحي ، وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار ، أو في مقام عودة الإنسان إلى الله وظهور آيات قبض الروح ومسائل البرزخ والقيامة وسَدَنة الجنّة وحَفَظة جهنّم وسائر ملائكة الشفاعة والحضور والعرض ، ولجميع الوقائع التي تقع في ذلك العالم ؛ وسواءً في مقام وساطتهم في تدبير أُمور هذا العالم من المرض والصحّة والتوفيق والسعادة ، والليل والنهار ، والفصول الأربعة ، والتغيّرات الجويّة والحوادث

الكونيّة البريّة والبحريّة وهبوب الرياح، والسحاب المسخّر بين السماء والأرض، وتعيين الآجال.

وإذا ما تأمّل شخص ما في آيات: **وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقاً**،[1] وآية: **جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُولِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ**.[2] وآية: **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ**.[3] وآية: **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**.[4]

فإنّه سيدرك أنّ الله قد خلق الملائكة لسُنّته وفوّض إليهم وظائف هذا العالم.

فالملائكة ـ إذَن ـ هم واسطة فقط في الفيض والرحمة الإلهيّة بين الله وخلقه، وليس من قبيل المصادفة أن يكونوا أحياناً واسطةً وأن تحصل أُمور الخلق أحياناً أُخرى دونما واسطة، إذ إنّ الله قد جعلهم لهذا الغرض **جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا**، وهذه هي وظيفتهم وحدود مهمّتهم، وليس في السنّة الإلهيّة تغيير أو تحويل:

فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا.[5]

وكذلك:

إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ.[6]

إنّ ربّي يدبّر أُمور الخلق ويُفيضها وفق منهاج مستقيم وصراط

١ـ الآية ١، من السورة ٧٩: النازعات.
٢ـ الآية ١، من السورة ٣٥: فاطر.
٣ـ الآيتان ٢٦ و ٢٧، من السورة ٢١: الأنبياء.
٤ـ الآية ٥٠، من السورة ١٦: النحل.
٥ـ الآية ٤٣، من السورة ٣٥: فاطر.
٦ـ الآية ٥٦، من السورة ١١: هود.

لا أَمَت فيه ولا انحراف .

يقول : وهذا الصراط مستقيم ، أي أنّه ثابت ودائم لا تطرأ على عموميّته وشموله ثلمة ولا يُشاهد فيه خلل أو نقص .

ولا منافاة بين هذه الآيات التي تعدّ الملائكة واسطة في الفيض الإلهيّ على أساس الآية المباركة :

وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ .[1]

والآية المباركة :

مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ .[2]

أي أنّ جبرئيل ، وهو الأمين على الوحي الإلهيّ ، في المقام المقدّس الذي يُطيعه فيه الملائكة .

والآية المباركة :

حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلْحَقَّ .[3]

أي حين يُزال الفزع والخوف عن قلوب الملائكة يوم القيامة ، وحين تحين مهمّة الشفاعة ، فتسأل بعضُ طوائف الملائكة بعضها الآخر : ماذا قال ربّكم ؟ قالوا الحقّ .

وكذلك على أساس الروايات المستفيضة ، بل المتواترة التي تذكر لهم درجات مختلفة ومقامات متباينة .

وبين آية : **إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ .**[4]

١ـ الآية ١٦٤ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

٢ـ الآية ٢١ ، من السورة ٨١ : التكوير .

٣ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٤ـ الآية ٢٠٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

وآية : ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ .[1]

لأنّ من الممكن أن يكون المراد بعبادة الملائكة وتسبيحهم وسجودهم هو عين وظيفتهم المقرّرة في تدبير أُمور العالم وإفاضة الفيض وامتثال الأوامر الإلهيّة المفوّضة والموكلة لهم .

وعلى هذا فإنّ كلّ ملك من الملائكة منهمك ومنشغل بما عُهد إليه ، فإنّ فعله عين عبادته وتسبيحه ، وعين سجوده .

وربّما أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ .[2]

كما ينبغي العلم ؛ بناءً على التحقيق الذي أجريناه في هذا المعنى ، وأثبتنا فيه وساطة الملائكة في القيام بالأُمور التكوينيّة والحوادث في هذا العالم وبالأُمور والوقائع بعد الموت ؛ أنّه لم يُلاحظ هناك أيّ جانب للاستقلال في فعل الملائكة ، بل كان لهم عنوان الواسطة فقط لا غير . فالمَلَك المقرّب الذي يأخذ من الاسم الأعظم للربّ فيفيض على المَلَك الذي دونه ، ومنه إلى المَلَك الأدنى ، وصولاً إلى الملائكة الثانويّين الذين يتصدّون بأنفسهم مباشرة ويراقبون أُمور العالم . وأخيراً فإنّ جميع الحول والإرادة والقدرة والقوّة والعلم والحياة مختصّ بذات الحضرة الأحديّة ؛ أمّا عنوان الواسطة والآليّة والمرآتيّة ، فلا منافاة له أبداً مع انحصار هذه الأسماء والصفات في ذات الحقّ تعالى .

١ـ الآيتان ١٩ و ٢٠ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢ـ الآية ٤٩ ، من السورة ١٦ : النحل .

تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيراً ـ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

ولتقريب الذهن فإنّ مثال القلم واليد والكتابة الذي أورده الحكماء والمتكلّمون الأعلام تشبيه ومثال جيّد ، مع أنّ أيّ مثال وتشبيه يقرّب المطلب من جهة ويبعّده من جهة أو جهات أُخرى .

يقولون : إنّ من يمسك القلم بيده فيكتب ، يمكننا أن ننسب الكتابة إلى القلم ، كما يمكننا نسبتها لليد ، أو للكاتب ، إلّا أنّ هذه النسب الثلاث ليست عرضيّة ، أي أنّها ليست في عرض بعضها ، بل هي في طول بعضها . وفي الحقيقة فإنّ نسبة الكتابة مختصّة بالكاتب إلّا أنّها تُنسب إلى اليد والقلم مجازاً وعَرَضاً ، وهذا هو معنى الواسطة . وقد بحثنا هذه المسألة مفصّلاً وأوضحنا المطلب بحمد الله في المجلس السادس ، وهو البحث عن قبض الروح من قبل الله تعالى ومَلَك الموت وسائر الملائكة . وقد جعلنا هذا البحث العامّ فيما يتعلّق بارتباط عالم التجرّد والمعنى مع عالم المادّة والطبع ، لنستنتج منه كذلك ارتباط عالم البرزخ مع القبر .

إنّ الإنسان يرحل عن الدنيا وتتّخذ روحه لنفسها شكلاً وصورة في القالب المثاليّ ، لكنّها لا تقطع علاقتها بالبدن كلّيّاً ، شأن النوم الذي تقلّل الروح فيه علاقتها بالبدن فيبرد حال النوم ، إلّا أنّها لا تقطع علاقتها به تماماً ، بل تعود الروح إلى البدن فيسري الدفء فيه . أمّا عند الموت فإنّ الروح تقطع تلك العلاقة بدرجة أكبر ، لذا يرى الإنسان بدنه وقت خروج النفس ويسير خلفه إلى القبر ، ومن هنا نرى بواسطة هذه العلاقة الجزئيّة ، أنّ قبور الأئمّة الأطهار عليهم السلام وقبور العلماء بالله وأوليائه هي منشأ أثر ونزول البركات وقضاء الحاجات ، وإلّا فإنّ من الجليّ أنّ المخاطب بالسلام والتحيّات والصلوات هو أرواحهم البرزخيّة لا الأبدان المقبورة .

وعلى هذا الميزان فإنّ هناك آداباً وسُنناً معيّنة للبدن ، فينبغي أن لا يُلقى البدن في المزبلة أو يُترك ملقى في الفلوات ، إذ إنّ احترام هذا البدن احترام للروح .

وعلى هذا الأساس فقد جرى التعبير عن عالم البرزخ بعالم القبر ، وإلّا فإنّ عالم البرزخ أكبر من الدنيا آلاف المرّات فضلاً عن القبر ، بَيدَ أنّهم عبّروا عنه بعالم القبر لنفس هذا الارتباط والعلاقة . كما عبّروا عن الأسئلة البرزخيّة بالسؤال في عالم القبر . وهكذا فإنّ المؤمن المتوفّى يجب أن يُحترم ، كما أنّ بدنه يجب أن يُحترم هو الآخر .

وفي ضوء ذلك فإنّه يجب مراعاة أن يكون القبر بقدر بدن المتوفّى ، ليضجعوا الميّت في قبره في راحة ، ثمّ إنّ عليهم أن يعمّقوا القبر بقدرٍ كاف وأن يجتنبوا في الأمكنة التي يحتضر فيها شخص ما يمنع نزول الملائكة ، فلا يدخلها أحد جُنباً ، وينبغي أن يُتلى القرآن هناك ، وأن تُمدّ أرجل المحتضر تجاه القبلة ، وأن يُقرأ عنده دعاء العديلة وسورتي يس والصافّات ، وأن لا يُوضع على بطنه حديد أو شيء ثقيل ، والأفضل أن يكون الواردون عليه على وضوء ، لأنّ ذلك المكان محلّ نزول الملائكة والأرواح المقدّسة للمعصومين عليهم السلام .

أمّا حين يرحل عن الدنيا فإنّ على المؤمنين الاجتماع لتشييعه ، وعليهم غسله بماء السدر والكافور والماء الخالص ثلاث مرّات ، ثمّ تكفينه في ثلاثة أثواب أو في خمسة ، وأن يكتبوا على الكفن دعاء الجوشن الكبير وأسماء الله تعالى ، ويكتب المؤمنون شهاداتهم على كفنه أيضاً .

ثمّ إنّ عليهم إدخاله إلى المقبرة وحمله إلى قبره تدريجياً، فإن كان رجلاً سُلّ من قِبَلِ رِجليه ، أمّا إن كان امرأة فإنّها تؤخذ بالعرض من قِبَلِ اللحد ، ثمّ يكشف عن وجهه في القبر فيُوضع خدّه على التراب ، لكأنّته

يقول : يا إلهيّ ها أنا أُعفّر في التراب ـ أمام عظمتك وجلالك ـ خدّي الذي كان مدعاة لشرفي وحيثيّتي .

ثمّ إنّ عليهم تلقينه ووضع جريدتين تحت إبطه ، وأن يرشّوا من تربة سيّد الشهداء عليه السلام في أطراف القبر الأربعة ، وأن يلبسوه قلادة وسواراً من تلك التربة ، وأن يضعوا على عينيه شيئاً منها ، وأن يكتبوا على الجريدتين الخضراوين بالإصبع الشهادة بالتوحيد والرسالة والولاية .

وبالرغم من أنّ هذه السُّنن تجرى على بدنه المقبور الملقى ، إلّا أنّ روحه تسعد بذلك وتسرّ ، كما أنّ هذه السُّنن تمثّل الاحترام بالنسبة إلى روحه ، لأنّ هذا البدن كان وسيلة نفسه عمراً ، استخدمه للوصول إلى الكمال ، لذا فإنّه يصبح مورداً للاحترام والتقدير . فما أحسن وأفضل من أن يُغسل الإنسان ويكفّن ويُدفن وفق الآداب والسُّنن المستحبّة ! وحقّاً لو علم الإنسان كيف يُعامل المؤمنون جنازته بمحبّة وعطف لاشتهى الموت . ولقد رحل بعض أصدقائنا وإخواننا الإيمانيّين والأخلّاء الروحانيّين فاشتركتُ في تجهيزهم ، ورغبتُ في الموت واشتهيتُه حقّاً .

لقد كان المؤمنون سابقاً على هذه الحال ، وكانوا يدفنون الجنازة على هذه الكيفيّة ، فكان الجيران والأقارب والأرحام والمعارف والأصدقاء يأتون إلى المنزل فيعدّون الماء الحارّ في نفس المنزل ، ثمّ يشرعون وسط الصلوات وقراءة التعزية والبكاء والدعاء والقرآن بغسل البدن وتطهيره وتطييبه ، وفي تحنيطه بالكافور ، ثمّ في تكفينه في الكفن الذي جلبه المتوفّى من مكّة أو كربلاء وغسّله بماء زمزم أو الفرات وأخذه للتبرّك إلى الكعبة أو حرم المشاهد المقدّسة فمسحه بها ، ثمّ زيّنه بكتابة أسماء الله ووشّحه وختمه بشهادة أربعين مؤمناً على إيمانه . فأنعم بحال أفراد كأُولئكم على تلك النوايا الطاهرة النزيهة والعقائد الراسخة !

أمّا الآن فإنّ الشخص المسكين ذا السنين التسعين يخشى أن يُذكر عنده الموت أو الوصيّة . وها هو مصاب بأمراض عديدة ، قد نزل في عينيه ماء العمى ، وصار مرض السُّكّريّ يهدّده كلّ لحظة ، إضافة إلى أمراض ضغط الدم والكلية والأعصاب وورم غدد البروستات ، والبواسير ، وقد أُصيب بالسكتة القلبيّة ، إلّا أنّ قلبه وخواطره ـ في الوقت نفسه ـ لا تزال متّجهة صوب الدنيا .

ثمّ إنّهم لم يعودوا يحتملونه في المنزل ، وها هو ولده يصرخ بهم : خذوا أبي إلى المستشفى ! فيحملونه مغميّ عليه إلى المستشفى فيتنقّل بين الأيدي ، يغرسون فيه أبر الدواء حتّى يعجزون عن العثور على أوردته ، فقد سُدّت وأُغلقت . ثمّ يعمد المستشفى والطبيب المعالج ـ من أجل إعداد قائمة نفقات مفصّلة ـ إلى جرّ هذا البائس المحتضر من هذه القاعة إلى تلك لإجراء التحليلات ولأخذ الصور الشعاعيّة ، ليموت أخيراً ببدن متنجّس بالكحول ، فلا من أحد يوجّهه صوب القبلة ، ولا مَن يقرأ له القرآن والدعاء ، ولا من سلام وصلوات .

ثمّ إنّهم ينقلونه فوراً إلى ثلّاجة المستشفى ومنها إلى «جنّة الزهراء» [1] فليس من أحد ليقول «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» . ثمّ يغسله الغسّال دون أن يعرف أحدٌ ماذاكانت نيّته عند الغسل ، وها هو ولده المحترم يتمشّى وقد ألقى على كتفه جهاز التصوير الفوتوغرافي (الكاميرا) ، وها هم أرحامه وأقاربه يخشون دخول المغسلة ليرون كيف يغسل الغسّال ، فإن دخلوها دخولها جاهلين لا يعلمون شيئاً . والأمر كذلك بالنسبة للنساء من الأرحام والأقارب اللاتي يخشين دخول مغسلة النساء . لذا يجلس الرجال تحت ظلال الأشجار

١ـاسم مقبرة عامّة خارج مدينة طهران . (م)

والسقوف يدخّنون السجائر لا يكفّون عن السؤال : أتمّ الأمر ؟ أتمّ الأمر ؟ من أجل أن يُسرعوا بتشغيل السيارة ويجلسوا خلف مقودها فيغادروا المقبرة .

عسى أن لا يقسم الله لأحد موتاً كهذا ! ورحم الله واعظاً محترماً كان في قم أيّام دراستنا فيها ، كان رجلاً فاضلاً عالماً من أهل العلم والمطالعة ، وكان هناك رجل في قم يغسل الموتى اسمه (مشهدي نوروز) ، فارتقى ذلك الواعظ المنبر في مناسبة ما فقال : إذا كان مَن سيغسل الإنسان (مشهدي نوروز) فلا قدّر الله للإنسان أن يموت في قم !

إنّ الروايات التي وردت عن عذاب القبر وثواب القبر عائدة إلى هذا البدن البرزخيّ ، حيث عُبّر عنها بعذاب القبر وثوابه لمناسبة ارتباط عالم برزخ كلّ إنسان بقبره .

يروي المرحوم الصدوق في «علل الشرايع» بسنده المتّصل عن زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام :

قَالَ : عَذَابُ الْقَبْرِ يَكُونُ مِنَ النَّمِيمَةِ وَالْبَوْلِ وَعَزْبِ [1] الرَّجُلِ عَنْ أَهْلِهِ. [2]

ويروي كذلك بسنده المتّصل عن الإمام الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام :

قال : قَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : ضَغْطَةُ الْقَبْرِ لِلْمُؤمِنِ كَفَّارَةٌ لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَضْيِيعِ النِّعَمِ . [3]

ويروي الكلينيّ عن عدّة من الأصحاب ، عن أحمد بن محمّد بن

١ـ عزب الرجل عن أهله : أبعدها عن فراشه وطعامه .

٢ و ٣ـ «علل الشرايع» الباب ٢٦٢ ، ص ٣٠٩ .

خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير .

قَالَ : **قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُفْلِتُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ أَحَدٌ ؟**

قَالَ : **فَقَالَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا ؛ مَا أَقَلَّ مِنْ يُفْلِتُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ !**

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ رُقَيَّةَ لَمَّا قَتَلَهَا عُثْمَانُ وَقَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى قَبْرِهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّماء فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وقَالَ لِلنَّاسِ : إِنِّي ذَكَرْتُ هَذِهِ وَمَا لَقِيَتْ فَرَقَقْتُ لَهَا واسْتَوْهَبْتُها مِن ضَغْطَةِ القَبْرِ .

قَالَ : فَقَالَ : **اللَّهُمَّ هَبْ لِي رُقَيَّةَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ ، فَوَهَبَهَا اللهُ لَهُ** . ثُمَّ قال الصادق عليه السلام :

وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله . خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف مَلَك ، فرفع رسول الله صلّى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثمّ قال : **مِثْلُ سَعْدٍ يُضَمُّ ؟**

قال : قلتُ : جُعلت فداك ، إنّا نحدَّث أنّه كان يستخفُّ بالبول .

فقال : **مَعَاذَ اللهِ ، إِنَّمَا كَانَ مِنْ زَعَّارَةٍ [1] فِي خُلُقِهِ عَلَى أَهْلِهِ.**

قال [الصادق عليه السلام] : فقالت أُمُّ سعد : هنيئاً لك يا سعد !

قال : فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا أُمّ سعد لا تُحتّمي على الله .[2]

كما يروي الكلينيّ بإسناده عن أبي بصير ، عن أحد الصادقين عليهما السلام ، قَالَ : **لَمَّا مَاتَتْ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ**

١ـ الزعارة بتخفيف العين وتشديدها كلاهما بمعنى سوء الخُلق ؛ وذُكرت أيضاً بتشديد الراء وبخفيفها .

٢ـ «فروع الكافي» الطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ . وأوردها في «بحار الأنوار» الطبعة الحروفيّة ، ج ٦ ، ص ٢٦١ بهذه العبارات ، أمّا في الطبعة الحجريّة من «فروع الكافي» ج ١ ، ص ٦٤ فقد ترك مكان فقرة «قتلها عثمان» خالياً فلم يورد تلك العبارة .

رَسُولُ اللَهِ : الْحَقِي بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ عُثْمَانِ بْنِ مَظْعُونَ وَأَصْحَابِهِ ؛ قَالَ: وَفَاطِمَةُ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ تنحَدِرُ دُمُوعُهَا فِي الْقَبْرِ وَرَسُولُ اللَهِ يَتَلَقَّاهُ بِثَوْبِهِ قَائِماً .

قَالَ : إنِّي لأَعْرِفُ ضَعْفَهَا وَسَأَلْتُ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُجِيرَهَا مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ.[1]

ويروي الكلينيّ أيضاً عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس :

قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنِ الْمَصْلُوبِ يُعَذَّبُ عَذَابَ الْقَبْرِ ؟ قَالَ : فَقَالَ : نَعَمْ ، إنَّ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ الْهَوَاءَ أَنْ يَضْغَطَهُ .[2]

وفي رواية أُخرى: سُئل أبو عبد الله عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟

فقال : إنَّ رَبَّ الأرضِ هو ربُّ الهواءِ ، فيوحي اللهُ عزَّ وجلَّ إلى الهواءِ فيضغطهُ ضغطةً أشدّ من ضَغطة القبرِ .[3]

ويروي الكلينيّ بإسناده عن زرارة ، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام ، قال : قلتُ له : أرأيت الميّتَ إذا ماتَ ، لم تُجعل معه الجريدةُ ؟

(الجريدة العود الأخضر الذي يؤخذ من النخل أو من غيره بطول ذراع واحد ـ أي ما يقرب من نصف متر ـ فإذا أُريد تكفين الميّت وُضعت الجريدة معه داخل الكفن تحت إبطه) .

قال : تجافي عنه العذاب والحساب ، مادام العود رطباً ، وإنّما الحسابُ والعذابُ كلّه في يومٍ واحدٍ في ساعةٍ واحدة ، قدر ما يدخل القبر ويرجع

---

١ الى ٣ـ «فروع الكافي» الطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ٢٤١ ؛ والطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٦ .

الناسُ عنه ، فإنّما جُعل السعفتان لذلك ، ولا عذابَ ولا حسابَ بعد جفوفها إن شاءَ اللهُ .[1]

كما يروي الكلينيّ بسند آخر عن حريز وفضيل وعبد الرحمن قالوا : قيل لأبي عبد الله عليه السلام : لِأَيّ شيءٍ يُوضعَ مع الميت الجريدةُ ؟ قال : إنّه يَتجافى عنه مادامت رَطبةً .[2]

وهذه بأجمعها هي شواهد لارتباط البدن المثاليّ بالبدن الملقى في القبر .

ومن جملة مسائل الارتباط عدم بلي بدن الأنبياء والأئمّة الطاهرين وأولياء الله وبعض الأخيار والأبرار في القبر . وقد شوهد في بعض المقابر التي تُحفر على شكل سرداب فيه فتوضع الجنائز بجوار بعضها ، أنّ جنازة بعض العلماء بالله كانت غضّة طريّة بعد مرور نصف قرن .

وبطبيعة الحال فإنّ مقام الروح والنفس غير مقام البدن ، إذ سواءً بليت الجنازة في القبر أم لم تبلَ ، فإنّ البدن يمثّل لباساً جرى خلعه ، أمّا الروح فمنعّمة في مقامها الشامخ بالنعم الإلهيّة . ولو فرض أنّ البدن قُطّع إرباً إرباً أو أُحرق فذرّي في الهواء ، أو صُلب فظلّ مصلوباً سنوات عديدة فبلى وعشعشت الحمامة في بطن الميّت ،كما فُعل ببدن فقيه الإسلام ومتكلّمه القاضي نور الله الشوشتريّ حين قطّعوه تحت السياط الشائكة إرباً إرباً ؛ وكما صلبوا بدن الفقيه الجليل المسلم الشهيد الأوّل ثمّ أحرقوه فذرّوه في الهواء ، وكما صلبوا بدن زيد بن عليّ بن الحسين أربع سنوات على خشبة الصلب . إلّا أنّه ومع تلك الأوضاع كلّها ، فإنّ ثواب ذلك المتوفّى

---

١ و ٢ـ «فروع الكافي» باب الجنائز ، الطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ١٥٢ و ١٥٣ ، والطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٤٢ .

لن ينقص ذرّة ، بل إنّ من الممكن أن تؤدّي تلك الوقائع ـ بواسطة ارتباط البرزخ مع البدن المثاليّ ـ إلى إعلاء درجة ورفعة مقام أُولئك الشهداء في طريق الولاية الحقّ .

إلّا أنّ من الممكن ـ مع هذه الأُمور جميعاً ـ أن لا تبلى الأبدان الموجودة في القبور ، وأن تؤثّر درجة تقوى الروح وطهارتها في هذا اللباس الملقى في القبر فتبقيه غضّاً .كما هو الأمر في جنازة الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ ، وهو من أعاظم علماء الإسلام الذين يقلّ نظيرهم ، ولربّما كان منقطع النظير في فنونه ، حيث يقدّمه الكثير من العلماء على الشيخ الكلينيّ من جهة الإحاطة والدقّة . وهو من فحول العلماء وصاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه» أحد الكتب الأربعة الشيعيّة ، وصاحب مائة كتاب آخر ، وكان قد رحل عن الدنيا سنة ٣٨١ هجريّة ودُفن في الري .

ولقد أمضى هذا الرجل قدراً من عمره في زمن الغيبة الصغرى ، وكان قد جاء إلى الدنيا بدعاء صاحب العصر والزمان ، لأنّ أباه لم يكن له ذريّة ، فسأل الولد ووعده صاحب الزمان عليه السلام أن يولد له ولدان ، فولد له محمّد وهو الأكبر ، والحسين ، وكان كلاهما من العلماء الأخيار الأبرار ، وخاصّة محمّد الذي كان متميّزاً .

وهذ العالم الجليل هو ابن بابويه المدفون في جنوب طهران في طريق عبد العظيم الحسنيّ عليه السلام ، يلوذ بحماه أهالي طهران بعد عبد العظيم الحسنيّ والحمزة (وهو من أولاد الأئمّة) .

وكان لابن بابويه في السابق بقعة صغيرة متروكة ، وحصل في زمن فتح علي شاه القاجاريّ أن هطلت الأمطار بغزارة فحصل في قبره ثغرة ، فرأى الأفراد الذين كانوا يعملون من ترميم القبر سرداباً يرقد فيه

رجل له بدن سالم بكلّ معنى الكلمة . ثمّ إنّهم أوصلوا الخبر إلى طهران ، فطرق أسماع فتح علي شاه ، فتحرّك مع جماعة من العلماء والوجهاء صوب ابن بابويه ، وكان الشاه يرغب في دخول السرداب بنفسه ليُشاهد جنازة الصدوق ، فمنعه الأعلام وقالوا له : لا تذهب بنفسك ودع الآخرين يذهبون فيأتون لك بالخبر اليقين . فلم يدخل فتح علي شاه بنفسه ، ودخل العلماء والوجهاء والأعيان الواحد تلو الآخر فجاءوا بالخبر متّفقين أنّ هناك رجلاً نائماً ، وكان قد كفّن إلّا أنّ كفنه قد أُزيح فتعرّى بدنه ، وكان بدنه عرياناً إلّا أنّ هناك عنكبوتاً كان قد نسج على عورته نسيجاً ساتراً . وكان هناك فوق الكفن المتهرّئ المستحيل تراباً شيء كحبل ملفوف على بدنه ، لكأنته من تلك الحبال التي تلفّ على بدن الميت فتحيط بالكفن .

وكان ذلك البدن طويلاً ووسيماً ذا قامة حسنة ، وكانت شيبته بلون الحنّاء ، ويداه وأسفل رجليه بلون الحناء ، وعلى أظفاره صفار من لون الحناء .

وقد حصلت هذه الواقعة سنة ١٢٣٨ هجرية ، أي قبل حدود ١٥٨ سنة لأتنا الآن في شهر رمضان لسنة ١٣٩٦ هجريّة .

هذا وقد أصدر فتح علي شاه أمراً بسدّ تلك الفتحة وبنى على مزاره هذه القبّة والمقبرة الحاليّة .

وقد نقلنا هذه المطالب عن «روضات الجنّات» للخونساريّ ، و«تنقيح المقال» للمامقانيّ ، و«قصص العلماء» للتنكابنيّ ، و«الفوائد الرضويّة» للقمّيّ .

يكتب آقا سيّد محمّد باقر الخونساريّ في «روضات الجنّات» :

وقد جاء إلى أصفهان بعض الذين ذهبوا بأنفسهم في معيّة فتح علي شاه وشرحوا لبعض أساتيذنا الأمر .

ويكتب الشيخ عبد الله المامقانيّ في «التنقيح» :

روي لي بسند صحيح قبل أربعين سنة عن العدل الثقة الأمين السيّد إبراهيم اللواسانيّ الطهرانيّ قدّس سرّه ... وكان هو ممّن دخل القبر ورأى أنّ جسده الشريف صحيح سالم لم يتغيّر أصلاً .

ويقول المامقانيّ : وهذه القضيّة هي عندي من المسلّمات، فلا يرقى إليها الشكّ . [١ و ٢]

وينقضى من زمن الشيخ الصدوق حتّى الآن ١٠١٥ سنة ، وإلى زمن كشف هذه الواقعة ٨٥٧ سنة . أفيمكن العثور على محملٍ آخر لهذه القضيّة غير ارتباط عالم البرزخ مع البدن المقبور في الأرض ؟

ثمّ يأتي دكتورٌ ما فيكتب في كتابه : وأمّا قولهم إنّ بدن الصدوق غضّ طريّ ، فلأنّه كان يُمارس الرياضة ، والأفراد الذين لا يتناولون الأطعمة الدسمة واللحم يتصلّب بدنهم ، وإذا ما وضع في محفظة بحيث لا يكون له تماسّ مع الهواء والرطوبة فإنّ من الممكن أن يبقى البدن عدّة أيّام .

فَتَعَالَ أَيُّهَا العزيزُ وآمِنْ بِاللَّهِ وَعَالَمِ الْغَيْبِ !

لقد كان الصدوق يتناول اللحم والأطعمة الدسمة ، وكان بديناً ،

١ـ العبارة الأخيرة مضمون كلام المامقانيّ قدّس سرّه لا نصّ كلامه . (م)

٢ـ السيّد إبراهيم اللواسانيّ من مشاهير علماء طهران ، وكان معاصراً للمهادي الخمسة [يقصد بهم : السيّد مهدي بحر العلوم ، السيّد مهدي الخراسانيّ ، المولى مهدي النراقيّ ، السيّد مهدي الشهرستانيّ ، والشيخ مهدي الفنوني العامليّ النجفيّ]وقد تزوّج كريمة السيّد مهدي الخراسانيّ . والسيّد إبراهيم اللواسانيّ هو أب السيّد محمّد اللواسانيّ ، وهذا بدوره أب السيّد أبي القاسم اللواسانيّ ، وهذا أخ الحاجّ السيّد حسن اللواسانيّ أب صهر أُختنا الحاجّ السيّد كاظم اللواسانيّ . وعائلة اللواسانيّ في طهران مشهورة ومعروفة بحسن الأخلاق والعلم والأدب .

ولم يكن يمارس رياضةً ، لكنّ بدنه تحت الأرض الرطبة كان لا يزال غضّاً طريّاً بعدما يقرب من ألف سنة على وفاته .

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ .[1]

فما أعجبه مرضاً مهلكاً : التغرّب والتأثّر بالغرب ، بل عبادة الغرب !
إنّ هؤلاء السادة المتأثّرين بالغرب يحاولون تأويل جميع أُسس عالم الغيب وفق صيغ معيّنة ، وإلى حبسها في إطار العلوم التجريبيّة ، وكفى به جهلاً !

ينقل **المامقانيّ** في كتاب «**تنقيح المقال**» عن الحائريّ ، عن السيّد نعمة الله الجزائريّ في كتاب «**الأنوار النعمانيّة**» قوله : حدّثني جماعة من الثقات أنّ الشاه إسماعيل لمّا ملك بغداد أتى إلى مشهد الحسين عليه السلام وسمع من بعض الناس الطعن على الحرّ ، أتى إلى قبره وأمر بنبشه ، فنبشوه فرآه نائماً كهيئته لمّا قُتل ، ورأوا على رأسه عصابة مشدودٌ بها رأسه ، فأراد الشاه نوّر الله مضجعه أخذ تلك العصابة لما نقل في كتب السير والتواريخ أنّ تلك العصابة هي دسمال [2] الحسين عليه السلام شدّ به رأس الحرّ لمّا أُصيب في تلك الواقعة ودُفن على تلك الهيئة ، فلمّا حلّوا تلك العصابة جرى الدم حتى امتلأ منه القبر ، فلمّا شدّوا عليه تلك العصابة انقطع الدم ، فلمّا حلّوها جرى الدم ، وكلّما أرادوا أن يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة لم يمكنهم ، فتبيّن لهم حُسن حاله ، فأمر فبُني على قبره وعيّن له خادماً يخدم قبره .[3]

١ ـ الآية ٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ ـ أورد في هامش «التنقيح» . هذه كلمة أعجميّة وقد كان الأولى إبدالها انتهى . ودسمال بمعنى منديل . (م)

٣ ـ «تنقيح المقال» المجلّد الأوّل ، ص ٢٦٠ و ٢٦١ .

وهذه المسائل بأجمعها تدلّ على ارتباط عالم البرزخ مع هذا العالم ، كما أنّ الروايات الدالّة على اطّلاع عالم الأرواح على أُمور هذا العالم غاية في العجب والغرابة .

حصل في سنة ١٣٦٤ هجريّة (أي قبل ٣٢ سنة) أن سافر إلى إيران المرحوم شيخ الفقهاء والمحدّثين ، مجلسيّ زمانه ، آية الله آقا الميرزا محمّد الطهرانيّ أعلى الله تعالى مقامه الشريف (وهو خالي لأبي) لزيارة ثامن الائمّة عليهم السلام مع جميع أقاربه ، وكان من علماء الإسلام الأعلام ، وكان يقيم في سامرّاء ، وله تأليفات نفيسة منها كتاب «مستدرك بحار الأنوار» الذي لم يؤلّف مثله منذ زمن العلّامة المجلسيّ .

وكان له من العمر آنذاك خمس وثمانون سنة ، وكان رجلاً عابداً متهجّداً زاهداً حسن الخُلق ، كما كان أولاده وأصهاره جميعاً من العلماء وأصحاب الفضل والكمال والتقوى .

وبطبيعة الحال فقد ورد على والدنا المرحوم آية الله الحاج السيّد محمّد الصادق الطهرانيّ وكان من علماء طهران ، للقرابة والصلة بينهما ، فكان يتردّد عليه لزيارته كلّ يوم جماعة من العلماء الأعلام والتجّار وذوي الحرف المحترمين ، فكان المنزل يحتشد بهم .

وكان أشخاصُ عدّة قد اختصّوا باستقبال الواردين ، ومن بينهم أعمامنا (أبناء أُخته) سماحة آية الله الحاجّ السيّد محمّد تقي ، والحاجّ السيّد كاظم ، والحاجّ السيّد محمّد رضا ، فكانوا يأتون في بداية موعد تقديم طعام الفطور ويمكثون إلى ما بعد تقديم طعام العشاء وانقضاء شطر من الليل ثمّ يعودون إلى منازلهم .

وانقضت على هذه الحال أيّام ، ثمّ حصل يوماً أن التفتَ الابن الأكبر للمرحوم خالنا الميرزا محمّد (وهو الميرزا نجم الدين وكان بدوره من

العلماء البارزين ومن ذوي التأليفات العديدة) إلى أحد أعمامنا (الحاجّ السيّد محمّد رضا) فقال له : رأيتُ ليلةَ البارحة عمّتي (أي والدة المُخاطَب) فقالت لي في عالم الرؤيا : قل لمحمّد رضا : لماذا لم تُرسل طعامنا منذ عدّة ليالٍ ؟ فحاول عمّنا أن يتذكّر شيئاً بَيدَ أنّه لم يفلح ، ثمّ جاء إلى منزلنا في اليوم التالي فقال : لقد وجدتُ معنى هذه الرؤيا وتفسيرها ، فلقد اعتدتُ منذ ثلاثين سنة أن أُصلّي ركعتي صلاة الوالدين بعد صلاة المغرب والعشاء فأهدي ثوابها إلى روح أبي وأُمّي . وها قد مرّت عدّة ليال لم استطع خلالها أداء تلك الصلاة لانشغالي باستقبال الواردين ، فجاءت والدتي في عالم النوم إلى الميرزا نجم الدين فعتبت عليّ لعدم إرسالي طعامها الملكوتيّ . وكان الميرزا نجم الدين يسكن سامرّاء وكان قد قدم حديثاً إلى طهران ، أمّا عمّنا فكان يسكن طهران ، ولم يكن للميرزا نجم الدين اطّلاع على عمل عمّي أبداً . فكانت هذه الرؤيا مدعاة لإثارة تعجّب جميع الحاضرين ، وهذا هو ارتباط عالم الأرواح مع عالم الطبع والشهادة .

اليوم هو السابع عشر من شهر رمضان ويوم وقعة بدر التي منّ الله تعالى فيها على المسلمين ، فنصر أُولئك القلّة على تلك الجموع الكثيرة التي جاءت بعدّتها وعددها بهدف استئصال المسملين والقضاء على رسول الله .

وقد صادفت شهادة أمير المؤمنين عليه السلام في شهر رمضان لسنة أربعين للهجرة ، وكان عليه السلام قد أحيا ليلة التاسع عشر من الشهر إلى الصباح شكراً لله على الفتح الذي منّ به على المسلمين يوم السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانيّة من الهجرة ، وكان قد أبقى أهل بيته أيقاظاً لإحياء تلك الليلة .

ورد في نهج البلاغة :

وَقَالَ عَلَيهِ السَّلَامُ فِي سُحْرَةِ [1] الْيَومِ الَّذِي ضُرِبَ فِيهِ:

مَلَكَتْنِي عَيْنَايَ وَأَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ!

فَقَالَ: ادْعُ عَلَيْهِمْ، فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي. [2]

ويروي ابن أبي الحديد المعتزليّ في «شرح نهج البلاغة» عن أبي الفرج الإصفهانيّ، عن محمّد بن جرير الطبريّ بإسناده المذكور في كتابه عن عبد الرحمن السلميّ:

قَالَ: قَالَ لِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَرَجْتُ وَأَبِي يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ إِنِّي بِتُّ اللَّيْلَةَ أُوقِظُ أَهْلِي لِأَنَّهَا لَيْلَةُ الْجُمْعَةِ صَبِيحَةُ يَوْمِ بَدْرٍ، لِتِسْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمَلَكَتْنِي عَيْنَايَ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ! فَقَالَ لِي: ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي. قَالَ الْحَسَنُ: وَجَاءَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ [3] فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ فَخَرَجَ فَخَرَجْتُ خَلْفَهُ، فَاعْتَوَرَهُ الرَّجُلَانِ، فَأَمَّا

١ـ «سُحْرة» بضمّ السين وسكون الحاء، تُقال لآخر وقت السَّحَر من الليل، والسَّحَر أعمّ منها؛ ويُقال لما قبل طلوع الفجر الصادق سَحَراً.

٢ـ «نهج البلاغة» الخطبة ٦٩ من طبعة عبده ـ مصر ص ١١٨؛ وفي «شرح ابن أبي الحديد» الدورة ذات العشرين مجلّداً: المجلّد السادس، ص ١١٣، حيث ذكر ابن أبي الحديد قصّة شهادته عليه السلام بالتفصيل. ويعني بالأود: الاعوجاج، وباللدد: الخصام. وقال السيّد الرضيّ: وهذا من أفصح الكلام.

٣ـ أورده ابن أبي الحديد ـ كما هو الملاحظ في هذه الرواية ـ بلفظ ابن أبي السّاج، إلّا أنّ المجلسيّ أورده في «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني، المجلّد التاسع، ص ٦٥٥ عن «إرشاد المفيد» بلفظ ابن النباح.

أَحَدُهُمَا فَوَقَعَتْ ضَرْبَتُهُ فِي الطَّاقِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَثْبَتَهَا فِي رَأْسِهِ.[1]

وكان ينادي في تلك الحال : فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، فقدكانت الشهادة فوزاً لديه عليه السلام ، والقتل في سبيل الله سعادة ونعيماً وجنّة .

يروي ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» عن نصر ، بإسناده عن هرثمة بن سليم ، قال : غزونا مع عليّ عليه السلام صفّين ، فلمّا نزل بكربلاء صلّى بنا ، فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثمّ قال :

وَاهاً لَكِ يَا تُرْبَةُ لَيُحْشَرَنَّ مِنْكِ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

قال : فلمّا رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير ـ وكانت من شيعة عليّ عليه السلام ـ حدّثها هرثمة فيما حدث فقال لها : ألا أعجبك من صديقك أبي حسن ؟ قال : لمّا نزلنا بكربلاء وقد أخذ حفنة من تربتها وشمّها وقال :

وَاهاً لَكِ يَا تُرْبَةُ لَيُحْشَرَنَّ مِنْكِ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وما علمه بالغيب ؟

فقالت المرأة له : دعنا منك أيّها الرجل ، فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلّا حقّاً .

قال : فلمّا بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام كنتُ في الخيل التي بعث إليهم ، فلمّا انتهيتُ إلى الحسين عليه السلام وأصحابه عرفتُ المنزل الذي نزلنا فيه مع عليّ عليه السلام والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله ، فكرهتُ سيري ، فأقبلتُ على فرسي حتّى وقفتُ على الحسين عليه السلام فسلّمتُ عليه وحدّثته بالذي سمعتُ

١ـ «شرح نهج البلاغة» ابن أبي الحديد ، الدورة ذات العشرين مجلّداً ، المجلّد السادس ، ص ١٢١ .

من أبيه في هذا المنزل .

فقال الحسين عليه السلام : أمعنا أم علينا ؟ فقلتُ : يابن رسول الله لا معك ولا عليك ! تركتُ ولدي وعيالي أخاف عليهم من ابن زياد .

فقال الحسين : فتولّ هرباً حتّى لا ترى مقتلنا ، فو الذي نفسُ حُسين بيده لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثمّ لا يُعيننا إلّا دخل النار .

قال : فأقبلتُ في الأرض أشتدّ هرباً حتّى خفي عليّ مقتلهم .

وروى نصر عن أبي جحيفة ، قال : جاء عروة البارقيّ إلى سعد بن وهب فسأله وقال : حديث حدّثتناه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قال : نعم ، بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ عليه السلام عند توجّهه إلى صفّين ، فأتيته بكربلاء فوجدتُه يُشير بيده ويقول : **هَا هُنَا هَا هُنَا** .

فقال له رجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : **ثَقَلٌ لِآلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُ هَا هُنَا ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُمْ وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ** .

فقال له الرجل : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟

قال : ويلٌ لهم منكم : تقتلونهم ، وويلٌ لكم منهم : يدخلكم الله بقتلهم إلى النار .

قال نصر : وقد روي هذا الكلام على وجه آخر ، **أنّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: فَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ وَوَيْلٌ لَكُمْ عَلَيْهِمْ** .

فقال الرجل : أمّا ويلٌ لنا منهم فقد عرفناه ، فويلٌ لنا عليهم ما معناه ؟

فقال : **تَرَوْنَهُمْ يُقْتَلُونَ لَا تَسْتَطِيعُونَ نُصْرَتَهُمْ** .

وروى نصر بسنده ، عن الحسن بن كثير ، عن أبيه أنّ عليّاً عليه السلام أتى كربلاء فوقف بها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين هذه كربلاء .

فقال : **ذَاتُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ** . ثمّ أومأ بيده إلى مكان ، فقال :

هَا هُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ وَمُنَاخُ رِكَابِهِمْ ، ثمّ أومأ بيده إلى مكان آخر فقال : **هَا هُنَا مُرَاقُ دِمَائِهِمْ** ، ثمّ مضى إلى سَابَاط .[1]

أورد المجلسيّ رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» عن «الخرائج والجرائح» عن الإمام محمّد الباقر ، عن أبيه عليهما السلام ، قال :

مَرَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَرْبَلَا فَقَالَ لَمَّا مَرَّ بِهِ أَصْحَابُهُ وَقَدْ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ يَبْكِي وَيَقُولُ : هَذَا مُنَاخُ رِكَابِهِمْ وَهَذَا مُلْقَى رِحَالِهِمْ هَا هُنَا مُرَاقُ دِمَائِهِمْ ، طُوبَى لَكِ مِنْ تُرْبَةٍ عَلَيْهَا دِمَاءُ الْأَحِبَّةِ .[2]

وقال الإمام الباقر عليه السلام :

خَرَجَ عَلِيٌّ يَسِيرُ بِالنَّاسِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِكَرْبَلَا عَلَى مِيلَيْنِ أَوْ مِيلٍ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى طَافَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْمِقْذَفَانِ .

فَقَالَ : قُتِلَ فِيهَا مَائتَا نَبِيٍّ وَمَائتَا سِبْطٍ كُلُّهُمْ شُهَدَاءُ ، وَمَنَاخُ رِكَابٍ وَمَصَارِعُ عُشَّاقٍ شُهَدَاءٍ ، لَا يَسْبِقُهُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ؛ وَلَا يَلْحَقُهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ .[3]

١ـ «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، الدورة ذات العشرين مجلّداً ، المجلّد الثالث ، ص ١٦٩ إلى ١٧١ .

٢ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، المجلّد التاسع ، ص ٥٨٠ .

٣ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، المجلّد التاسع ، ص ٥٨٠ . وذكر المحدّث القمّيّ هذه الرواية في «سفينة البحار» ج ٢ ، ص ١٩٧ تحت لفظ «عَشَقَ» كما نقل روايتين أُخريين استُعمل فيهما هذا اللفظ ، الأُولى : النبويّ : انّ الجنّة لأعشق لسلمان من سلمان للجنّة .

والثانية : رواية عن «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرّغ لها فهو لايُبالي على ما أصبح من الدنيا على عُسرٍ أم على يُسر . وقد وردت هذه الرواية في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٨٣ ، باب العبادة .

وينقل المجلسيّ هذه الرواية عن «الكافي» في الجزء الثاني من «بحار الأنوار» كتاب الإيمان والكفر ؛ و«مكارم الأخلاق» وهو المجلّد الخامس عشر من الطبعة الكمباني ، ⇦

⇦ ص ٨٨؛ ثمّ يقول في بيانها : عشق من باب تعب والاسم العشق ، وهو الإفراط في المحبّة ؛ أي أحبّها حبّاً مفرطاً من حيث كونه وسيلة إلى القرب الذي هو المطلوب الحقيقيّ ، وربّما يتوهّم أنّ العشق مخصوص بمحبّة الأُمور الباطلة ، فلا يستعمل في حبّه سبحانه وما يتعلّق به ، وهذا يدلّ على خلافه وإن كان الأحوط عدم إطلاق الأسماء المشتقّة منه على الله تعالى ، بل الفعل المشتقّ منه أيضاً بناء على التوقيف . قيل : ذكر الحكماء في كتبهم الطبّيّة أنّ العشق ضربٌ من الماليخوليا والجنون والأمراض السوداويّة ، وقرّروا في كتبهم الإلهيّة أنّه من أعظم الكمالات والسعادات ، وربّما يظنّ أنّ بين الكلامين تخالفاً ، وهو من واهي الظنون ، فإنّ المذموم هو العشق الجسمانيّ الحيوانيّ الشهوانيّ ، والممدوح هو الروحانيّ الإنسانيّ النفسانيّ ، والأوّل يزول ويفنى بمجرّد الوصال والاتّصال ، والثاني يبقى ويستمرّ أبد الآباد وعلى كلّ حال . (انتهى كلام المجلسيّ قدّس سرّه ؛ وهو في الطبعة الحروفيّة في المجلّد ٧٠، ص ٢٥٣ و ٢٥٤.)

أقول : يقول السهروردي في «عوارف المعارف» المطبوع في هامش «إحياء العلوم» ج ٢، ص ١٤ :

قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حاكياً عن ربّه :

إذَا كانَ الغالِبُ على عَبْدي الاشتغالُ بي جَعَلْتُ هِمّتَهُ وَلذّتَهُ في ذِكْرِي ، فإذا جَعَلْتُ هَمّتَهُ ولذّتَهُ في ذِكْري عَشِقَني وَعشقته ورَفَعْتُ الحجابَ فيما بَيْني وَبينه لايَسْهو إذا سَهَا الناسُ ، أُولئكَ كلامُهم كلامُ الأنبياء ، أُولئِكَ الأبطالُ حقّاً ، أُولئكَ الّذِينَ إذا أردتُ بأهلِ الأرضِ عُقوبةً أو عَذَاباً ذَكَرْتُهم فيها فَصَرَفْتُهُ عَنْهُمْ .

فالعشق -إذَن- بمعنى المحبّة الشديدة ، ولا إشكال في استعماله في محبّة الله تعالى ، بل هو مُستحسن كما هو المعهود والشائع في أشعار وغزليّات العرفاء بالله بالفارسيّة والعربيّة .

يقول المرحوم السبزواريّ قدّس سرّه في «المنظومة» ص ١٨٠ :

فَإذا كانَ الابتهاجُ أو العشقُ أو الرضا أو ما شئتَ فسمّه بالمؤثّرِ ابتهاجاً بالأثرِ بما هُوَ أثر تبعاً فكان رضاؤه بالذاتِ المُتعاليةِ بالفعلِ رضاً .

ويقول في الحاشية : قولنا : أو ما شئت فسمّه كالمحبّة والمشيّة ونحوهما وإن لم نُطلق بعضها عليه تسمية بحسب التوقيف الشرعيّ ، لكن يجوز إسناداً كما هو مشروح في علم الكلام ، وأمّا لفظ العشق فهو كلفظ المحبّة في المعنى : ⇦

ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام طافحاً بالمحبّة للإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام ، فكان يمنعهما من التقدّم في الحروب ويقول إنّ اهتمام معاوية منصبّ في قتل نور بصر رسول الله هذين وفي إخلاء الأرض من نسل رسول الله وذرّيّته . لكنّه عليه السلام كان يعطي السيف لمحمّد بن الحنفيّة ولده الشجاع الرشيد الآخر من غير الزهراء عليها السلام ، فيأمره بالفتح ويقول له في حرب الجمل :

تَزُولُ ٱلْجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ ، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ ، أَعِرِ اللَّهَ جُمْجُمَتَكَ ، تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ . ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَغُضَّ بَصَرَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ .[1]

⇦ نيست فرقى در ميان حبّ و عشق شام در معنى نباشد جُز دمشق *

وفي كتاب الحكماء والعرفاء متداول وفي القدسيّ : مَنْ عَشَقَني عَشَقْتُهُ ـ الحديث .

إلّا أنّ النبيّ بما هو نبيّ آتٍ بالآداب لم يداوله حراسة للنظام (منه قدّس سرّه انتهى) .

* . يقول : لا فرق في المعنى بين الحبّ والعشق ، فلا معنى للشام إلّا دمشق .

١ـ «نهج البلاغة» الخطبة الحادية عشرة ، ص ٤٣ ؛ من كلام له عليه السلام لابنه محمّد بن الحنفيّة .



المجلس الثامن عشر

ارتباط الأرواح مع أهل الدنيا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوة إلّا باللّه العليّ العظيم

وصلّى اللهُ على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .[1]

ذكرنا أنّ أرواح المؤمنين الذين يرحلون عن الدنيا تتمثّل وتتصوّر في عالم البرزخ في صور برزخيّة إنسانيّة ؛ بينما تتمثّل أرواح الكفّار في عالم البرزخ في صور الشياطين والملكات التي كانت لديهم ، والتي نشأت من صفاتهم البهيميّة .

يروي الشيخ الطوسيّ في كتابه «الأمالي» عن الشيخ المفيد ، عن ابن قولويه ، عن محمّد بن همام ، عن الحميريّ ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمّد ، عن الحسين بن أحمد ، عن ابن ظبيان قال : كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام ، فقال : ما يقول الناس في

١ـ الآية ١٠٥ ، من السورة ٩ : التوبة .

أرواح المؤمنين بعد موتهم ؟

فقلت : يقولون : تكون في **حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ** .

فقال : سبحان الله ! المؤمنُ أكرمُ على اللهِ من ذلك ، إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة اللهِ عزّ وجل المقرّبون ، فإن أنطق اللهُ لسانَه بالشهادة له بالتوحيدِ ، وللنبيّ صلّى الله عليه وآله بالنبوّة ، والولاية لأهل البيت شهد على ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقرّبون معهم ؛ وإن اعتقل لسانُه خَصَّ اللهُ نبيَّهُ صلّى الله عليه وآله بعلم ما في قلبه فشَهَد به ، وشهدَ على شهادةِ النبيّ عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين ، على جماعتهم من اللهِ السلامُ ، ومن حَضَرَ معهم من الملائكة ، فإذا قبضه اللهُ إليه صيّر تلك الروحَ إلى الدنيا في صورةٍ كصورته فيأكلون ويشربون ، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا .[1]

كما يروي الكلينيّ نظير هذه الرواية في «الكافي» بسند آخر عن الإمام الصادق عليه السلام .[2]

ويروي في «الكافي» أيضاً عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي ولّاد الحنّاط ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قلتُ له : جُعلت فداك ! يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش .

فقال : **لَا ، الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَهِ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ رُوحَهُ فِي حَوْصَلَةِ**

١ـ «أمالي الطوسيّ» المجلس الرابع عشر ، طبع النجف ، ج ٢ ، ص ٣٣ و ٣٤ .

٢ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٧ .

طَيْرٍ، لَكِنْ فِي أَبْدَانٍ كَأَبْدَانِهِمْ.[1]

كما يروي في «الكافي» بسنده المتصل عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

إِنَّ الْأَرْوَاحَ فِي صِفَةِ الْأَجْسَادِ فِي شَجَرَةِ الْجَنَّةِ تَعَارَفُ وَتَسَاءَلُ، فَإِذَا قَدِمَتِ الرُّوحُ عَلَى الْأَرْوَاحِ تَقُولُ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا قَدْ أَفْلَتَتْ مِنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ يَسْأَلُونَها: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ وَمَا فَعَلَ فُلَانٌ؟

فَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ: تَرَكْتُهُ حَيّاً، ارْتَجَوْهُ؛ وَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ: قَدْ هَلَكَ، قَالُوا: قَدْ هَوَى هَوَى.[2]

ويروي في «الكافي» بسنده المتّصل عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

سَأَلْتُهُ عَنْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَالَ: فِي حُجُرَاتٍ فِي الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَقِمْ لَنَا السَّاعَةَ وَأَنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا وَأَلْحِقْ آخِرَنَا بِأَوَّلِنَا.[3]

وأورد البرقيّ في «المحاسن» بسنده المتّصل عن الإمام الصادق عليه السلام نظير هذه الرواية مضافاً إليها حال أرواح الكفّار الذين يسكنون في حُجرات في النار ويأكلون من أكل أهل النار ويشربون من شرابهم.[4]

وبطبيعة الحال فإنّ الأخبار الواردة في هذا الباب، في أنّ صورة المؤمن في البرزخ في هيئة إنسانيّة، كثيرة ومتعدّدة، إلّا أنّنا ذكرنا عدّة روايات من باب المثال.

كما أنّ أرواح المؤمنين تزور أهليها وتلتقي معهم، إذ تنزل روح

---

١ إلى ٣ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة، ج ١، ص ٦٧.

٤ـ «المحاسن» للبرقيّ، ج ١، ص ١٧٨.

المؤمن إلى الدنيا بتلك الهيئة المتصوّرة فتلتقي مع أرحامها وأهليها وبمن تحبّ، وتطّلع على أحوالهم وما يجري عليهم.

يروي الكلينيّ في «الكافي» بسنده عن حفص ابن البختريّ، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَزُورُ أَهْلَهُ فَيَرَى مَا يُحِبُّ وَيُسْتَرُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيَزُورُ أَهْلَهُ فَيَرَى مَا يَكْرَهُ وَيُسْتَرُ عَنْهُ مَا يُحِبُّ.

قَالَ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ كُلَّ جُمُعَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ.[1]

وروى في «الكافي» بسنده عن أبي بصير، أنّ الصادق عليه السلام قال: **مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا وَهُوَ يَأْتِي أَهْلَهُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ حَمِدَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا رَأَى الْكَافِرُ أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً.**[2]

ويروي في «الكافي» بسنده عن إسحاق بن عمّار، عن الإمام أبي الحسن مو سى بن جعفر عليهما السلام، قال:

سَأَلْتُهُ عَنِ الْمَيِّتِ يَزُورُ أَهْلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْتُ: فِي كَمْ يَزُورُ؟ قَالَ: فِي الْجُمْعَةِ وَفِي الشَّهْرِ وَفِي السَّنَةِ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ.

فَقُلْتُ: فِي أَيِّ صُورَةٍ يَأْتِيهِمْ؟

قَالَ: فِي صُورَةِ طَائِرٍ لَطِيفٍ يَسْقُطُ عَلَى جُدُرِهِمْ وَيشرِفُ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنْ رَآهُمْ بِخَيرٍ فَرِحَ، وَإِنْ رَآهُمْ بِشَرٍّ وَحَاجَةٍ وَحُزْنٍ اغْتَمَّ.[3]

كما يروي في «الكافي» بسنده عند عبد الرحيم القصير، **قَالَ: قُلْتُ لَهُ: الْمُؤْمِنُ يَزُورُ أَهْلَهُ؟**

---

١ إلى ٣ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة، ج ١، ص ٦٢.

فَقَالَ: نَعَمْ، يَسْتَأْذِنُ رَبَّهُ فَيَأْذَنُ لَهُ، فَيَبْعَثُ مَعَهُ مَلَكَيْنِ فَيَأْتِيهِمْ فِي بَعضِ صُوَرِ الطَّيْرِ يَقَعُ فِي دَارِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ كَلاَمَهُمْ.[1]

وبالطبع فإنّ قول الإمام هنا بأنّ الأرواح تقع على الجدران في هيئة الطيور ليس المقصود منه أنّ روح المؤمن سترتبط بهيئة الطير والحيوان، أو أنّ الإنسان حين يرى أحياناً طائراً واقفاً على جدار البيت فإنّما هو روح ميّته المتوفّى؛ بل إنّ الإمام عليه السلام كان يمثّل بهذه الطريقة أنّ روح المؤمن تتردّد وتطّلع على أحوال أهلها بنفس السهولة التي تقع فيها الطيور على جدران بيوتكم.

ورد في «جامع الأخبار» أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ يَرَوْنَ مَكَانَهُ وَيَسْمَعُونَ كَلاَمَهُ لَذَهَلُوا عَنْ مَيِّتِهِمْ وَلَبَكَوا عَلَى نُفُوسِهِمْ، حَتَّى إِذَا حُمِلَ الْمَيِّتُ عَلَى نَعْشِهِ رَفْرَفَ رُوحُهُ فَوقَ النَّعْشِ وَهُوَ يُنَادِي:

يَا أَهْلِي وَيَا وُلْدِي! لاَ تَلْعَبَنَّ بِكُمُ الدُّنْيَا كَمَا لَعِبَتْ بِي، فَجَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ وَمِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، ثُمَّ خَلَّفْتُهُ لِغَيْرِي، فَالْمَهْنَا لَهُ وَالتَّبِعَةُ عَلَيَّ؛ فَاحْذَرُوا مِثْلَ مَا حَلَّ بِي.[2]

إنّ ارتباط أرواح تلك الدنيا وعلاقتها مع هذه الدنيا، من القوّة والمتانة بحيث إذا ما فُعل عمل خير هنا فإنّه سيسري إلى الأرواح المتّصلة والمرتبطة في ذلك العالم.

يروي الصدوق في «الأمالي» بسنده المتّصل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مرّ عيسى ابن مريم عليه

١ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة، ج ١، ص ٦٣.

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٦، ص ١٦١، عن «جامع الأخبار».

السلام بقبر يُعذَّب صاحبه ، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يُعذَّب ، فقال : يا ربّ مررتُ بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يُعذَّب ، ثمّ مررتُ به العام فإذا هو ليس يُعذَّب ؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا روح الله إنّه أدرك له ولدٌ صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرتُ له بما عمل ابنُه.[١]

وعلى هذا الأساس فقد قال الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في الحديث المتّفق عليه بين الشيعة والعامّة :

مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَلَهُ وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا.

وخلاصة الأمر ، فإنّ الأخبار الواردة في أنّ صورة المؤمن وهيئته في البرزخ في صورة إنسان وهيئته كثيرة ، وكذلك الروايات الدالّة على أنّ المؤمنين ـ بل والكافرين أحياناً ـ يزورون أهليهم .

ولكن ، أيذهب الأحياء أيضاً لزيارة الموتى ؟ نعم !

يروي الشيخ الطوسيّ في «الأمالي» بسنده المتّصل عن عبد الله بن سليمان ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام :

قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ .

قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فَزُرْهُمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي ضِيقٍ وُسِّعَ عَلَيْهِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ ؛ يَعْلَمُونَ بِمَنْ أَتَاهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ كَانُوا سُدَىً .

قُلْتُ : فَيَعْلَمُونَ بِمَنْ أَتَاهُمْ فَيَفْرَحُونَ بِهِ ؟

قَالَ : نَعَمْ ، وَيَسْتَوحِشُونَ لَهُ إِذَا انْصَرَفَ عَنْهُمْ .[٢]

١ـ «أمالي الصدوق» ص ٣٠٦ .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٢٥٦ ، عن «أمالي الطوسيّ» .

إنّ لزيارة أهل القبور فائدة كبيرة ، وخاصّة زيارة قبور العلماء والشهداء والمقرّبين لساحة الله عزّ وجل .كما أنّ زيارة قبور الأئمّة عليهم السلام لها حكم الورود في الماء الكرّ الذي ينزّه الزائر ويطهّره من كلّ لوثٍ ودنس ، لأنّ نتيجة الزيارة هي الارتباط مع روح المتوفّى ، حيث يستعين الزائر بتلك الروح ويطلب المساعدة منها .

وعليه فكلّما كانت روح المتوفّى أطهر وأنزه وأسمى ،كان نصيب الزائر أكثر وأوفر .

وباعتبار أنّ روح المتوفّى لها ارتباط أوثق وأكثر بقبره ، فإنّ زيارة الأرواح عند قبورها لها أثر أكبر وأعمق ، لذا فإنّ المؤمن الزائر يربط نفسه بواسطة نافذة القبر بروح ذلك المعصوم المقرّب إلى ساحة الله تعالى ، ويرتبط ـ بهذه الطريقة ـ مع عالم المعنى والأرواح بكلّ سعته فيفيد منه .

ومن المشهور أنّ الحاجات تُقضى وتُستجاب أكثر عند قبور العلماء ، وأساساً فإنّ هناك نورانيّة ووحدة أكثر في الأمكنة التي دُفن فيها الأجّلاء وأولياء الله ، إذ من المحسوس أنّ هناك إضاءة وسعة خاصّة وانشراحاً في تلك البقاع والأماكن ، وأنّها تخلو من الإحساس بالظلمة والضيق ، خلافاً لقبور الكفّار المظلمة والباعثة على الملل والضيق والانقباض .

يقول المرحوم آية الحقّ العارف بالله الحاجّ الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ الهمدانيّ رضوان الله تعالى عليه :كنت في قديم الأيّام لا أذهب لزيارة قبور غير المعصومين والأئـمّة ، فقد كنت أتصوّر أنّ الانبساط والانشراح يحصل فقط من قبور الأئمّة عليهم السلام الذين وصلوا إلى مقام الطهارة المطلقة ، وأن ليس من أثر مترتّب على زيارة قبور غيرهم ، حتّى تشرّفت بالسفر إلى العتبات المقدّسة للمرّة الأُولى لأداء الزيارة مع جمع من تلامذتي الروحيّين . حيث توجّهنا يوماً من أيّام الإقامة في الكاظمين

عليهما السلام من بغداد إلى المدائن للتفرّج على بناء المدائن وطاق كسرى المكسور، وكان حقّاً باعثاً على العِظة والاعتبار.

ثمّ إنّنا تحرّكنا بعد التفرّج على المدائن وأداء ركعتي الصلاة المندوبة في ذلك الطاق، إلى قبر سلمان وحذيفة الواقعين قرب ذلك الطاق، فجلسنا قرب قبر سلمان في جمع من الأحباب والأصدقاء، ليس بقصد أداء الزيارة بل لمجرّد الاستراحة وإزالة التعب، فاستقبلنا سلمان فجأة وتجلّى على حقيقته وفي هيئته الواقعيّة، فكانت روحه في غاية الصفاء واللطافة ليس فيها ذرّة من الكدورات، وكانت في غاية السعة والنقاء بحيث أغرقتنا في عالم من اللطف والمحبّة والسعة والصفاء، وأدخلتنا في فضاء وسيع ولطيف من عالم المعنى خالٍ من أيّ مشكلة وعقدة، بحيث أشبه في منتهى لطافته وصفائه فضاء الجنّة، وكان كالضمير المنير للعارف بالله أشبه بالماء الصافي الزلال الرقراق وبنسائم الهواء اللطيفة، فأحسست بالخجل يعتريني من عدم قدومي عنده للزيارة، ثمّ إنّنا شرعنا بأداء الزيارة. وصرت منذ ذلك الوقت أذهب أيضاً لزيارة قبور غير الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، من العلماء بالله والمقرّبين وأولياء الله، وأستعين بهم، وصرت أذهب لزيارة قبور المؤمنين في المقبرة، وأُوصي تلامذتي بأن لا يُحرموا من هذا الفيض الإلهيّ.

نقل في «مستدرك الوسائل» عن السيّد عليّ بن طاووس في «مصباح الزائر» إذا أردتَ زيارة المؤمنين فينبغي أن يكون ذلك يوم الخميس، وإلّا ففي أيّ وقت شئت، وصفتها أن تستقبل القبلة وتضع يدك على القبر وتقول:

اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ، وَصِلْ وَحْدَتَهُ، وَآنِسْ وَحْشَتَهُ، وَآمِنْ رَوْعَتَهُ، وَأَسْكِنْ إِلَيْهِ مِنْ رَحْمَتِكَ رَحْمَةً يَسْتَغْنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ، وَأَلْحِقْهُ

بِمَنْ كَانَ يَتَوَلَّاهُ ، ثُمَّ اقْرَأْ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ سَبْعَ مَرَّاتٍ .

وروي في صفة زيارتهم رواية أُخرى عن محمّد بن مسلم قال : قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام : نزور الموتى ؟ فقال : نعم .

قلتُ : فيعلمون بنا إذا أتيناهم ؟ قال : إي والله ، ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم .

قلتُ : فأيّ شيءٍ نقول إذا أتيناهم ؟ قال : قُلْ :

اللَّهُمَّ جَافِ الْأَرْضَ عَنْ جُنُوبِهِمْ ، وَصَاعِدْ إِلَيْكَ أَرْوَاحَهُمْ ، وَلَقِّهِمْ مِنْكَ رِضْوَاناً ، وَأَسْكِنْ إِلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَتِكَ مَا تَصِلُ بِهِ وَحْدَتَهُمْ ، وَتُؤْنِسُ بِهِ وَحْشَتَهُمْ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وإذا كنت بين القبور فاقرأ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَد** إحدى عشر مرّة وأهد ذلك لهم فقد روي أنّ الله يُثيب من يفعل ذلك على عدد الأموات . وقد تقدّم باقي أخبار الباب في كتاب الطهارة في أبواب الدفن .[1]

أقول : روى الحرّ العامليّ الرواية الأُولى التي أوردها السيّد في «مصباح الزائر» ، وذلك عن الشيخ الطوسيّ بسنده عن الحسن بن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبيه قال : مررت مع أبي جعفر [محمّد الباقر] عليه السلام بالبقيع ، فمررنا بقبر رجل من الشيعة . قال : فوقف عليه ثمّ قال : **اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ** ـ إلى آخر هذا الدعاء .

كما ذكر في «وسائل الشيعة» ج ١ ، ص ١٦٧ و ١٦٨ ، كتاب الطهارة ، في أبواب زيارة أهل القبور وقراءة الأدعية الواردة رواياتٍ كثيرةً بهذه المضامين . ويروي في ص ١٦٨ من نفس المجلّد عن محمّد بن يعقوب ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن عبد الله بن

---

١ ـ «مستدرك الوسائل» ج ٢ ، ص ٢٣٠ ، كتاب الحجّ ، أبواب المزار .

سنان ، قال :

قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام :

كَيْفَ التَّسْلِيمُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ ، تَقُولُ : السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ ؛ وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ .

وأورد كذلك عدّة روايات أُخرى قريبة من هذا المضمون .

والخلاصة فإنّ آثار نورانيّة روح المؤمن ظاهرة في قبره أيضاً ، وآثار ظلمة روح الكافر مشهودة في قبره أيضاً .

وقد ورد في روايات عديدة أنّ أرواح المؤمنين تجتمع في وادي السلام ؛ وادي السلام الذي هو وادي الأمن والأمان والسلامة ، حيث نداء الملائكة للمؤمنين :

سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ .[1]

إنّ ظهور ذلك الوادي في هذه الدنيا ، أرضٌ في النجف الأشرف وادي الولاية ، في ظهر الكوفة ، ذلك لأنّ النجف الأشرف لم تكن قد صارت مدينة في سابق الأيّام قبل دفن الجسد المطهّر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، بل كانت صحراء تبعد عن الكوفة بفرسخ واحد ، لذا يقال للنجف : ظهر الكوفة . يروي الكلينيّ في «الكافي» بسنده عن أحمد بن عمر ، مرفوعاً عن الإمام الصادق عليه السلام :

قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنَّ أَخِي بِبَغْدَادَ ، وَأَخَافُ أَنْ يَمُوتَ بِهَا .

فَقَالَ : مَا تُبَالِي حَيْثُمَا مَاتَ ؛ أَمَا إِنَّهُ لَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا إِلَّا حَشَرَ اللَّهُ رُوحَهُ إِلَى وَادِي السَّلَامِ .

---

١ ـ الآية ٧٣ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

فَقُلْتُ لَهُ : وَأَيْنَ وَادِي السَّلَامُ ؟

قَالَ : ظَهْرُ الْكُوفَةِ ؛ أَمَا إِنِّي كَأَنِّي بِهِمْ حَلَقٌ حَلَقٌ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ.[1]

كما يروي في «الكافي» بسنده عن **عُبَايَةَ الأَسَدِيّ**، عن **حَبَّة العُرَنِيّ** قال : خرجتُ مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظَّهْر ، فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطِبٌ لأقوام ، فقمتُ بقيامه حتّى أعييت ، ثمّ جلستُ حتّى مللت ، ثمّ قمتُ حتّى نالني مثل ما نالني أوّلاً ، ثمّ جلستُ حتّى مللتُ ، ثمّ قمتُ وجمعت ردائي فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد أشفقتُ عليك من طولِ القيام فراحةٌ ساعة ، ثمّ طرحتُ الرداء ليجلس عليه ، فقال : يا حبّة إن هُو إلّا محادثةُ مُؤمِنٍ أو مُؤَانسته . قال : قلتُ : يا أمير المؤمنين ، وإنّهم لكذلك ؟

قال : نَعَمْ ، وَلو كُشفَ لَكَ لرأيتَهُمْ حلقاً حلقاً محتبين[2] يتحادثون .

فقلتُ : أجسامٌ أم أرواحٌ ؟ فقال : أرواحٌ ، وما من مؤمنٍ يموتُ في بقيعةٍ من بقاعِ الأرضِ إلّا قيلَ لروحه : إلحقي بوادي السَّلَامِ ؛ وإنّها لَبقعةٌ مِنْ جنّةِ عَدْن .[3]

وقال في كتاب «المختصر» للشيخ حسن بن سليمان وهو من معاريف تلامذة الشهيد الثاني : روى الفضل بن شاذان في كتاب «القائم» عليه السلام ، عن ابن طريف ، عن ابن نباته في حديث طويل يذكر فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خرج من الكوفة ومرّ حتّى أتى الغريّين[4] فجازه

١ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٧ .

٢ـ احتبى بالثوب : اشتمل به . جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

٣ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٦ و ٦٧ .

٤ـ «الغريّان» بناءان أبيضا اللون خارج الكوفة للدلالة على الطريق لمن يقدمون الكوفة من خارجها ، وهي علامة للكوفة واقعة على بُعد فرسخ منها ، لذا يقال للنجف ⇐

فلحقناه وهو مستلقٍ على الأرض بجسده ليس تحته ثوب ، فقال له قنبر : يا أمير المؤمنين ، ألا أبسط لك ثوبي تحتك ؟

قال : لا ، هل هي إلّا تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه ؟

قال الأصبغ : يا أمير المؤمنين ، تربة مؤمن قد عرفناه كانت أو تكون فما مزاحمته في مجلسه ؟

فقال : يا ابن نباته ، لو كُشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظَّهْر [1] حلقاً يتزاورون ويتحدّثون ، إنّ في هذا الظّهر روحَ كُلِّ مؤمنٍ وبوادي بَرَهُوت نسمة كُلِّ كافرٍ . [2]

فالمؤمنون في وادي السلام في التذاذ ومسرّة ، ثملون بكأس المحبّة والولاية ، وطافحون بالعشق والبهجة والسرور ، لذا فإنّهم لا يحسّون بمرور الزمن البرزخيّ إلى يوم القيامة .

أمّا الكفّار الذين قصرت أيديهم عن العلم والمعرفة ، وحُرمت أرواحهم من بلّ الصدى من كأس معين الولاية المتدفّق ، فهم مجتمعون في الصحراء القاحلة لـ «برهوت اليمن» .

ذرّة ذرّة كاندرين أرض و سماست
جنس خود را همچو كاه وكهرباست
نوريان مر نوريان را جاذبند
ناريان مرناريان را طالبند [3]

⇐ أرض الغريّ أو أرض الغريّين ، أي الصحراء المجاورة لهذين البناءين .

١ـ أي في ظهر الكوفة وهو وادي السلام .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٢٤٢ ، عن «المختصر» .

٣ـ البيت الأوّل من الـ «مثنوى» طبع ميرخاني ، ج ٦ ، ص ٦٠١ .

يقول : إنّ كلّ ذرّة في الأرض والسماء تجذب جنسها كما يجذب الكهرباءُ القشَّ . ⇐

إنّ طيّ الزمان إذا ماكان أمراً نسبياً فإنّه يوضّح هذه المسألة جيّداً ، فكم هو صعب وعسير مرور الزمان لأهل البرهوت ! وكم هو طويل ومليء بالحوادث وكم هو قاصم ومؤذٍ ! لكأنّ كلّ لحظة منه سنوات طوال . وكم هو مريح لطيف سريع الانقضاء لأهل وادي السلام ، الوادي الأيمن ! لكأنّ سنةً منه تمرّ وتطوى في لحظة واحدة .

وعلى كلّ حال فإنّ الإحساس بمرور الزمن معدوم في مجالس الأنس والخلوة بالحبيب ، وفي مقام الوحدة ذلك ، حيث تتنزّه الأرواح من صدأ الكثرات والتعلّقات وتمتزج معاً في مقام الصفاء والمودّة والمؤانسة ، وتذوب في بعضها كما يمتزج اللبن والسكّر والشهد ، فليس من سبيلٍ هناك للإحساس بمرور الزمن الذي هو من آثار المادّة ، ولا لإدراك طيّه التدريجيّ ، وربّما كان معنى طيّ الزمان لأولياء الله تعالى هو هذا المعنى .

وعلى العكس من ذلك ، فإنّ كلّ لحظة تمرّ في سجون الفراق والبُعد عن الحبيب والتعلّقات كأنّها سنة ، فالتوغّل في الكثرات وتوهّم هذه التعلّقات يُطيل الزمان في القوى المتخيّلة ، بحيث تبدو كلّ ساعة منه طويلة كأطول ليلة من ليالي الشتاء[1] ، بحيث يبقى الشخص المنتظر مترقّباً على الدوام لطلوع فجر صبح الأمل والوصول والخلوة والأُنس .

من پير سال و ماه نيم يار بى وفاست

بر من چو عمر مى‌گذرد پير از آن شدم[2]

⇦ فأهل النور يجذبون أمثالهم من أهل النور ، وأهل النار يطلبون أمثالهم من أهل النار .

١ـ وتدعى بالفارسيّة «شب يلدا» . (م)

٢ـ للشاعر حافظ الشيرازيّ : يقول :

أهرمني الحبيبُ الغادر ـ لا انقضاءُ السنين والشهور ـ حين كان يمرّ عليّ ـ كالعمر ـ سريعاً بلا مَهَل .

وبطبيعة الحال فكما أنّ الأموات يتجسّدون في صور معيّنة ، فإنّ الأفراد الذين وصلوا إلى مقام القُرب من الحضرة الأحديّة لله عزّ وجلّ والذين انفتحت بصائرهم ، يستطيعون أن يشاهدوا أُولئك الأموات ويتحدّثون معهم .

يروي محمّد بن الحسن الصفّار في كتاب «بصائر الدرجات» بسنده المتّصل عن الإمام أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام ، قال :

خرجتُ مع أبي إلى بعض أمواله ، فلمّا برزنا إلى الصحراء استقبله شيخ أبيض الرأس واللحية فسلّم عليه ، فنزل إليه أبي أسمعه يقول له : جُعلت فداك ! ثمّ جلسا فتساءلا طويلاً ، ثمّ قام الشيخ وانصرف وودّع أبي وقام ينظر في قفاه حتّى توارى عنه ، فقلتُ لأبي : من هذا الشيخ الذي سمعتُك تقول له ما لم تقله لأحد ؟ قال : هذا أبي .[1]

كما يروي في نفس كتاب «بصائر الدرجات» بسنده المتّصل عن أبي البلاد قال : قلتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام : حدّثني عبد الكريم بن حسّان عن عبيدة بن عبد الله بن بشير الخثعميّ ، عن أبيك أنّه قال : كنتُ ردف أبي وهو يريد العُرَيض .[2] قال : فلقيه شيخ أبيض الرأس واللحية يمشي . قال : فنزل إليه فقبّل بين عينيه ، فقال إبراهيم : ولا أعلمه أنّه قبّل يده ثمّ جعل يقول له : جُعلت فداك ، والشيخ يوصيه ، فكان في آخر ما قال له : انظر الأربع ركعات فلا تدعها . قال : وقام أبي حتّى توارى الشيخ ثمّ ركب ، فقلتُ : يا أبه ، مَن هذا الذي صنعتَ به ما لم أرك تصنع بأحد ؟ قال : هَذا أبي يا بُنيّ .[3]

١ـ «بصائر الدرجات» ص ٧٩ و ٨٠ ، باب «انّ الأئمّة يزورون الموتى» .

٢ـ العُرَيض على ورن الزُّبَير إحدى نواحي وأطراف المدينة المنوّرة .

٣ـ «بصائر الدرجات» ص ٧٧ .

ومجمل الأمر أنّ على الإنسان أن يعمل لئلا يُمتحن في البرزخ ، إذ لو سُلب منه إيمانه ـ لا سامح الله ـ بسبب جحوده وإنكاره ، فإنّه سيبتلى بالسقوط في وادي البرهوت . بل إنّ على المؤمن أن يتحرّى طريق القُرب بواسطة الأعمال الصالحة لتستقرّ روحه وتأمن في وادي السلام وليذهب يوم القيامة ـ بشفاعة محمّد وأهل بيته عليهم السلام ـ إلى جنّة الفردوس فيخلّد هناك ، إذ ليس من شفاعة في البرزخ ، وإذا ما كان سلوك المؤمن وأفعاله غير مرضيّة فإنّه سيوبّخ في البرزخ .

يروي الكلينيّ في «الكافي» بسنده المتّصل عن عمرو بن يزيد قال :

قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَقُولُ : كُلُّ شِيعَتِنَا فِي الْجَنَّةِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ .

قَالَ : صَدَقْتُكَ ، كُلُّهُمْ وَاللهِ فِي الْجَنَّةِ .

قَالَ : قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنَّ الذُّنُوبَ كَثِيرَةٌ كَبَائِرُ .

فَقَالَ : أَمَّا فِي الْقِيَامَةِ فَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ الْمُطَاعِ أَوْ وَصِيِّ النَّبِيِّ وَلَكِنِّي وَاللهِ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ .

قُلْتُ : وَمَا الْبَرْزَخُ ؟

قَالَ : الْقَبْرُ مُنْذُ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .[1]

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا .[2]

يرحل الإنسان عن الدنيا فيُطوى ملفّ عمله ، اللهم إلّا الأفراد الذين خلّفوا ذكرى منهم تبقى بعدهم صدقةً جارية ، كالوقف للأُمور الخيريّة

١ـ «الكافي» الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٦ .

٢ـ الآية ٣٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

والأثر العلميّ والدينيّ الذي يستفيد الناس منه ، والولد الصالح التي تُعدّ باقياتهم الصالحات .

أمّا نفس موجوديّة الإنسان التي هي نتيجة مجموع أعماله الصالحة أو الطالحة ، فإنّها ستبقى قرينة مع الإنسان ، فيبقى الإنسان مع قرينه إمّا مسروراً أو معذّباً . فإن كانت نفس موجوديّته صالحة فإنّ الإنسان سيلتذّ بها دوماً ، أمّا إذا ما أعرض عن ذكر الله تعالى ، فإنّ الله سبحانه سيجعل موجوديّته في هيئة شيطان يكون قرينه وصاحبه .

يروي في «الكافي» بسنده المتّصل عن بشير الدهّان ، عن الإمام الصادق عليه السلام ضمن رواية طويلة عن البرزخ وسؤال الملكين منكر ونكير ، أنّ المؤمن حين يجيب على سؤال الملكين عن التوحيد ، فإنّهما يسألانه عن رسول الله فيقولان :

مَا تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ ؟

فَيَقُولُ : أَعَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَهِ تَسْأَلانِي ؟

فَيَقُولَانِ لَهُ : تَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟

فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَهِ .

فَيَقُولَانِ لَهُ : نَمْ نَوْمَةً لا حُلْمَ فِيهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةُ أَذْرُعٍ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إلَى الْجَنَّةِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا .

وَإذَا كَانَ الرَّجُلُ كَافِراً دَخَلَا عَلَيْهِ وَأُقِيمَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، عَيْنَاهُ مِنْ نُحَاسٍ ؛ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ ؟

فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي .

فَيُخَلِّيَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ ، فَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ تِنِّيناً ؛ وَلَوْ أَنَّ تِنِّيناً وَاحِداً مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَجَراً أَبَداً ، وَيُفْتَحُ

لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا.[١]

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ.[٢]

فهذا الشيطان هو في الحقيقة ظهور وبروز نفسه الأمّارة وموجوديّته التي كانت تخفى عن الأنظار بواسطة الحُجب ، وها هي الحجب قد هُتكت في البرزخ فصارت موجوديّته جليّة للعيان يتمنّى الإنسان لو بَعُد عنها بُعد المشرقين .

أمّا إذا كان المتوفّى مؤمناً ذا عمل حسن جميل ، فإنّ ذلك القرين والصاحب الملازم سيتجلّى أمامه في هيئة إنسان وسيم معطّر في هيئة حسنة .[٣]

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا .[٤]

يحذّر أمير المؤمنين عليه السلام الإنسان من بداية نهج البلاغة إلى خاتمته ، من الموت وعواقبه ، ويوصيه في أمر التوحيد والمعاد والتقوى .

ولقد منّ الله تعالى على الإنسان برسولين ، أحدهما العقل وهو الرسول الباطن الملازم للإنسان على الدوام ، والآخر الرسول الظاهر ، وهو نبيّه صلّى الله عليه وآله ، ولقد حرّض الإنسان ورغّبه في اتّباع دعوة

١ـ «الكافي» الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، الفروع ، ص ٦٤ .

٢ـ الآيات ٣٦ إلى ٣٨ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

٣ـ إنّ الشيطان ، شأنه شأن المَلَك ، موجود مستقلّ عن البشر وغير البشر ، وليس المراد من هذا الكلام نفي الشيطان وتأويله بالنفس الأمّارة ، بل إنّ المراد أنّ النفس الأمّارة تسبّب طاعة الإنسان للشيطان وقبوله لتسويلاته .

٤ـ الآيتان ٩ و ١٠ ، من السورة ٩١ : الشمس .

الرسول الباطن . لذا فإن لم يطوِ الإنسان طريق الحقّ ، ولو تغافل عن الرسول الباطن وكَتَم عليه ، ورفض الرسول الظاهر ، فإنّه سيكون بذاته المقصّر دون ريب .

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ .[١]

يقول الإنسان : إلهي ، لماذا جعلت جزائي هكذا ؟

فيجيبه : هذه هي أعمالك التي سبق وقدّمتها ، قد جرى تدوينها وتسجيلها في جهاز منظّم دقيق ، وهذا هو حاصل ونتيجة عملك أنت ، وهو عين عملك الذي تجلّى في هذا العالم في هذه الهيئة ؛ لم أظلمك ولم أُعاقبك ولم أبتلك بعقوبة سبقت عملك .

لقد كان نفس عملك في الدنيا فاسداً طالحاً ، فظهر ذلك الفساد الآن وتجلّى ؛ كما كانت الأعمال الصالحة للمؤمن في الدنيا حسنةً جميلة ، وها هو ذلك الحُسن قد ظهر الآن وتجلّى .

إنّ الإنسان يعجز بعينيه الطبيعيّتين هاتين أن يرى الشيء إذا تناهى في الصغر ، فالميكروب لا يمكن رؤيته للعين التي لم تتسلّح بسلاح المجهر ، لكنّه يصبح قابلاً للمشاهدة تحت العدسات المكبّرة التي تكبّره آلاف المرّات أو أكثر من ذلك .

وعلى هذا فإنّ أعمال الإنسان ـ بلحاظ الصحّة والفساد والرياء والتظاهر والتجمل وحبّ النفس وعبادة الشخصيّة ، أو بلحاظ التقرّب إلى الله تعالى والوصول ومقام اللقاء والرضوان ـ ستكون مختفية ومستترة في عالم المادّة والطبع هذا ، فهذه الجهة مختفية وكامنة في بطون الأعمال وأعماقها . ومن ثمّ يبرز ظاهر العمل ويبدو للعيان ، إلّا أنّ روحه كامنة

---

١ ـ الآية ١٨٢ ، من السورة ٣ : آل‌عمران ؛ والآية ٥١ ، من السورة ٨ : الأنفال .

مستترة ، لأنّها لطيفة ودقيقة ومجهريّة تبعد عن منال أفكار العامّة . أمّا في ذلك العالم فإنّ الباطن سيتجلّى ويكبر آلاف المرّات ، فيحاول الإنسان الفرار من أعماله السيّئة ويشمئزّ منها ويقرف ، بينمُا سيُسرّ بأعماله الحسنة ويفرح وتغمره البهجة والحبور بحيث يعجب من ذلك بنفسه ، فهو لم يكن ـ أساساً ـ ليتصوّر أنّ الهيئة الحقيقيّة لأعماله الحسنة بهذه الفتنة والروعة التي تخطف القلوب وتأسرها ، فيسأل أعمالَه التي ظهرت وتجلّت في صور ملكوتيّة جميلة : من أنت ؟

فتجيب : أنا الصلاة التي صلّيتها ، والزكاة التي أدّيتها ، وأنا الحجّ الذي قُمتَ به ، والصدقة التي أعطيتها للفقير سرّاً في سبيل رضا الله تعالى .

وأنا الإعانة التي قدّمتها لمن ملكتَ أمرَه ، وأنا ذلك الأدب والاحترام الذي أبديتَه للكبار ، وأنا مقام العبوديّة ذلك الذي كنتَ فيه مقابل الله سبحانه .

يروي البرقيّ في كتاب «المحاسن» بسنده عن أبي بصير ، عن أحد الصادقين عليهما السلام قال : إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّة صور ، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهاً ، وأبهاهنّ هيئة ، وأطيبهنّ ريحاً ، وأنظفهنّ صورة ؛ قال : فتقف صورة عن يمينه ، وأُخرى عن يساره ، وأُخرى بين يديه ، وأُخرى خلفه ، وأُخرى عند رجله ، وتقف التي هي أحسنهنّ فوق رأسه ، فإن أُتي عن يمينه منعته التي عن يمينه ، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الستّ . قال : فتقول أحسنهنّ صورة : ومن أنتم جزاكم الله عنّي خيراً ؟ فتقول التي عن يمين العبد : أنا الصلاة ، وتقول التي عن يساره : أنا الزكاة ، وتقول التي بين يديه : أنا الصيام ، وتقول التي خلفه : أنا الحجّ والعمرة ، وتقول التي عند رجليه : أنا برّ من وصلتَ من إخوانك ؛ ثمّ يقلن : من أنت ؟ فأنت أحسننا وجهاً ، وأطيبنا ريحاً ، وأبهانا هيئة ؟

فتقول : أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين .[1]

عسى الله أن يجعل الإنسان تحت ولاية محمّد وآل محمّد ، فكلّ ما هو موجود آنّما هو في هذه الولاية ، وهي الحبل المتّصل بين الإنسان وبين الله تعالى ، فإن تمسّك به الإنسان على الدوام ، رفعه من حضيض الناسوت ومن أسفل السافلين فأوصله إلى أوج اللاهوت ؛ وإلّا بقي الإنسان أسيراً في حضيض هوّة الطبع والنفس الأمّارة ، وساقته الشياطين إلى الظلمات والتعاسة ، وأوصلته إلى آلاف المحن والابتلاءات التي يفوق كلّ منها الآخر تعاسةً وسوءاً .

وقد ورد في الرواية أنّ الإسلام بُني على خمس : الولاية والصلاة والزكاة والصوم والحجّ ، **وَمَا نُودِيَ بِشَيْءٍ مِثْلَ مَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ**.

فالولاية روح الأعمال ، فإن وجدت الولاية قُبلت تلك الأعمال ، وإلّا رُدّت ، لأنّ العمل بدون الولاية ليس إلّا كمثل جسد ميّت لا روح فيه .

إنّ الصلاة والصيام والجهاد والزكاة والحجّ والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلّها حيّة بالولاية ، ميّتة بدونها ومتعفّنة .

لقد كان أهل الكوفة وخوارج النهروان الذين كان أمير المؤمنين عليه السلام يئنّ ويشكو منهم في خطبه ، بأجمعهم من ذوي الأعمال التي لها ظاهر يستلفت الأنظار في الزهد والصلاح ، وكانوا من أهل التعبّد والتهجّد ، وكان بعضهم يحفظ القرآن ويجعل له حمائل فيتمسّك به ، لكنّهم لم يكونوا يعرفون إمامهم ، وكانوا يثورون عليه ويقفون في وجهه فيحاربونه .

كان العمل في هيئة صالحة ، لكنه في الباطن طالح وفاسد وملوّث

١ـ «المحاسن» للبرقيّ ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .

ومدنّس وميّت معتفّن .

لقد كان الخوارج يحاربون أمير المؤمنين عليه السلام بتهمة الكفر حيث حاولوا قتله بجرم الكفر ، وكانوا أفراداً لم يتغلغل الإيمان من ظواهرهم إلى قلوبهم فيرسخ فيها ، ولم تكن تلك الأعمال الصالحة لتؤثّر شيئاً في نفوسهم أو تُحيي أرواحهم وتوقظها ، وكانوا ممّن يفتقد هذا الربط والعلاقة ، فكانوا يعيشون معزولين عن عالم المعنى .

وأُولئكم هم الذين قال عليه السلام في حقّهم : اللهم أرحني منهم ، وأرحهم منّي ، اللهم إنّي قد مللتهم وملّوني وسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، بعد أن شكى منهم متألماً لمخالفتهم إيّاه .

يقول عليه السلام في خطبته :

وَإِنِّي وَاللَهِ لأَظُنُّ أَنَّ هَؤلاَءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلاَحِهِمْ فِي بِلاَدِهِمْ وَفَسَادِكُمْ فَلَوْ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلاَقَتِهِ .

اللَهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي ، اللَهُمَّ مُثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ.[1]

وكان عليه السلام يُخبر تكراراً عن شهادته على يد أشقى أُمّته ، وكان ينتظر ذلك اليوم ويترقّبه بفارغ الصبر .

ورد في «الخرائج والجرائح» للراونديّ ، أنّه ورد في الروايات

١ـ الخطبة ٢٥ ، من «نهج البلاغة» طبعة محمّد عبده ـ مصر ، ج ١ ، ص ٦٥ .

المتواترة أنّه عليه السلام كان يُخبر عن شهادته ، وعن أنّه سيرحل عن الدنيا شهيداً ، ويقول :

وَاللهِ لَيَخْضِبُهَا مِنْ فَوْقِهَا - يُومِئ إِلَى شَيْبَتِهِ .

ويقول : **مَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَهَا بِدَمٍ !**

ويقول : **أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ وَفِيهِ تَدُورُ رَحَى السُّلْطَانِ ،**[1] **أَلَا وَإِنَّكُمْ حَاجُّوا الْعَامَ صَفّاً وَاحِداً وَآيَةُ ذَلِكَ أَنِّي لَسْتُ فِيكُمْ .**

وَكَانَ يَفْطُرُ فِي هَذَا الشَّهْرِ لَيْلَةً عِنْدَ الْحَسَنِ وَلَيْلَةً عِنْدَ الْحُسَيْنِ وَلَيْلَةً عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ زَوجِ زَيْنَبَ بِنْتِهِ لِأَجْلِها ، لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ لُقَمٍ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَأْتِينِي أَمْرُ اللهِ وَأَنَا خَمِيصٌ ، إِنَّمَا هِيَ لَيْلَةٌ أَوْ لَيْلَتَانِ ، فَأُصِيبَ مِنَ اللَّيْلِ .[2]

ويقول ابن شهرآشوب في «المناقب» :

رُوِيَ أَنَّهُ جَرَحَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَد رَأْسَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَشَدَّهُ وَنَفَثَ فِيهِ فَبَرَأَ وَقَالَ : أَيْنَ أَكُونُ إِذَا خُضِبَتْ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ؟[3]

ويقول في «تذكرة الخواصّ» : يقول أحمد بن حنبل في «الفضائل» : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

يَا عَلِيُّ أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ؟

قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

١ـ احتمل المجلسي رضوان الله عليه حصول تحريف في الاستنساخ ، وان النسخة الأصلية كانت بلفظ «الشيطان» .

٢ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، ج ٩ ، ص ٦٤٨ باب (إخبار الرسول بشهادته وإخباره صلوات الله عليه بشهادة نفسه) .

٣ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، ج ٩ ، ص ٦٤٧ .

قَالَ : مَنْ يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ هَامَتِهِ .[1]

قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَسْتَبْطِئُ الْقَاتِلَ فَيَقُولُ: مَتَى يُبْعَثُ أَشْقَاهَا ؟[2]

وقال : قدم على عليّ عليه السلام وفدٌ من الخوارج من أهل البصرة وفيهم رجل يُقال له الجعد بن نعجة ، فقال له :

يَا عَلِيُّ اتَّقِ اللهَ فإِنَّك مَيِّتٌ !

فَقَالَ : بَلْ أَنَا مَقْتُولٌ بِضَرْبَةٍ عَلَى هَذَا فَتَخْضَبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ؛ يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ ؛ عَهْدٌ مَعْهُودٌ وَقَضَاءٌ مَقْضِيٌّ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى .[3]

وروي عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاريّ (وكان أبوفضالة من أهل بدر واستشهد في صفّين في ركاب أمير المؤمنين عليه السلام) قال :

خرجتُ مع أبي عائداً لعليّ بن أبي طالب من مرض أصابه فَبِلَّ منه فقال له أبي : ما يُقيمك ها هنا بين أعراب جهينة ، تحتمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وأصحاب القرآن وصلّوا عليك . فقال عليّ عليه السلام : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عهد إليّ أن لا أموت حتّى تخضب هذه من هذه ، أي لحيته من دم هامته .[4]

وأورد ابن سعد في «الطبقات» عن أبي الطفيل ، قال :

دعا عليّ الناس إلى البيعة ، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المراديّ ، فردّه مرّتين ، ثمّ أتاه فقال :

مَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا لَتُخْضَبَنَّ (أَوْ لَتُصْبَغَنَّ) هَذِهِ مِنْ هَذَا ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ   فَإِنَّ الْمَوْتَ آتِيكَ

---

١ إلى ٤ ـ «تذكرة الخواصّ» لسبط ابن الجوزيّ ، الطبعة الحجريّة ، ص ١٠٠ .

وَلَا تَجْزَعْ مِنَ الْقَتْلِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ[1]

وأورد في «الطبقات» عن محمّد ، عن عبيدة ، قال : **قَالَ عَلِيٌّ : مَا يَحْبِسُ أَشْقَاكُمْ أَنْ يَجِيءَ فَيَقْتُلَنِي ؛ اللَهُمَّ قَدْ سَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَرِحْهُمْ مِنِّي وَأَرِحْنِي مِنْهُمْ .**[2]

كما روى في «الطبقات» عن سليمان بن القاسم الثقفيّ ، قال : حدّثتني أُمّي عن أُمّ جعفر سُريّة عليّ ، قالت :

إِنِّي لَأَصُبُّ عَلَى يَدَيْهِ الْمَاءَ إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَرَفَعَهَا إِلَى أَنْفِهِ فَقَالَ :

وَاهاً لَكِ لَتُخْضَبَنَّ بِدَمٍ !

قَالَتْ : فَأُصِيبَ يَوْمَ الْجُمعَةِ.[3]

١ـ «طبقات ابن سعد» طبع بيروت ـ دار صادر ، ج ٣ ، ص ٣٣ ، ويقول المؤلّف : أورد في «مجمع الأمثال» للميدانيّ ، ج ١ ص ٣٦٦ و ٣٦٧ أنّ هذه الأبيات لأُحيحة بن الجُلاح قالها في تحريض ابنه ، وعلى هذا فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد تمثّل بها .

٢ و ٣ ـ «طبقات ابن سعد» ج ٣ ، ص ٣٤ .

المجلس التاسع عشر

تقارن الملكوت البرزخي للإنسان معه في البرزخ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوة إلّا باللّه العليّ العظيم

وصلّى اللّهُ على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ.[1]

إنّ الإنسان الذي يرحل عن الدنيا يرد جنّة أو جهنّماً تدعيان بالجنّة وبجهنّم البرزخيّتين ، وهما أضعف بكثير من جنّة القيامة وجهنّمها ، ومن ثمّ فقد جاء التعبير في بعض الروايات الواردة بأنّهم ـ في عالم القبر والبرزخ ـ يفتحون باباً للمتوفّى إلى جنّته الخاصّة بالقيامة ، أو إلى جهنّمه الخاصّة بالقيامة . وبنفس ميزان التذاذ الإنسان بفتح ذلك الباب ، وبالتطلّع إلى المناظر البديعة المدهشة ، أو اضطرابه وانزعاجه من رؤية الدخان والنار والسعير والزقّوم والحميم والثعابين والأفاعي ؛ فإنّ هذه الجنّة

١ـ الآية ٣٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

البرزخيّة أو جهنّم البرزخيّة هما مثالان وأثران من القيامة بنفس الميزان والقدر ، حيث اكتسبا ـ على هذا الأساس ـ موجوديّتهما التابعة للجنّة أو لجهنّم .

وقد دُعيت هذه الجنّة في بعض الروايات بجنّة الدنيا ، كما عبّر المرحوم المجلسيّ رضوان الله عليه في كتاب المعاد من «بحار الأنوار» عنهما بجنّة الدنيا وجهنّم الدنيا ، وعقد باباً في هذا العنوان .

والعلّة في ذلك أنّ عالم البرزخ من تتمّة عالم الدنيا ، لذا فقد عُبّر أيضاً عن الجنّة التي كان فيها آدم أبو البشر بجنّة الدنيا ، لأنّها من مقدّمات الدنيا ومتّصلة بها وباعثة على الاستعداد والتهيّؤ للقدوم إليها .

روى الصدوق في «العيون» بسنده عن الحسن بن بشّار ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنْ جَنَّةِ آدَمَ ، فَقَالَ : جَنَّةٌ مِنْ جَنَّاتِ الدُّنْيَا تَطْلُعُ عَلَيْهِ فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ جَنَّاتِ الْخُلْدِ مَا خَرَجَ مِنْهَا أَبَداً.[1]

وأورد الكلينيّ نظير هذه الرواية في «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن البزنطيّ ، عن الحسين بن ميسّر ، عن الإمام الصادق عليه السلام .[2]

وأورد في «تفسير عليّ بن إبراهيم» ذيل الآية : **وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ** ، عن أبيه مرفوعاً قال :

سُئِلَ الصَّادِقُ عَنْ جَنَّةِ آدَمَ مِنْ جَنَّاتِ الدُّنْيَا كَانَتْ أَمْ مِنْ جِنَانِ الْآخِرَةِ ؟

---

١ ـ «عيون أخبار الرضا» ج ٢ ، باب نوادر العلل ، ص ٦٠٠ ، الحديث رقم ٥٥ .

٢ ـ «فروع الكافي» الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٨ .

فَقَالَ : كَانَتْ مِنْ جَنَّاتِ الدُّنْيَا تَطْلُعُ فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ؛ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ جَنَّاتِ الْآخِرَةِ مَا أُخْرِجَ مِنْهَا أَبَداً .[1]

ثمّ إنّ البرزخ ينقضي ويتصرّم ويُنفخ في الصور ، فيذهب الإنسان إلى جنّة القيامة .

إنّ الإنسان الذي يرد البرزخ ، يرده بموجوديّته وفعليّته ، فقد كانت مَلكاته وشخصيّته مختفية مستترة في هذه الدنيا ، أمّا البادي للعيان فيها فظاهره وظاهر أعماله وسيرته . لكنّ هذه المخفيّات ستجد درجة من الظهور في عالم البرزخ ، فتتجلّى أعماله وتتمثّل بصورة ملكوتيّة ، وتظهر في البرزخ مع الإنسان ملكاته التي أثّرت في شخصيّته .

وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا * وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا .[2]

ويتّضح في هذه الآيات التي عبّرت عن الشيطان بالخذول المضلّ ، وعبّرت في الوقت نفسه عن فلان بالمضلّ عن الذكر والقرآن ، أنّ فلاناً كان محلّ ظهور الشيطان والنفس الأمّارة ، وكان ـ في نهاية الأمر ـ مركزاً ومحوراً لتجلّيات نفسه . وفي الحقيقة والمعنى ـ إذَن ـ فإنّ الإنسان يتذمّر من نفسه ويعتب على موجوديّته ، فتلك الشخصيّة هي التي تسبّبت في انصباب جميع المصائب والابتلاءات والامتحانات على الإنسان ، وهي التي كانت محوراً لقبول أو رفض السعادة وكلام الحقّ .

١ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ص ٣٥ و ٣٦ .

٢ـ الآيات ٢٧ إلى ٣١ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .

وهذا هو ذلك القرين الذي كان الإنسان يرغب، لو كان بينهما بُعد المشرقين ، والذي عبّر عنه بتعبير :

وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيٰهَا .

أو هو تلك النفس الملكوتيّة الرحمانيّة الجميلة البديعة السريعة الإدراك ومحلّ اللطف ومركز المحبّة وترشّح الخيرات التي عبّر عنها بتعبير : **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّيٰهَا .**

إنّ هذه النفس ستلازم الإنسان الذي يذهب في القبر وتكون قرينه ، فيسألها : من أنت فإنّي لم أر مثلك بهاءً ومحبّة وأُنساً ؟

فتجيب : أنا عملك ، أنا ثمرة سيرتك وسلوكك ، أنا تجلّي ملكاتك وسجاياك وشخصيّتك . لقد قدمتُ معك هنا من الدنيا ، وسأكون معك إلى يوم القيامة ، وحين ستقوم من قبرك سأرد معك إلى المحشر وأحضر في ساحة العرض ومقام العدل الإلهيّ .

يروي الصدوق في «الأمالي» بسنده المتّصل عن العلاء بن محمّد بن فضل ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال قيس بن عاصم : وفدتُ مع جماعة من بني تميم إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله ، فدخلتُ وعنده **الصلصال ابن الدلهمس** ، فقلت : يا نبيّ الله عظنا موعظة ننتفع بها فإنّا قومٌ نعبر في البريّة .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : يَا قَيْسُ ، إنَّ مَعَ الْعِزِّ ذُلّاً ، وَإنَّ مَع الْحَيَاةِ مَوْتاً ، وَإنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً ، وَإنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً ، وَإنَّ لِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَاباً ، وَلِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَاباً ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً ، وَإنَّهُ لَابُدَّ لَكَ يَا قَيْسُ مِنْ قَرِينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ ، وَتُدْفَنُ مَعَهُ وَأَنْتَ مَيِّتٌ .

فَإنْ كَانَ كَرِيماً أَكْرَمَكَ ، وَإنْ كَانَ لَئِيماً أَسْلَمَكَ ؛ ثُمَّ لَا يُحْشَرُ إلَّا مَعَكَ ، وَلَا تُبْعَثُ إلَّا مَعَهُ ، وَلَا تُسْأَلُ إلَّا عَنْهُ ؛ فَلَا تَجْعَلْهُ إلَّا صَالِحاً .

فَإنَّهُ إنْ صَلُحَ أَنَسْتَ بِهِ ، وَإنْ فَسَدَ لا تَسْتَوْحِشُ إلَّا مِنْهُ ، وَهُوَ فِعْلُكَ .

فقال (قيس) : يا نبيّ الله أُحبّ أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندّخره ، فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله من يأتيه **بحسّان**[1] **(بن ثابت)** ، قال (قيس) : فأقبلتُ أفكّر فيما أشبه هذه العظة من الشعر فاستتبّ لي القول قبل مجيء حسّان ، فقلتُ : يا رسول الله قد حضرتني أبيات توافق ما تريد ، فقلتُ :

تَخَيَّرْ خَلِيطاً مِنْ فِعَالِكَ إنَّمَا
قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ

وَلَابُدَّ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أنْ تُعِدَّهُ
لِيَوْمِ يُنَادَى الْمَرْءُ فِيهِ فَيُقْبِلُ

فَإنْ كُنْتَ مَشْغُولاً بِشيءٍ فَلَا تَكُنْ
بِغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللهُ تَشْغَلُ

فَلَنْ يَصْحَبَ الإنْسَانُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ
وَمِنْ قَبْلِهِ إلَّا الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ

أَلَا إنَّمَا الإنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ
يُقِيمُ قَلِيلاً فِيهِمُ ثُمَّ يَرْحَلُ

انتهى .[2]

وقد نقله المجلسيّ في «روضة البحار» عن «أعلام الدين» للديلميّ

١ـ حسّان بن ثابت من أصحاب رسول الله ، وهو أديب وشاعر معروف ، قال رسول الله فيه : «يا حسّان ! ما تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك» وقد أنشد أشعاراً جميلة في غدير خُم وولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، لكنّه صار آخر عمره عثمانيّاً ومات عثمانيّاً .

٢ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ٣

بفارق أنّ منشد الأشعار كان شخصاً من الصحابة حاضراً في المجلس يدعى **الصلصال**.[1]

يقول ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم آخر عمره الشريف، فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ وَلَا أَمْرٌ يُؤْتِيهِ بِهِ خَيْراً أَوْ يَصْرِفُ عَنْهُ شَرّاً إِلَّا الْعَمَلُ، أَلَا لَا يَدَّعِيَنَّ مُدَّعٍ، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ مُتَمَنٍّ.

وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَا يُنْجِي إِلَّا عَمَلٌ مَعَ رَحْمَةٍ، وَلَوْ عَصَيْتُ لَهَوَيْتُ اللَهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟[2]

وينقل المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب «صفات الشيعة» للصدوق رحمه الله قال: لمّا فتح رسول الله صلّى الله عليه وآله مكّة قام على الصفا فقال: يا بني هاشم! يا بني عبد المطّلب!

إِنِّي رَسُولُ اللَهِ إِلَيْكُمْ وَإِنِّي لَشَفِيقٌ عَلَيْكُمْ؛ لَا تَقُولُوا: إِنَّ مُحَمَّداً مِنَّا؛ فَوَ اللَهِ مَا أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ إِلَّا الْمُتَّقُونَ.

فَلَا أَعْرِفُكُمْ تَأْتُونِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْمِلُونَ الدُّنْيَا عَلَى رِقَابِكُمْ، وَيَأْتِي النَّاسُ يَحْمِلُونَ الْآخِرَةَ.

أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَعْذَرْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَفِيمَا بَيْنَ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ.[3]

١ـ «بحار الأنوار» مجلّد الروضة، الطبعة الكمباني، ج ١٧، ص ٣٣؛ والطبعة الحروفيّة ج ٧٧، ص ١٧٦.

٢ـ «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٨٦٣.

٣ـ «بحار الأنوار» الطبعة الحروفيّة، ج ٢١، ص ١١١؛ وأورده في «روضة الكافي» ص ١٨٢ بزيادتين، الأولى قوله: إنّ محمّداً منّا «وسندخل مدخله»؛ والثانية قوله: ما أوليائي منكم ولا من غيركم «يا بني عبد المطّلب» إلّا المتقون.

وما أروع ما أنشد الصادق عليه السلام في وجوب اجتناب المعصية :

تَعْصِي الْإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا لَعَمْرِي فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ يُطِيعُ

والخلاصة فإنّ الجنّة البرزخيّة ليست جنّة الخُلد ، لأنّ هناك خلوداً في جنّة الخلد ، فمن دخلها لم يخرج منها ، كما مرّ قريباً عن جنّة آدم أنّها لو كانت جنّة الخُلد لماكان أُخرج منها .

وقد ورد في شأن جنّة عدن أنّها جنّة برزخيّة ، وذلك لأنّ أيّام سكنتها مقسّمة إلى بكرة وعشيّ ، بينما ليس هناك من صبح ولا ليل في جنّة القيامة :

جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا.[1]

وورود في «تفسير عليّ بن إبراهيم» :

قَالَ : ذَلِكَ فِي جَنَّاتِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْقِيَامَةِ ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : بُكْرَةً وَعَشِيّاً ، فَالْبُكْرَةُ وَالْعَشِيُّ لَا تَكُونُ فِي الْآخِرَةِ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْغَدَاةُ وَالْعَشِيُّ فِي جَنَّاتِ الدُّنْيَا الَّتِي تَنْتَقِلُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهَا وَتَطْلُعُ فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ .[2]

وورد في الأخبار المستفيضة أنّ أرواح المؤمنين في وادى السلام وأنّ أرواح الكفّار والمعاندين في برهوت[3] اليمن .

١ـ الآيتان ٦١ و ٦٢ ، من السورة ١٩ : مريم .

٢ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ص ٤١٢ .

٣ـ يقول ابن الأثير في «النهاية» : في حديث عليّ [عليه السلام] : «شَرُّ بئرٍ في الأرضِ بَرَهُوتٌ» هي بفتح الباء والراء بئر عميقة بحضرموت لا يُستطاع النزول إلى قعرها . ويقال بُرْهوت بضمّ الباء وسكون الراء ، فتكون تاؤها على الأوّل زائدة وعلى الثاني أصليّة .

وبرهوت اسم بئر يقع في أرض حضرموت جنوب اليمن ، وبطبيعة الحال فإنّ ذلك من باب تعلّق عالم البرزخ وارتباطه بعالم القبر .

أي أنّ تلك الصور البرزخيّة مرتبطة ومتعلّقة من الدنيا بتلك الأمكنة الأوضع والأحقر والأرذل والأكثر بعثاً على الملل ، والأكثر اكتظاظاً بالآفات فهناك في تلك البئر من الحيّات السوداء والعقارب والبوم والحيوانات الوحشيّة بالقدر الذي يعجز معه كلّ إنسان عن العبور ، فضلاً عن الحرارة اللاهبة التي لا يمكن الصبر عليها دقيقة واحدة .

يروي الكلينيّ في «الكافي» بسنده قال :

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

شَرُّ بِئرٍ في النَّارِ بَرَهُوتُ الَّذِي فِيهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ .[1]

كما يروي في «الكافي» بسنده عن قدّاح ، عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه :

شَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ بَرَهُوتٍ ، وَهُوَ الَّذِي بِحَضرمَوتَ يَرِدُهُ هَامُ الكُفَّارِ .[2]

ويروي كذلك في «الكافي» بسنده عن السكونيّ عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : **شَرُّ الْيَهُودِ يَهُودُ بَيْسَان ، وَشَرُّ النَّصَارَى نَصَارَى نَجْرَان ، وَخَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ بَرَهُوتٍ وَهُوَ وَادٍ بَحَضَرمَوْتَ تَرِدُ عَلَيْهِ هَامُ الْكُفَّارِ وَصَدَاهُمْ .**[3]

---

١ و ٢ـ «الكافي» الفروع ، الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٧ .

٣ـ المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٧ ؛ بيسان : بلدة بالشام ؛ ونجران : موضع معروف ⇐

وقال المجلسيّ نقلاً عن الجزريّ في «النهاية» :

الهامة : الرأس ، واسم طائر وهو المراد في الحديث ...

قيل : إنّ العرب كانت تزعم أنّ روح القتيل الذي لا يُدرك بثأره تصير هامة ، فتقول : اسقوني اسقوني ، فإذا أدرك بثأره طارت ، ... فنفاه الإسلام ونهاهم عنه .

ثمّ قال : والمراد بالهام والصدى في الخبر : أرواح الكفّار ، وإنّما عبّر عنها بهما لأنّهم كانوا هكذا يعبّرون عنها ، وإن كان ما زعموه في ذلك باطلاً .[1]

ويروي في «الكافي» بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال :

إنَّ مِنْ وَرَاءِ الْيَمَنِ وَادِياً يُقَالُ لَهُ وَادِي بَرَهُوتَ ، وَلَا يُجَاوِرُ ذَلِكَ الْوَادِي إِلَّا الْحَيَّاتُ السُّودُ وَالْبُومُ مِنْ الطَّيْرِ ؛ فِي ذَلِكَ الْوَادِي بِئْرٌ يُقَالُ لَهَا : بَلَهُوتٌ يُغدَى وَيُرَاحُ إِلَيْهَا بِأَرْوَاحِ الْمُشْرِكِينَ يُسْقَوْنَ مِنْ مَاءِ الصَّدِيدِ .[2]

ويروي الصفّار في «بصائر الدرجات» بسنده عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّ محمّد بن مسلم قال :

جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ (الباقر) عَلَيهِ السَّلَامُ فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ يَا أَعْرَابِيُّ ؟

قال : مِنَ الْأَحْقَافِ أَحْقَافِ عَادٍ . قَالَ : رَأَيْتُ وَادِياً مُظْلِماً فِيهِ الْهَامُ وَالْبُومُ لَا يُبْصَرُ قَعْرُهُ .

قَالَ : وَتَدْرِي مَا ذَاكَ الْوَادِي ؟

⇐ بين الحجاز ، والشام واليمن . (م)

١ و ٢ ـ «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٢٨٩ .

قَالَ : لَا وَاللَهِ ، مَا أَدْرِي .

قَالَ : ذَاكَ بَرَهُوتَ ، فِيهِ نَسَمَةُ كُلِّ كَافِرٍ .[1]

وورد في رواية أنّ أرواح المؤمنين تجتمع في ليالي الجمعة عند صخرة بيت المقدس .

ويذكر في «تفسير عليّ بن إبراهيم» ذيل الآية : فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ رواية مفصّلة عن حرب أمير المؤمنين عليه السلام مع معاوية واطّلاع ملك الروم على ذلك فيقول : ثمّ كَتَبَ (ملك الروم) إلى معاوية أن ابعثْ إلَيَّ أعلم أهل بيتك ، وكتبَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن ابعث إلَيَّ أعلم أهل بيتك ، فأسمع منهما ثمّ أنظر في الإنجيل كتابنا ثمّ أخبركما مَن أحقّ بهذا الأمر ... فبعث معاوية يزيد ابنه وبعث أمير المؤمنين الحسن ابنه عليهما السلام ... ثمّ يذكر القضيّة بالتفصيل وكان فيما سأل مَلِكُ الروم الإمامَ الحسن أن سأله عن أرواح المؤمنين أين تكون إذا ماتوا ؟ فقال عليه السلام :

تَجْتَمِعُ عِنْدَ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ، وَهُوَ عَرْشُ اللَهِ الْأَدْنَى مِنْهَا يَبْسُطُ اللَهُ الْأَرْضَ وَإلَيْهَا يَطْوِيهَا ، وَمِنْهَا الْمَحْشَرُ ، وَمِنْهَا اسْتَوَى رَبُّنَا إلَى السَّمَاءِ ، أيْ اسْتَوْلَى عَلَى السَّمَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ .

ثمّ سأله عن أرواح الكفّار أين تجتمع ؟ قال عليه السلام :

تَجْتَمِعُ فِي وَادِي حَضْرَمَوتَ ، وَرَاءَ مَدِينَةِ الْيَمَنِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَهُ نَاراً مِنَ الْمَشْرِقِ وَنَاراً مِنَ الْمَغْرِبِ وَيُتْبِعُهُمَا بِرِيحَيْنِ شَدِيدَيْنِ فَيُحْشَرُ النَّاسُ .[2]

وروى الشيخ المفيد في «الاختصاص» بسنده عن الحسن بن عليّ بن

١ـ «بصائر الدرجات» ص ١٤٨ .

٢ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ص ٥٩٥ إلى ٥٩٩ ، الطبعة الحجريّة .

بقّاح ، عن ابن جبلّة ، عن عبد الله بن سنان ، قال :

سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الحوض ، فقال لي : حوضٌ ما بين بُصرى إلى صَنعاء ، أتحبّ أن تراه ؟

قلتُ : نعم ، جُعِلتُ فِداكَ !

قال : فأخذَ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة ، ثمّ ضرب برجله فنظرتُ إلى نهر يجري لا تُدرك حافّته إلّا الموضع الذي أنا فيه قائم ، فإنّه شبيه بالجزيرة ، فكنت أنا وهو وقوفاً ، فنظرت إلى نهر يجري من جانبه هذا ماء أبيض من الثلج ، ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج ، وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت ، فما رأيت شيئاً أحسن من تلك الخمر بين اللبن والماء . فقلت له : جُعِلْتُ فِداكَ ، من أين يخرج هذا ؟ ومن أين مجراه ؟

فقال : هذه العيون التي ذكرها اللهُ في كتابه أنهار في الجنّة ، عين من ماء ، وعين من لبن ، وعين من خمر تجري في هذا النهر .

ورأيت حافّتيه عليهما شجر فيهن حور مُعلّقات برؤوسهن شعر ما رأيتُ شيئاً أحسن منهنّ وبأيديهنّ آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا ، فدنا من إحداهنَّ فأومأ إليها بيده لتسقيه ، فنظرت إليها وقد مالَتْ لتغرفَ فمالت الشجرة معها ، ثمّ اغترفتْ فناولَتْهُ فناولني فشربتُ فما رأيت شراباً كان أليَنَ منه ولا ألذَّ منه . وكانت رائحته رائحة المسك ، فنظرت في الكأس فإذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب ،

فقلت له : جُعِلْتُ فِداكَ ، ما رأيتُ كاليوم قطّ ، ولا كنتُ أرى أنّ الأمر هكذا .

فقال لي : هذا أقلُّ ما أعدّه اللهُ لشيعتنا ، إنّ المؤمنَ إذا تُوفّي صارت روحُه إلى هذا النهرِ ورَعَتْ في رياضِهِ وشربتْ من شرابِهِ ، وإنّ عدوّنا إذا توفّي صارت روحُه إلى وادي بَرَهوت فأُخلدتْ في عذابِهِ ، وأُطعمتْ من

زقّومِهِ ، وأُسقيتْ من حَميمِهِ ، فاستعيذوا باللهِ من ذلك الوادي .[1]

وقد ذكر محمّد بن الحسن بن الصفّار هذه الرواية في «بصائر الدرجات» مع بعض الإضافات ؛[2] كما نقلها المرحوم المجلسيّ في «البحار» باب جنّة الدنيا ونارها ، كتاب «العدل والمعاد» نقلاً عن «الاختصاص» و«البصائر» .[3]

وحقّاً فإنّ وادي برهوت هذا قليل في حقّ أعداء آل محمّد الذين هم في صدد إطفاء نور الحقيقة ، وفي صدد إلحاق الأذى بهم بكلّ قواهم .

ولقد كان الأشعث بن قيس ، أحد أعداء أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً شرّيراً يتحرّى الشرّ ويسعى له ، وكان أحد زعماء الكوفة ، وكان قائداً مغواراً مقتدراً له قوم وعشيرة ، وينتمي إلى قبيلة بني كندة .

وكان قد تزوّج أُمّ فروة ،[4] أُخت أبي بكر وكانت عمياء ، فاستغلّ مصاهرته لأبي بكر في تعزيز كيانه وشخصيّته .

وكان من أهل الفتنة والشرّ إلى الحدّ الذي كان أبو بكر يأسف ويندم لعدم قتله وضرب عنقه حين جيء به أسيراً إليه .

ورد في «مروج الذهب» أنّ ذلك كان أحد الأُمور الثلاثة التي كان أبو بكر يتأسّف عليها عند احتضاره ؛ قال :

١ـ «الاختصاص» ص ٣٢١ و ٣٢٢ .

٢ـ «بصائر الدرجات» ص ١٢٩ و ١٣٠ .

٣ـ «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٢٨٧ .

٤ـ ورد في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، الدورة ذات ٢٠ مجلّداً ، ج ١ ، ص ٢٩٦ أنّ أُمّ فروة كانت عمياء ؛ إلّا أنّه ورد في «أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢٦٨ أنّ أُمّ فروة كانت عوراء . ويقول في «تنقيح المقال» ج ١ ، ص ١٤٩ : كما أنّ ما في بعض النسخ من إبدال «وكانت عوراء» بـ«عذراء» غلط ، كما نبّه على ذلك ابن داود صاحب «الرجال» .

وَالثَّلَاثُ الَّتِي تَرَكْتُهَا وَوَدَدْتُ أَنِّي فَعَلْتُهَا : وَدَدْتُ أَنِّي يَوْمَ أُتِيتُ بِالْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ أَسيراً ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ خُيِّلَ لِي أَنَّهُ لَا يَرَى شَرّاً إِلَّا أَعَانَهُ.[1]

وكان هذا الرجل قد صمّم على مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام علناً ، وكان الإمام قد لجأ إلى تعيينه في حرب صفّين رئيساً لبني كندة بناءً على النفوذ والسلطة اللذين كانا له في الكوفة ، فجعله ضمن رؤساء عسكر صفّين في جيش من عشرة آلاف نفر من كندة ، فأحرز بادئ الأمر بعض الانتصارات ، منها أنّه استعاد مع مالك الأشتر شريعة الماء التي كان معاوية قد منعهم منها . ولكن ، وما إن أشرف جيش الإمام على الفتح والظفر ، وما إن لجأ معاوية إلى الحيلة والمكر فرفع المصاحف على أسنّة الرماح مُلقياً بذلك التفرقة والتشتّت بين جيش الإمام ، حتّى كان الأشعث بن قيس من بين الأفراد الذين جاءوا إلى أمير المؤمنين طالبين منه الكفّ عن القتال .

فلقد جاء الأشعث مع عشرة آلاف من الجيش بسيوف مُشهرة مسلولة فقالوا : يا عليّ ! أمّا أن تكفّ عن الحرب فوراً ، وإلّا قطّعناك بسيوفنا هذه إرباً إرباً .

قال عليه السلام : أمهلوني ساعة ، فلقد أشرف جيشنا عى خيمة معاوية ولم يبقَ بيننا وبين النصر الحاسم إلّا ساعة ، ولقد وصل مالك الأشتر وقيس بن سعد بن عبادة ، كلّاً منهما مع عشرة آلاف مقاتل بالسيف إلى خيمة معاوية ، وها هو الأمر على وشك الحسم النهائيّ .

قالوا : لا مفرّ من ذلك أبداً ، فادعُ الأشتر واستقدمه إليك وقُلْ له أن يكفّ عن الحرب وإلّا قطّعناك إرباً إربا .

---

١ ـ «مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

وهكذا أحاط أُولئك الآلاف العشرة بأمير المؤمنين وتحلّقوا حوله بسيوفهم المشهرة ، فأرسل الإمام إلى مالك وقيس أن : عودا فوراً !

فقالا ، يا عليّ ! أمهلنا ساعة فقد وصلنا إلى خيمة معاوية .

فأرسل إليهما : أفتريدان عليّاً حيّاً في هذه الساعة أم لا ؟

هكذا كان الأشعث بالنسبة للإمام ، رجلاً ساعياً للفتنة ، متحيّناً للفرص ، عدوّاً لدوداً .

أمّا ولده محمّد بن الأشعث ، وأُمّه أُمّ فروة العمياء بنت أبي بكر ، فقد كان مأموراً بالمسير إلى كربلاء في أربعة آلاف فارس لمحاربة الإمام سيّد الشهداء عليه السلام .

وأمّا ابنته جُعْدَة فهي التي سمّت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بسمّ الحقد والعداوة .

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ.[1]

ولقد كان لأمير المؤمنين عليه السلام حكومة عجيبة ، اقترنت فيها تلك القدرة والعظمة باللين والرفق والعدالة المميّزة ، فكان عليه السلام يتغاضى عن جميع الجرائم التي كانت ترتكب بحقّه ، وكان يتجاهل مصالحه الشخصيّة ولا يقيم لها وزناً أمام مصالح النوع وحقوق الناس ، وكان يُعرض عن المقاصد السيّئة والإهانات ويغضّ عنها طرفه .

لذا فإنّنا نرى أفراداً كمثل أحمد أمين المصريّ وابن عبد ربّه في «العقد الفريد» يقولان : إنّ حكومة أمير المؤمنين كانت أشبه بالنبوّة منها بالحكومة ، كما أشبه الأشخاص الذين ربّاهم حواريّي عيسى ابن مريم

١ـ الآية ٢٦ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

عليه السلام ، ومن ثمّ فإنّ ذلك لم يكن أسلوباً للحكم ، وعلى أساس هذا الصدق والعدالة فقدكانت الغلبة لمعاوية في حرب صفّين .

بلى ! يجب أن يقال لهذين ولأمثالهما ممّن يعدّون الحكومة سياسة مقارنة للمكر والخداع والكذب ، ممّن لا يتورّعون عن ارتكاب أيّ جناية للوصول إليها : إنّ الحكومة الإلهيّة الحقّة هي حكومة الحقّ، وليس الهدف منها التسلّط على أعراض الناس وأموالهم ونفوسهم ، وليس القصد منها التظاهر والصراع في ساحة الأماني وعبادة الفرد ؛ بل الهدف منها غرس براعم العدالة وإرساؤها في قلوب الناس ، وإحقاق الحقوق ، وبالطبع فإنّ مثل هذه الحكومة الإلهيّة ينبغي أن تحصل على يد أمير المؤمنين ومن تربّوا وترعرعوا في مدرسته .

ولقد جاء الأنبياء ليقيموا حكومة الحقّ ، وليقطعوا يد الشيطان وأعوانه ، فيكفّوهم عن أرواح الناس وأموالهم ونواميسهم ، وليطووا بساط عبادة الشخصيّة والاستبداد ، وليُخرجوا الناس من تحت نير تسلّط المستبدّين القساة الأفظاظ الذي يرزحون تحته ، ولينالوا حقوقهم الحقّة البديهيّة وليتمتّعوا بأفضل المواهب الإلهيّة في عالمٍ من السلام والصفاء والاستقرار .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ .[1]

وقد روي في «أمالي الصدوق» بسنده المتّصل عن قرن أبي سليمان الضبّيّ قال : أرسل عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى **لُبَيْد العَطَارُديّ** بعض شرطه ، فمرّوا به على مسجد سمّاك ، فقام إليه **نعيم بن دجاجة**

---

١ ـ الآية ٢٥ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

الأسديّ فحال بينهم وبينه ، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام إلى لبيد فجيء به ، قال : فرفع أمير المؤمنين شيئاً ليضربه ، فقال نعيم :

وَاللَّهِ ، إِنَّ صُحْبَتَكَ لَذُلٌّ وَإِنَّ خِلَافَكَ لَكُفْرٌ !

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَتَعْلَمُ ذَلِكَ ؟

قَالَ : نَعَمْ !

قَالَ : خَلُّوهُ ![1]

يقول المجلسيّ : رأيت في بعض مؤلّفات أصحابنا : روي أنّه دخل أبو أمامة الباهليّ على معاوية ، فقرّبه وأدناه ، ثمّ دعا بالطعام فجعل يُطعم أبا أمامة بيده ، ثمّ أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده ، وأمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه ، ثمّ قال : يا أبا أمامة بالله أنا خيرٌ أم عليّ بن أبي طالب ؟

فقال أبو أمامة : نعم ولا كذب ، ولو بغير الله سألتني لَصَدَقْتُ ، عليٌّ والله خيرٌ منك وأكرمُ وأقدمُ إسلاماً ، وأقربُ إلى رسول الله قرابةً ، وأشدُّ في المشركين نِكايَةً ، وأعظمُ عند الأُمّةِ غناءً . أتدري مَن عليّ يا معاوية ؟ ابنُ عمِّ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وزوجُ ابنتِهِ سيّدةِ نساءِ العالمين ، وأبو الحسنِ والحسينِ سيّدي شبابِ أهلِ الجنّةِ ، وابنُ أخي حمزةَ سيّدِ الشهداءِ وأخو جعفرٍ ذي الجناحينِ ؛ فأين تقع أنتَ من هذا يا معاوية ؟ أظننتَ أنّي سأخيّرك على عليّ بألطافكَ وطعامكَ وعطائكَ فأدخُلُ إليك مؤمناً وأخرجُ منك كافراً ؟ بِئسَ ما سَوَّلَتْ لكَ نَفْسُك يا معاوية . ثمّ نهض وخرجَ من عنده فأتبعه بالمالِ فقال : لَا واللهِ لا أقبل منك ديناراً واحداً .[2]

١ـ «أمالي الصدوق» ص ٢١٩ .

٢ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، ج ٩ ، ص ٦٤٣ ؛ والطبعة الحروفيّة ، ج ٤٢ ، ص ١٧٩ و ١٨٠ .

يقول ابن أبي الحديد : وكان الأشعث بن قيس من المنافقين في خلافة عليّ عليه السلام وهو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول في أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله كلّ واحد منهما رأس النفاق في زمانه.[1]

ويروي ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» عن يحيى البرمكيّ عن الأعمش أنّ جريراً (البجليّ) والأشعث خرجا إلى جبّانة الكوفة ، فمرّ بهما ضبّ يعدو وهما في ذمّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، فناديا :

يَا أَبَا حَسَل [يا أمير المؤمنين] هَلُمَّ يَدَكَ نبايعك بالخلافة !

فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما فقال : إنّهما يُحشران يوم القيامة وإمامُهُمَا الضبُّ.[2 و 3]

وعن «الخرائج والجرائح» أنّ الأشعث بن قيس استأذن على عليّ عليه السلام فردّه قنبر فأدمى أنفه ، فخرج عليّ عليه السلام فقال : **مَا لِي وَلَكَ يَا أَشْعَثُ ؟**[4 و 5]

١ـ «شرح نهج البلاغة» ابن أبي الحديد ، الدورة ذات ٢٠ مجلّد ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

٢ـ «تنقيح المقال» ج ١ ، ص ١٤٩ ؛ و«أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢٦٨ ، الطبعة التانية .

٣ـ أورد العيّاشيّ هذه القصّة في تفسيره ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، وجاء في آخرها :

فقال عليّ عليه السلام : دعهما فهو إمامهما يوم القيامة . أما تسمع إلى الله وهو يقول : نولّه ما تولّى ؟

وهذه الآية هي الآية ١١٥ من سورة النساء وتمامها :

وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا .

٤ـ «تنقيح المقال» ج ١ ، ص ١٤٩ ؛ و«أعيان الشيعة» ج ١٢ ، ص ٢٦٨ ، الطبعة الثانية .

٥ـ أورد أبو الفرج في «مقاتل الطالبيّين» ص ٣٤ : جاء الأشعث إلى عليّ يستأذن عليه فردّه قنبر ، فأدمى الأشعث ، فخرج عليّ وهو يقول : ما لي ولك يا أشعث أمام الله ؟ لو ⇐

ويقول ابن أبي الحديد : قال أبو جعفر محمّد بن جرير في التاريخ :
وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَلْعَنُونَ الأشْعَثَ وَيَلْعَنُهُ الْكَافِرُونَ أَيْضاً وَسَبَايَا قَوْمِهِ، وَسَمَّاهُ نِسَاءُ قَوْمِهِ عُرْفَ النَّارِ وَهُوَ اسمٌ لِلْغَادِرِ عِنْدَهُمْ .[1]

وكان أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شيء (عن التحكيم) اعترضه الأشعث ، فقال : يا أمير المؤمنين **هَذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ !**

فخفض عليه السلام إليه بصره ، ثمّ قال :

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ !
حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ ، مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ ، وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالإسْلَامُ أُخْرَى ، فَمَا فِدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ . وَإِنَّ امْرءًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الأَقْرَبُ وَلَا يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ .[2]

هذه عدالة عليّ وشجاعته وفتوّته ومروءته ، حين يغضّ طرفه عن هذه الإهانة ويعفو عنها تكرّماً ، وهذه هي الولاية الحقّة وطهارة النفس التي كان أمثال الأشعث يسيئون استغلالها ، فكان علمهم بحلم عليّ وبتغاضيه عن جساراتهم يجرّؤهم عليه .

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ !

هنا يخرس اللسان عن مدحك والثناء عليك ، ويقصر الفكر والعقل

⇐ بعبد ثقيفٍ تمرّستَ لاقشعرّتْ شعيراتك ! قيل : يا أمير المؤمنين ، ومَن غلام ثقيف ؟
قال : غلامٌ يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلّا أدخلهم ذلّاً . قيل : يا أمير المؤمنين ، كم يلي ؟ وكم يمكث ؟ قال : عشرين إن بلغها .

١ـ «شرح نهج البلاغة» الدورة ذات ٢٠ مجلّداً ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

٢ـ «نهج البلاغة» ج ١ ، باب الخطب ، طبعة محمّد عبده ـ مصر ، ص ٥٦ .

عن نيل أُسس معاني معاليك ، ويتشظّى القلم عن شرحها وبيانها ، فلا يبدو في نظره إلّا إظهار العجز والخذلان أمام عظمتك وبهائك وجلالك الروحيّ كما ذكر الفاضل الشاعر والأديب الماهر عبد العزيز ابن السرايا المشهور بصفيّ الدين الحلّيّ ، وهو من التلامذة المبرّزين لمولانا المحقّق الحلّيّ أعلى الله تعالى مقامهما الشريف ، فأبان عنه في أبياته :

جُمِعَتْ فِي صِفَاتِكَ الْأَضْدَادُ فَلِهَذَا عَزَّتْ لَكَ الْأَنْدَادُ

زَاهِدٌ حَاكِمٌ حَلِيمٌ شُجَاعٌ فَاتِكٌ نَاسِكٌ فَقِيرٌ جَوَادُ

شِيَمٌ مَا جُمِعْنَ فِي بَشَرٍ قَطُّ وَلَا حَازَ مِثْلَهُنَّ الْعِبَادُ

خُلُقٌ يُخْجِلُ النَّسِيمَ مِنَ اللُّطْفِ وَبَأْسٌ يَذُوبُ مِنْهُ الْجَمَادُ

ظَهَرَتْ مِنْكَ لِلْوَرَى مُكْرَمَاتٌ فَأَقَرَّتْ بِفَضْلِكَ الْحُسَّادُ

إِنْ تُكَذِّبْ بِهَا عِدَاكَ فَقَدْ كَذَّبَ مِنْ قَبْلُ قَوْمُ لُوطٍ وَعَادُ

جَلَّ مَعْنَاكَ أَنْ يُحِيطَ بِكَ الشِّعْرُ وَيُحْصِي صِفَاتِهِ النُّقَّادُ[1]

هنا تتجلّى مظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام ، أفهذا القدر من العفو والتغاضي مع غاية الاقتدار والقوّة ؟ أو هذا القدر من الاحتمال والصبر مع امتلاك جميع الإمكانات والوسائل ؟

سُبحانَ الله ! لقد جاء الأشعث إلى باب بيت أمير المؤمنين فمنعه قنبر ؛ أفمن الواجبات استقبال امرئٍ ما في بيت شخصيّ ، فضلاً عن حصول ذلك دون استئذان وعلم سابق ؟ أو ليس لأمير المؤمنين حقّ في الراحة ؟

ومن هنا يتّضح أنّ ذهاب الأشعث مع هذه السابقة السيّئة وهذا الملفّ المشحون بالجرائم لم يكن إلّا لطلب أمر غير مشروع من أمير المؤمنين .

ثمّ إنّ أمير المؤمنين هو رئيس الكيان الإسلاميّ وحاكمه ، فبأيّ

١ـ «مجالس المؤمنين» ، ص ٤٩٣ ؛ «بحار الأنوار» ج ١ ، ص ٤٣٧ .

مجوّز تنهال بقبضتك على وجه وأنف غلامه وحارس بيته وصاحب إذنه وحاجبه فتدمي أنفه ؟!

فانظروا ماذا قال أمير المؤمنين عليه السلام حين علم بالأمر :

مَا لِي وَلَكَ يَا أَشْعَثُ ؟

يحقّ لعرش الله هنا أن يهتزّ ، ولغضب الله أن ينصبّ بكل نقمة على هذه الجماعة المستكبرة المغرورة المعتدية ، وأن يركسهم في الذلّ والهوان ويعدّ لهم في الآخرة تلك النيران الموعودة .

جاء في «الخرائج» أنّ أمير المؤمنين حين خرج وشاهد أنف قنبر مدمى قال :

مَا ذاكَ يا أَشْعَث ! أَما واللهِ لَوْ بِعَبْدِ ثَقِيفٍ مَرَرْتَ لَاقْشَعَرَّتْ شُعَيْرَاتُ أُسْتِكَ . قَالَ : مَنْ غُلَامُ ثَقِيفٍ ؟ قَالَ : غُلَامٌ يَلِيهِمْ ، لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ الذُّلَّ . قَالَ : كَمْ يَلِي ؟ قَالَ : عِشْرِينَ إِنْ بَلَغَهَا . قَالَ الرَّاوِي : وَلِيَ الْحَجَّاجُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ.[١]

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.[٢ و ٣]

ولقد كان الأشعث بن قيس حقّاً من الأعداء الذين لازموا أمير المؤمنين وسبّبوا له الأذى . وكان أمير المؤمنين يئنّ ويضجّ من أمثال

١ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، ج ٨ ، ص ٧٣٣ عن «الخرائج» .

٢ـ الآية ٣١ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .

٣ـ جاء نظير هذه الآية في سورة الأنعام ، الآيتين ١١٢ و ١١٣ : وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ .

هؤلاء : اللهمّ أرحني منهم وأرحهم منّي !

ثمّ إنّ الله تعالى سلّط الحجّاج على الكوفة بعد أمير المؤمنين عليه السلام ، فقتل من هؤلاء الشيعة سبعين ألفاً ، وفي الروايات مائة وعشرين ألفاً ، لم يرحم امرأة ولا رجلاً ولا عجوزاً ولا شاباً ، في جنايات لم يسبق أن شهد التأريخ أمثالها .

وأساساً فقدكانت إحدى الجهات التي خالف الرؤساء المعروفون في ذلك الوقت أمير المؤمنين فيها أمر التسوية في العطاء ، فقدكان السياسيّون والزعماء العرب يسيرون على أساس سُنّة عمر ، فلا يقسّمون بيت المال بالسواسية بين جميع طبقات الناس ، بل كانوا يقسّمونه على أساس اختلاف الطبقات فيفرّقون بين عطاء المسلمين العرب عن غير العرب ، ويفضّلون العرب في العطاء على غيرهم . وكان عثمان ومعاوية وجميع الولاة الذين كانوا يعيّنونهم يسيرون على هذه السيرة وينهجون هذا النهج .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحارب بشدّة هذه السنّة التي ليست في حقيقة الأمر إلّا بدعة ذميمة مستهجنة ، فكان عليه السلام يقسّم من بيت المال ، ومنذ اليوم الأوّل لخلافته ، بالسواسية للعربيّ والإيرانيّ والروميّ والإفريقيّ ، كماكان يساوي بينهم في الزواج وفي سائر الحقوق الأُخرى ويقول : هذه هي سنة الإسلام ، وهذا هو أمر القرآن الكريم ، وهذا هو أمر النبيّ الأكرم قولاً وعملاً ، وإنّ التفرقة والتمييز بين العناصر والطبقات ، التي كان الخلفاء السابقون ينتهجونها ، فيعيّنون على أساس ميزانها الحكومة والرياسة وإمامة الجماعة والقضاء وقيادة الجند والجيش وأُمور النكاح والتصرّف ببيت المال وتقسيم وتسهيم الأعمال الصعبة والمشكلة ، أمر خاطئ لا ينسجم أبداً وبأيّ وجه مع أُسلوب الإسلام وسيرته . ولم يكن الحكّام ورؤساء الجماعات الذين كانوا يسيئون استغلال بيت مال المسلمين

بواسطة العطاء الكثير والمزايا الخاصّة ، والذين اعتادوا الحياة المرفّهة المجلّلة ، مستعدّين للنزول عن ذلك المستوى إلى مستوى عاديّ يساوون فيه عامّة الناس ، ولا لكفّ أيديهم عن الإسراف في بيت المال .

ولقد كانوا يعلمون منذ البدء بسيرة أمير المؤمنين ، ثمّ إنّه عليه السلام ساوى بين الناس عملاً في العطاء ، فجعل الموالي والأعاجم من المسلمين غير العرب شركاء للمسلمين العرب في جميع الحقوق بلا استثناء ، فقرّروا عند ذلك الشروع بمخالفة الإمام ، وارتفعت بذلك رايات حرب الجمل وصفّين في وجهه عليه السلام .

يروي الكلينيّ في «الكافي» بسنده المتّصل عن محمّد بن مسلم ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال :

لَمَّا وَلِّيَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ صَعَدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إنِّي وَاللَهِ لاَ أَرْزَؤُكُمْ مِنْ فَيْئِكُمْ دِرْهَماً ، مَا قَامَ لِي عِذْقٌ بِيَثْرِبَ . فَلْيَصْدُقْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ! أفَتَرَوْنِي مَانِعاً نَفْسِي وَمُعْطِيكُمْ ؟[1]

قَالَ : فَقَامَ إلَيهِ عَقِيلٌ كَرَّمَ اللَهُ وَجْهَهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللَهِ ، لَتَجْعَلَنِي وَأَسْوَدَ بِالْمَدِينَةِ سَوَاءً .

فَقَالَ : اجْلِسْ ! أَمَا كَانَ هَا هُنَا أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ غَيْرُكَ ؟ وَمَا فَضْلُكَ عَلَيْهِ إلَّا بِسَابِقَةٍ أَوْ بِتَقْوَى .[2]

وروى في «الكافي» بسنده المتّصل عن محمّد بن جعفر العقبى مرفوعاً ، قال : **خَطَبَ أميرُ المؤمِنينَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَحَمِدَ اللَهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،**

١ـ أي : أترون أنتني لا آخذ أكثر من حقّي ، ثمّ أجيء فأعطي شخصاً آخر أكثر من حقّه ؟!

٢ـ «روضة الكافي» ص ١٨٢ .

ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ آدَمَ لَمْ يَلِدْ عَبْداً وَلَا أَمَةً، وَإِنَّ النَّاسَ كُلُّهُمْ أَحْرَارٌ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ خَوَّلَ بَعْضَكُمْ بَعْضاً.

فَمَنْ كَانَ لَهُ بَلَاءٌ فَصَبَرَ فِي الْخَيْرِ؛ فَلَا يَمُنُّ بِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.[1]

أَلَا وَقَدْ حَضَرَ شَيْءٌ، وَنَحْنُ مُسَوُّونَ فِيهِ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ.

فَقَالَ مَرْوَانُ لِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ: مَا أَرَادَ بِهَذَا غَيْرَكُمَا.

قَالَ: فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ، وَأَعْطَى رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ، وَجَاءَ بَعْدُ غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ.

فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَذَا غُلَامٌ أَعْتَقْتُهُ بِالْأَمْسِ، تَجْعَلُنِي وَإِيَّاهُ سَوَاءً؟

فَقَالَ: إِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَمْ أَجِدْ لِوُلْدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَى وُلْدِ إِسْحَاقَ فَضْلاً.[2]

ويروي في «الكافي» بسنده المتّصل عن الفضل بن أبي مرّة، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

أتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يُعطينا معهم العطايا بالسويّة وزوّج سلمان وبلال وصهيب، وأبوا علينا هؤلاء وقالوا: لا نفعل. فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلّمهم فيهم، فصاح الأعاريب: أبينا ذلك يا أبا الحسن، أبينا ذلك، فخرج وهو مغضب يجرّ رداءه وهو يقول: يا معشر الموالي، إنّ هؤلاء قد صيّروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوّجون إليكم ولا يزوّجونكم ولا يُعطونكم مثل ما يأخذون، فاتّجروا بارك الله لكم

١ـ أي ليعدّ نفسه بهذه الوسيلة مستحقاً أكثر من غيره من بيت مال المسلمين.

٢ـ «روضة الكافي» ص ٦٩.

فإنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: الرزق عشرة أجزاء تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيرها.[1]

وعلى هذا الأساس فإنّ الأشعث بن قيس الذي كان أحد الرؤساء والقادة، والذي كان عثمان بن عفّان يعطيه من خراج أذربيجان كلّ سنة مائة ألف درهم،[2] لم يكن مستعداً أن يصبح تحت حكومة أمير المؤمنين على حدّ سواء مع سائر أفراد المسلمين في الحقوق والمزايا، لذا فقد كان يعترض ويُثير المشاكل والمعوّقات.

يروي إبراهيم بن محمّد الثقفيّ الكوفيّ في كتاب «الغارات»، عن عبّاد بن عبد الله الأسديّ، قال:

كُنْتُ جَالِساً يَوْمَ الجُمْعَةِ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْطِبُ عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ آجُرٍ، وابْنُ صَوْحَانَ جَالِسٌ، فَجَاءَ الْأَشْعَثُ فَجَعَلَ يَتَخطَّى النَّاسَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! غَلَبَتْنَا هَذِهِ الحَمْرَاءُ عَلَى وَجْهِكَ.

فَغَضِبَ، فَقَالَ ابْنُ صَوْحَان: لَيُبَيِّنَنَّ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الْعَرَبِ مَا كَانَ يَخْفَى. فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ هَؤُلاءِ الضَّيَاطِرَةِ، يُقِيْلُ أَحَدُهُمْ يَتَقَلَّبُ عَلَى حَشَايَاهُ وَيُهَجِّرَ قَوْمٌ لِذِكْرِ اللهِ ؟ فَيَأْمُرُنِي أَنْ أَطْرُدَهُمْ فَأَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ؟

وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: لَيَضْرِبُنَّكُمْ[3] وَاللهِ عَلَى الدِّينِ عَوْداً كَمَا ضَرَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بَدْءاً.

قَالَ مُغِيرَةُ: كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْيَلَ إلَى الْمَوَالِي وَأَلْطَفَ بِهِمْ،

١ـ «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني، ج ٩، ٦٣٨.

٢ـ «الغارات» ج ١، ص ٣٦٥.

٣ـ الضمير في الفعل عائد إلى المسلمين من غير العرب.

وَكَانَ عُمَرُ أَشَدَّ تَبَاعُداً مِنْهُمْ .[1]

هذا وقد ذكر الجزريّ هذا الحديث في «النهاية» وقال :

المراد بالحمراء ، الأعاجم من الفُرس والروم ، والعرب تسمّي الموالي الحمراء والضَّيَاطِرَة **هُمُ الضِّخَامُ الَّذِينَ لَاغِنَاءَ عِنْدَهُمْ** ، الواحد ضيطار والياء زائدة ، على حشاياه : أي على فراشه ، واحدها حشيّة بالتشديد . انتهى .[2]

وكذلك أورده المبرّد في «الكامل» ، ونقل قول أمير المؤمنين بهذه الكيفيّة : **مَنْ يَعْذُرُنِي**[3] **مِن هَذِهِ الضَّيَاطِرَةِ يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ عَلَى فِرَاشِهِ تَمَرُّغَ الْحِمَارِ ؟**[4]

وذكره المجلسيّ في «بحار الأنوار» مع بيان مختصر في شرحه .[5]

لقد كان الأشعث بن قيس ، بصفته من الرؤساء والقادة ، يتصوّر أنّ بيت المال وقد صار في الكوفة تُجبى إليه الأموال من كلّ حدب وصوب ، فإنّ على أمير المؤمنين أن يفتح أبوابه أمامه مُشرعة ليغترف منها ما يشاء وليتصرّف فيها بما يحلو له .

١ـ «الغارات» ج ٢ ، ص ٤٩٨ و ٤٩٩ .

٢ـ «النهاية» مادة (ضطر) : ج ٣ ، ص ٨٧ ؛ ومادّة (حشا) : ج ١ ، ص ٣٩٣ ؛ ومادّة (حمر) : ج ١ ، ص ٤٣٨ .

٣ـ وقال الجزريّ أيضاً في «النهاية» ج ٣ ، ص ١٩٧ في معنى (يعذرني) : فاستعذر رسول الله من عبد الله بن أُبيّ ، فقال وهو على المنبر : من يعذرني من رجل قد بلغني عنه كذا وكذا ؟ فقال سعد : أنا أعذرك منه ؛ أي من يقوم بعذري إن كان كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني ؛ ومنه حديث أبي الدرداء : من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله ، وهو يخبرني عن رأيه ؟ ومنه حديث عليّ : من يعذرني من هؤلاء الضياطرة ؟

٤ـ «الغارات» ج ٢ ، هامش ص ٨٢٩ .

٥ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٧٣٣ و ٧٣٤ ، الطبعة الكمباني .

وأنّى لأمير المؤمنين الذي أحمى لأخيه عقيل الحديدة مراراً حين جاءه يسأله صاعاً من بُرّ لعائلته الكبيرة وأضيافه، لئلّا يسأله بعدُ زيادةً عن نصيبه من بيت المال، أنّى له أن يُفسح مجال الاعتداء والتجاوز لأمثال هؤلاء الضياطرة والظلمة المعتدين!

ولقد جاء الأشعث بن قيس إلى الإمام مرّةً فسأله مالاً فردّه عليه السلام، فعرّض له أنّه سيفتك به، فقال عليه السلام:

أَبِالْمَوْتِ تُهَدِّدُنِي! فَوَ اللهِ، مَا أُبَالِي وَقَعْتُ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ الْمَوْتُ وَقَعَ عَلَيَّ.[١]

وخلاصة الأمر، وباعتبار أنّ هذه الأيّام أيّام شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد رأينا أنّ من المناسب أن نتحدّث عن محن ذلك الإمام مع منافقي الأُمّة الذين كان كلٌّ منهم يرى لنفسه وزناً ومقاماً وشخصيّة.

وبالرغم من أنّنا قد ابتعدنا قليلاً عن البحث المباشر للمعاد، ولكن بالتأمّل في عفو أمير المؤمنين وتغاضيه كرماً وجلالاً، وفي دناءة ورذالة وضِعة هؤلاء الأفراد النفعيّين من دعاة الجاه والشهرة، الذين لم يكونوا ليقفوا لوحدهم في وجه حكومة الإمام العادلة، بل كانوا يستتبعون وراءهم جماعة فيدفعونهم إلى التفرقة والنفاق وإلى إيجاد العراقيل في طريق تلك الحكومة العادلة، حيث يظهر أمثال هذا الصنف وهذه الروحيّات بشكلٍ ما في كلّ زمان ومكان، وحيث يُلاحظ هذا النحو من التعديّات حسب المقتضيات والشرائط المختلفة، بالتأمّل في ذلك كلّه فإنّنا سنلتفت إلى أنّ علينا، نحن الذين ندّعي التشيّع الصادق الحقيقيّ، أن نكون يقظين لئلّا تبدر منّا مثل هذه الأفكار لا سامح الله، ولئلّا تجرفنا الدسائس في مسير

١- «مقاتل الطالبيّين» ص ٣٤.

النوايا النفسانيّة والأهواء العمياء المضلّة، ولكي لا نواجه حقيقة ولايته عليه السلام أو نقف منها موقف الخصومة. ذلك لأنّ كلّ روح يقظة واعية حين ترى جهنّم وهي تتلظّى وتتأجّج جزاءً لأمثال هؤلاء الجناة المجرمين، فإنّها ستهدأ وتسكت وتخلد إلى السكون، كما أنّها لن تجد أمام النداء الإلهيّ:

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ.[1]

ونداء:

أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.[2]

إلّا ميزان العدل والقسط.

ولقد ساعد الأشعث بن قيس ابن ملجم في قتل أمير المؤمنين عليه السلام وساهم في استشهاده. يروي الكلينيّ في «الكافي» بسنده عن سليمان كاتب عليّ بن يقطين، عن رجل آخر، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ومحمّد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام.[3]

ولقد ظلّ الأشعث يقظاً طوال ليلة التاسع عشر من شهر رمضان لسنة أربعين للهجرة في مسجد الكوفة. يقول حجر بن عديّ: رأيتُ الأشعث بن قيس قرب أذان الصبح وهو يلتفت إلى ابن ملجم ويقول له: **يَا ابْنَ مُلْجَمْ، النَّجَاءَ النَّجَاءَ لِحَاجَتِكَ فَقَدْ فَضَحَكَ الصُّبْحُ**.

قال: فارتعدتُ لكلام الأشعث، وقلت: أتريد أن تقتله يا أعور!

١ـ الآية ٣٠، من السورة ٥٠: ق.

٢ـ الآية ٢٤، من السورة ٥٠: ق.

٣ـ «روضة الكافي» ص ١٦٧.

وخرجتُ مبادراً لأمضي إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام لأخبره الخبر أنّ هناك مؤامرة عليه في المسجد. فاتّفق أن خالفني أمير المؤمنين عليه السلام من الطريق فدخل المسجد، فبادرتُ إلى العودة إلى المسجد لأخبره فَضُرِبَ بالسيف على فرقه،[1] وهبّت رياح سوداء، واصطفقت أبواب المسجد، ونادى جبرئيل بين السماء والأرض:

تَهَدَّمَتْ وَاللَهِ أَرْكَانُ الْهُدَى، وَانْطَمَسَتْ وَاللَهِ أَعْلَامُ التُّقَى، وَانْفَصَمَتْ وَاللهِ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى؛ قُتِلَ ابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، قُتِلَ الْوَصِيُّ الْمُجْتَبَى، قُتِلَ عَلِيٌّ الْمُرْتَضَى، قُتِلَ وَاللهِ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ، قَتَلَهُ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ.[2]

١ـ «إرشاد المفيد» ص ١١ الطبعة الحجريّة، و«بحار الأنوار» الطبعة الكمباني، ج ٩، ص ٦٥٦.

٢ـ «بحار الأنوار» الطبعد الكمباني، ج ٢، ص ٦٧١.

فهرس التأليفات


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقوم مؤسّسة ترجمة و نشر

(دورة العُلوم و المعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

بنشر وترجمة كتب سماحته وهي كالآتي :

دورة المعارف :

معرفة الله (١) (الله شناسى)	ثلاثة أجزاء
معرفة الإمام (٢) (امام شناسى)	ثمانية عشر جزء
معرفة المعاد (٣) (معاد شناسى)	عشرة أجزاء

دورة العلوم :

الأخلاق و الحكمة و العرفان (٤)

١ ـ رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالۀ سير و سلوک منسوب به بحر العلوم)

٢ ـ رسالة لبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب
(رسالهٔ لُبّ اللباب در سير و سلوك أُولى الألباب)

٣ ـ التوحيد العلميّ والعينيّ (توحيد علمى و عينى)

٤ ـ الشمس الساطعة (مهر تابان)

٥ ـ الروح المجرّد (روح مجرد)

الأبحاث التفسيريّة (٥)

١ ـ رسالةٌ بَديعةٌ في تفسير آية «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ»

٢ ـ رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمريّة (رسالهٔ نوين)

الأبحاث العلميّة والفقهيّة (٦)

١ ـ رسالة حول مسألة رؤية الهلال

٢ ـ وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام
(وظيفهٔ فرد مسلمان در احياى حكومت اسلام)

٣ ـ ولاية الفقيه في حكومة الإسلام — أربعة أجزاء
(ولايت فقيه در حكومت اسلام)

٤ ـ نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن) — أربعة أجزاء

٥ ـ نظرةٌ على مقالة بسط وقبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش
(نگرشى بر مقالهٔ بسط و قبض تئوريک شريعت دكتر عبدالكريم سروش)

٦ ـ الرسالة النكاحيّة: تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين (وقد طبع الكتاب في طبعته الأُولى بهذا العنوان. «الحدّ من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين»)
(رسالهٔ نكاحيّة: كاهش جمعيّت، ضربه‌اى سهمگين بر پيكر مسلمين)

٧ ـ رسالة مسوّدة القانون الأساسيّ (نامهٔ پيش نويس قانون أساسى)

فهرس التأليفات

الأبحاث التأريخيّة (٧)

١ ـ لَمَعات الحُسين عليه السلام

٢ ـ الهديّة الغديريّة : رسالتان قاتمة و مشرقة

(هديّهٔ غديريّه : دو نامهٔ سياه و سپيد)

هذه هي مجموعة من الكتب التي أُلّفت من قِبل المؤلّف قدّس سرّه ، والتى بادرت «مؤسسة ترجمة و نشر دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة» إلى ترجمتها وتقديمها تدريجياً إلى القرّاء المحترمين.

وللحصول على نظرة إجماليّة لهذه المؤلّفات ، يمكنكم الرجوع إلى نهاية الجزء الأوّل من هذا الكتاب .









